نعم رأيت الله في
المحاماة

«يُحامي فَيُنقِذُ. يَعفُو فَيُنَجِّي»

(إش ٣١: ٥)



جرجس إسحق

المحامى

نعم رأيت الله في

المحاماة

«يُحَامِي فَيُنقِذُ. يَعفُو فَيُنَجِّي» (إش ٣١:٥)



بقلم

جرجس إسحق

المحامى

اسم الكتاب : **نعم رأيت الله في المحاماة**

اسم المؤلف : **جرجس إسحق المحامى**

التصميمات والإخراج الفنى والطباعة : **مطبعة الخلاص**

الطبعة : **الأولى - سبتمبر ٢٠١٠**

الناشر : **المؤلف**


محتويات الكتاب

صفحة

مقدمـــة

منـــذ صـدر قضاء الله علـى أبينا آدم بطــرده من جنـة عـدن، وبالتعب يأكـل كـل أيـــام حياته وبعـرق وجهـه يأكـل خبزاً حتـى يعـود إلـي الأرض التـى أُخذ منـها (تــك ٣: ١٧، ١٨)... أصبح علـيه ـ وذريته من بعـــده، أن يختـار عمـلاً أو وظـيفة أو مـهنة أياً كـانت التسمية.. طيلة حياته.. وربما يغيرها إلـى أخرى.

ومـــن هنـــا كـان قانون الكتاب المقدس «إن كـان أحـد لا يريد أن يشـــتغل فلا يـــأكل أيضـــاً» (٢تس ٣: ١٠). علـى أن مَنْ ينتســب لجماعـــة الله وأهـل بيتـه (أف ٢: ١٩) عليـــه أن يتعلم «أن يمارس أعمالاً حســـنة للحاجـــات الضرورية حتي لا يكـونوا بلا ثمر» ـ روحياً ـ (تى ٣: ١٤) وهـذا هـو أحـد أســـباب عـدم الإثمار (روحياً) فـي حياتنا كمؤمنين وأولاد لله.

وخلال ممارســـته لهذا العمـــل يُقدم الكتـــاب بعـضاً مـــن النصائح أغلاها، وأســــماها للحصول علـى الثمـــر «وأن تحرصوا علـى أن تكونوا هادئين، وتمارســـوا أموركم الخاصة وتشتغلوا بأيديكم أنتم، كـما أوصيناكم، لكـي تسلكوا بلياقة عند الذين هم من خارج، ولا تكـون لكم حاجة إلـى أحـد» (١تس ٤: ١١، ١٢).

لقـــد عرفت الرب، أو بالحرى عُرفت منه في ١٩٥٩/٢/٥ وقد كنت طالباً فـي االثانويـــة العامة... ووضعت فـي قلبى منذ هذا اليوم، أن يكـون عملـى الواحد الوحيد، أن أكـون للرب... وما أن حصلت علـى الثانوية العامة حتى فكـرت فـي الالتحاق بإحدى كليات اللاهوت.

والعجب كـل العجب، أن أبـى اعترض بشـــدة فقـــد كـان يأمل لـى أن أكـون محامياً.. ويكـون هو وكيل مكتبى! ذلك لأنه كـان «باشمحضر» (أو رئيس قلم محضرين) بوزارة العدل وكـان محضر أول محكمة الأزبكية فـي ذلك الوقت.

وفـي أعوام الدراســـة فـي كلية الحقوق، حضر لمصر خادم الرب المتجول بين

قـــارات العـالـم رجـل الله التقـى مـوريـس جـرجـــس.. فـتقـابلـت مـعـه علـى ناصـيـة شـــارع عـمـــاد الـديـن ومـعـه خـادم مـصـــرى (ف.ى) وأحـد إخـوتنـا وهـو الأخ فـكـرى توفيق فسألته ما لزوم أن أطيع أمر الوالد في حتمية الحصول على ليسانس الحقــوق وأنــا لا ولـن أعـمـــل بـه؟.. فـعـمـــل المؤمن هـو خـــلاص الـنـفـوس ـ خـلاص نفسه... ثم خلاص نفوس الآخرين.

نهرنى خادم الإنجيل المصرى بشدة قائلاً «اذهب ذاكر دروسك وبلاش هروب من المذاكرة»..

وهنـــا تدخل رجل الله اللبنانى بلغتـــه الهادئة ولهجته اللبنانية المحبوبة قائلاً لى «أيهما كتب في العهد الجديد أكثر بولس أم بطرس؟».

قلت : بولس كتب ١٤ رســـالة، بينما بطرس ثلاث ـ رســـالتين وشارك في الإنجيل الذى لمرقس ابن أخته على ما أعتقد.

قال : هل تعرف ثقافة بولس وشهاداته ؟

قلت : لا.

قال : كان فيلســـوفاً يهودياً ودارس عبرى، ودارس قانون زيك... وعند قدمى غمالائيـــل معلم الناموس.... إلخ فأنت لما تحصل على ليســـانس الحقوق الله يستخدمك زى بولس.. الله معك..

الحصول على ليسانس الحقوق

دفعة مايو ٦٣

فماذا بعد ؟

لقـــد تَرَكَتْ في قلبى ـ هـــذه المقابلة، وتلك الكلمات قرارات... ربما لم أبح بها لأحد، ومنها ما يلى :

أ ـ إنهاء دراسة القانون بنجاح في أسرع وقت.

ب ـ بمعونة الرب أحاول الحصول على بكالوريوس العلوم اللاهوتية من الكلية

الإكليريكيــة بعد ذلك. وهذا قد تم فعلاً ولئــن تعثر بعض الوقت.. لكنى حصلت عليه والفضل للرب.

ج ـ سوف يرشدنى إلهى.

وهكــذا وجدت نفســى مدفوعاً لاختيار المحاماة... تحقيقــاً لأمل الوالد من جهة ولتحقيق اســتقرارى في بلد واحد بعيداً عن التنقل مثل الوالد ـ حيث قضى ٣٠ سنة خدمة في وزارة العدل في ١٩ بلداً كان نصيبى معه منها من يوم مولدى إلى سنة أولى حقوق جامعة القاهرة (١٦ بلداً) وكانت العمرانية / جيزة تحمل رقم ١٧، ابتداءً من كوم امبو قبلى إلى مرسي مطروح بحرى.

ولم يتحقق حلم الوالد، فقد داهمته الأمراض وانتهى به المقام بمستشفى الصدر بالجيزة، وانتقل إلى الأمجاد السماوية وأنا بعد في سنة التمرين الأولى في المحاماة... وأصبحت المســئول بعده عن الأســرة كلها (العمات، وشقيقى الــذى لم يكن قد أتم بكالوريوس الخدمــةا لاجتماعية بعد)، وكان هدفى قبل إختيــارى لهــذه المهنة عملاً، لى كنــت أفكر في اختيار مهنــة ترزى رجالى.. وبــدأت في تعلم البترونات.. لكن لم أمارســها وطردت الفكرة.. بل قل وئدت يوم وُلدت.

كمــا طردت نهائياً أن يكــون لى أثناء العمل في المحاماة حتى في ســنى المهنة العجاف، وما أكثرها ـ اشتغال في التجارة أياً كان نوعها. لقد كان لى زملاء محامون بالإضافة إلى أنهم تجار أحدهم في القماش، وآخر في الفحم، وثالث في السيارات القديمة، ورابع في الدخول في مناقصات تأجير السيارات لمستوصفات الولادة... إلخ. أما أنا فقد كنت أقول مقولة آمنت بها، وعشتها بصدق، وحق، إن هذه المهنة لا تحب شــريكاً، وعلى كل مَنْ يمارســها أن يتعبد في محرابها ناسكاً، متبتلاً... وهو ما عانته معى شريكة الحياة، والأولاد فيما بعد فكم ضحوا معى براحتهم، وأوقاتهم الخاصة بهم، أمام ضرورة الواجب، وحب الاخلاص، والأمانة والعمل في هذه المهنة وكسب ودها بتفانٍ.

وشكراً لله «صنع من دم واحد كل أمة من الناس يسكنون على كل وجه الأرض وحتم بالأوقات المعينة وبحدود مسكنهم لكى يطلبوا الله لعلهم يتلمسونه فيجدوه مع أنه عن كل واحد منا ليس بعيداً لأننا به نحيا ونتحرك ونوجد» (أع ١٧:٢٦، ٢٧).

والسؤال الذى يطرح نفسه مع عنوان هذا الكتاب (نعم رأيت الله في عملى المحاماة) هل اختار الله لى المحاماة؟ وهل حدد الله مكان مكتب ممارسة المحاماة؟

أقول نعم وهو الذى حدَّدا

وهل طلبت الله في هذا العمل؟ أجيب نعم وبكل يقين وكل يوم وستقف معى أيها القارىء العزيز خلال كل كلمة لترى كيف التمسته... فوجدته... لا بل رأيته أقرب إلىَّ من رؤية العيان حتى أنى أستعير لغة اختبار القديس يوحنا الرائى عندما قال «الذى كان من البدء الذى رأيناه بعيوننا الذى شاهدناه ولمسته أيدينا... قد رأينا، ونشهد، ونخبركم به لكى يكون لكم أيضاً شركة معنا. وأما شركتنا نحن فهى مع الآب ومع ابنه يسوع المسيح ونكتب إليكم هذا لكى يكون فرحكم كاملاً» (ايو ١:١ ـ ٤).

لذا اخترت عنواناً للكتاب (نعم رأيت الله في عملى).. فتعال معى نراه سوياً. والرب يجعله بركة لك، فترى الله، كما رأيت.

وأضيف أنى لست أعمل دعاية لنفسى.. بل أمجد اسم إلهى العظيم الذى سار بى هذا المشوار ـ ٤٦ سنة قضائية في المحاماة وأوصلنى إلى التقاعد بالسلام.

جرجس إسحق
المحامى

الفصل الأول

المحاماة خدمة للرب

"السالك طريقاً كاملاً هو يخدمني" (مز ١٠١:٦)

كتب أحد قديسي القرن العشرين الراحل الدكتور ماهر فهمي في مذكراته يوم ٢٩ أكتوبر ١٩٥٦ ونقل عنه الأخ فؤاد زكي في الكتاب رقم ٦٣ من سلسلة فتشوا الكتب ص ١٠٧ وما بعدها. ما يلي:

«إن مهنتي ونوع عملي في صميم الحياة الروحية «كنت مريضاً فزرتموني» ـ وأنا لا أحتاج لتغيير مستقبلي، أو أفتش عن وظيفة أخرى، أو أن أترك مهنتي لكي أتفرغ لخدمة الرب، وأن المطلوب مني هو الشهادة للرب أثناء عملي وتأديته بروح المسيح».

ما أوسع مجال الخدمة الذي أنا موجود فيه، ولا داعي لتغيير المكان أو البحث عن بلد آخر... وهذا ما أجبرني عليه الرب. فسلمت أخيراً بأن أظل هكذا محامياً يخدم الرب في مهنته وبمهنته.. ولا يفكر في تغييرها، ولو بالتفرغ لخدمة الرب.. سواء قبل الحصول على بكالوريوس العلوم اللاهوتية في الكلية الإكليريكية.. بتقدير جيد جداً أو بعد ذلك.

ولا شك أنك وقد وقفت أيها القارئ عند والدي الموظف البسيط بوزارة العدل فلم يكن لنا عزبة أو عقار أو أي دخل آخر أعتمد عليه... بل لقد أصبحت المسئول عن الأسرة بعد رحيله وأنا محام تحت التمرين حيث لا مرتب.. ولا دخل يذكر.. أو يحسب كيف عمل فيّ الرب لأكون خادمه في القرى وقيادة سيارة رحلة الخميس خط أشمون لعشرات السنين، ثم اجتماع لجنة القرى التدبيري يوم الأحد من الساعة ٧ ـ ١١ مساء ويوم الخميس من ٣ ـ ١٢ مساء كما اشتركت في الصلاة الأربعاء من ٧ ـ ٩ مساءً لأجل كل ذلك.

كمــا حرصت بشــأن باقى خدام القرى ـ على حضــور اجتماعات الصلاة مــرات يوميــاً ٦ ـ ٨ صباحاً .. ثم النزول في لجان ـ مــن ١٥ إلى ٢٠ لجنة افتقاد في حى شــبرا... وغيره وأحياناً يقودنا الرب للســفر لحل مشاكل عائلية في محافظــات أخرى متاخمــة للقاهرة أو بعيــدة عنها مئات الكيلــو مترات.. والحــرص علــى الوجود في وليمة المحبــة ظهر كل جمعــة.. وكل هذا وأنا في بداية مشــوار المحاماة.. وزد على ذلك دراســة اللاهوت التــى أخذت من عمرى خمســة أعوام وهى في عصب الأســبوع أيــام الاثنين، والثلاثــاء والأربعاء ولا أعــرف كيف أعاننى الرب على القيام بكل هــذا.. وغيره.. لكن دعنى أنحصر معك تحديداً فــي المحاماة.. تلك المهنةالتى عمادها الــدرس والاطلاع الدائم.. لا لملفات القضايا المتنوعة فحســب.. بل والمراجع.. والقوانين وتعديلاتها في مجتمع متطور.. متغير تتبدل تشــريعاته مع مطلع شــمس كل صباح.. بل وقبــل ذلك.. وفي لمــح البصر لذلك فالفضل يرجــع أولاً وأخيراً لإلهى ودعنى أكرر القول «الرب قوتى ونشيدى وقد صار خلاصى هذا إلهى فأمجده. إله أبى فأرفعه. الرب رجل الحرب. الرب اسمه» (خر ١٥: ٢، ٣).

«إلى متى تهجمون على الإنســان. تهدمونه كلكم كحائط منقض كجدار واقع. إنما يتآمرون ليدفعوه عن شرفه. يرضون بالكذب.. إنما لله انتظرى يا نفسى لأن مــن قِبَلــه رجائى. إنمــا هو صخرتى وخلاصــى ملجأى فلا أتزعــزع. على الله خلاصى ومجدى صخرة قوتى محتماى في الله.

توكلوا عليه في كل حين يا قوم. اسكبوا قدامه قلوبكم. الله ملجأ لنا. سلاه. تكلم الرب. هاتين الاثنتين سمعت أن العزة لله» (مز ٦٢).

لذلك كنت دائماً «أصرخ إلى الله العلى إلى الله المحامى عنى. يرســل من السماء ويخلصنى. عيَّر الذى يتهممنى. سلاه» (مز ٥٧: ٢، ٣).

«الرب مجرى العدل والقضاء لجميع المظلومين» (مز ١٠٣: ٦).

إذاً فليس هدفنا من هذا الكتاب هو تمجيد الإنسان، بل بالأحرى تمجيد الله خالق الإنسان، وفاديه والعامل في الإنسان، والحى في الإنسان حتى أنه يستطيع أن يعيش في سلام في وسط هذا العمل الذى لا يترك مَنْ يمارسه في هدوء وسلام مردداً «يارب اجعل لنا سلاماً لأنك كل أعمالنا صنعتها لنا» (إش ٢٦:١٢).

ويا ليتنا نعيش هذه القامة الروحية العالية لأننا أعضاء في يد الله المجرى لقصده، ومشورته التى لابد وأن تثبت، وحيث يقول يكون، ولو أنى بصدق لم أصل ـ لهذه القامة ـ قبل مضى ٢٥ عاماً من الحياة الروحية معه وفي المحاماة فعرفت أنه لاراد لقضائه... وأنه يوجد إله قاض في الأرض (مز ٥٨:١١).

في مرات كثيرة اشتركت صلاتى مع حبقوق النبى «حتى متى يارب أدعو وأنت لا تسمع. أصرخ إليك من الظلم وأنت لا تخلّص. لما تريني إثماً وتبصر جوراً، وقدامى اغتصاب وظلم ويحدث خصام وترفع المخاصمة نفسها. لذلك جمدت الشريعة ولا يخرج الحكم فيه لأن الشرير يحيط بالصديق فلذلك يخرج الحكم معوجاً» (حب ١:١ ـ ٤).

ماذا نفعل في ذات الكوارث؟ وكان الله يأمرنى «على مرصدى أقف وعلى الحصن أنتصب وأراقب لأرى ماذا يقول لى (الرب) وماذا أجيب عن شكواى». وأحياناً يجيبنى الرب بمثل ما قاله لحبقوق النبى «اكتب الرؤيا وانقشها على الألواح لكى يركض قارئها لأن الرؤيا بعد إلى الميعاد وفي النهاية تتكلم ولا تكذب. إن توانت فانتظرها لأنها ستأتى إتياناً ولا تتأخر...» (حب ٢:١ ـ ٣).

على أننى في كل أيامى في هذه المهنة كنت أردد في قلبى ما قرأته من كلمات مضيئة لمعالى المستشار فاروق سيف النصر وزير العدل سابقاً والذى أطلق عليه المستشار محمد خالد القاضى أنه حقاً عميد رجال القضاء.. ومايسترو سيمفونية العدالة الأصلية، وهو بحق، كما يصفه معالي

المستشـــار ماهر عبد الواحد النائب العام ـ يومئذ ـ (شيخ شيوخ القضاة) ـ ص ٢٠ من كتابه (من روائع الأدب القضائى)... أنى أتعبد في محراب المحاماة.

لقد كنت والحمد لله ـ المحامى الذى اتخذ من المحاماة رسالته، وقاها وسعة الجهد، وتبتل في سـبيلها ينشد دوماً في طمأنينة اليقين صواباً، ويبغى في ذلك من الكمال غايته، حتى أصبحت ناسكاً من نساك ذلك المحراب، محراب المحاماة والقضاء والعدالة.

(المرجع الســابق ص ٤٤ فقط اسـتبدلت بكلمة القضـاء ـ المحاماة وهى كما تعلمنا ـ القضاء الواقف).

الفصل الثانى

أفكار خاطئة عن المحاماة

"ثم يسأل في الوكلاء لكي يوجد الإنسان أميناً وأما أنا فأقل شىء عندى أن يحكم فىّ منكم أو من يوم بشر. بل لست أحكم في نفسى فإنى لست أشعر بشىء في ذاتى لكننى لست بذلك مبرراً ولكن الذى يحكم فىّ هو الرب إذاً لا تحكموا في شىء قبل الوقت حتى يأتى الرب..." (اكو ٤:٢ ـ ٥).

"لأن فخرنا هو هذا شهادة ضميرنا أننا في بساطة وإخلاص الله لا في حكمة جسدية بل في نعمة الله تصرفنا في العالم ولا سيما من نحوكم" (٢كو ١٢:١)

ياللأسف فإنه طوال سنى اشتغالى في هذه المهنة لم يتغير السؤال الذى استمر يوجه لى ـ كابن لله ـ ولا سيما من إخوتى القديسين في المسيح... هل يوجد في المحاماة أولاد الله؟

وماذا لو عرفت قول أحد المحافظين... ومن بعد وزير من وزراء مصر سامحهما الله إن أردت أن تكذب فاستعن بمحام؟!

وماذا فيما لو وكلك قاتل؟ واعترف لك بذلك؟! وهل يحل لك ضميرك المسيحى أن تترافع عنه؟! وهل تطلب له البراءة؟

وماذا فيما لو قضى ببراءته وهو قاتل؟!!

وهل تقبل أن تترافع مع ظالم لخصمه؟ وماذا تطلب؟.. وماذا؟ وماذا؟... وكلها أسئلة واحدة لم تتغير.. عبر رحلة قاربت على النصف قرن إذ أنى في العقد الخامس في المحاماة. وهذا ما جعلنى أتناول في هذا الفصل أضواء على

مهمة المحاماة... من محاضرة للأستاذ راغب حنا المحامى وكيل نقابلة المحامين ألقاها بتاريخ ١٩٦١/٣/٣١ قال:

١ ـ عن رسالة المحاماة :

المحاماة رسالة سامية لأنها رسالة النجدة.. نجدة الضعيف والمظلوم ونجدة صاحب الحق المهضوم والمحاماة رسالة من أقدس الرسلات لأنها تستهدف تحقيق العدالة بين الناس وعدالة الأرض من عدالة السماء.

والمحاماة فن رفيع كما يقول الزميل المحترم الأستاذ شوكت التونى لأنها وسيلة «لإسعاد الخلق ورفع مستوى المجتمع وتدعيم بنائه وطريق من طرق نشر السلام في هذا الكون».

وإذا جاز تسمية المحاماة مهنة فإنها أجل المهن وأشرفها.. وقديماً قال فولتير «كنت أتمنى أن أكون محامياً لأن المحاماة أجل مهنة في العالم».

وفي الحق أنه ليس بين المهن ما يسمو على المحاماة شرفاً وإجلالاً ولا ما يدانيها روعة وتضحية ومجداً، ذلك أن رسالتها هى تحقيق العدالة بالوقوف إلى جانب المظلوم والأخذ بناصر الضعيف والدفاع عن شرف الأفراد وحرياتهم وأموالهم والمحامى هو مستشار الكبير وهو في الوقت نفسه القيِّم على الصغير يلجأ إليه الأغنياء والفقراء على السواء وهو في سبيل أداء واجباته هذه على الوجه الأكمل يضحى بصحته ووقته وراحته وماله وأحياناً بحياته.

ومن أبلغ ما قيل في وصف المحاماة وتقديرها ما قاله روجيسو رئيس مجلس القضاء الأعلى بفرنسا في عهد لويس الخامس عشر:

«إن المحاماة عريقة كالقضاء مجيدة كالفضيلة ضرورية كالعدالة هى المهنة التى يندمج فيها السعى إلى الثروة مع أداء الواجب حيث الجدارة والجاه لا ينفصلان، المحامى يكرّس حياته لخدمة الجمهور دون أن يكون عبداً له،

ومهنة المحاماة تجعل المرء نبيلاً عن غير طريق الولادة، غنياً بلا مال رفيعاً دون حاجة إلى لقب سعيداً بغير ثروة».

٢ ـ وفي تقرير وعمل المحامى قال المرحوم / الأستاذ عبد العزيز فهمى رئيس محكمة النقض عند افتتاح أولى جلساتها عام ١٩٣١:

«إذا وازنت بين عمل القاضى وعمل المحامى لوجدت أن عمل المحامى أدق وأخطر لأن مهمة القاضى هى الوزن والترجيح أما مهمة المحامى فهى الخلق والإبداع والتكوين».

هذه شهادة قاضى القضاة في مصر وتلك شهادة كبير القضاء في فرنسا وكلاهما من الشهود العدول الذين لا سبيل إلى اتهامهم بالتحيز للمحاماة أو محاباة المحامين.

٣ ـ وعن مشقة عمل المحامى :

على أنه إذا كانت المحاماة أجل مهنة في العالم فهى أيضاً أشق مهنة في العالم، ذلك أنها تفرض على المحامى أن يكرس لها كل وقته وجهوده، فهى لا تدع له وقتاً للراحة أو للرياضة إذ يبدأ المحامى دائماً عمله مبكراً فيقضى ساعات الصباح عادة في أداء واجبه أمام مختلف المحاكم متنقلاً بين دار القضاء العالى والمحكمة الكلية والمحاكم الجزئية ومحكمة الأمور المستعجلة ومحكمة العمال ومجلس الدولة والمحاكم الإدارية والمحاكم التأديبية هذا إذا كان المحامى يعمل بالقاهرة، أما إذا كان محامياً بإحدى المحافظات فإن عمله أشق إذ يقتضيه السفر بالقطارات أو بالسيارات وأحياناً بالطائرات بين مقر المحكمة الكلية التي يعمل في دائرتها ومقر محكمة الاستئناف التى تستأنف الأحكام أمامها والمراكز التى تقع فيها المحاكم الجزئية التابعة لها.

فإذ عاد المحامى بعد الظهر إلى منزله مكدوداً محطم الأعصاب لا يكاد يجد وقتاً لتناول الطعام أو للراحة إذ يتعين عليه أن يعود إلى مكتبه

لاستقبال عملائه حيث يقضي شطراً من الليل في تفهم ما يُعرض عليه من مشكلات والافتاء فيما يستشار فيه من منازعات وتدوين ملاحظاته عما يعهد إليه به من قضايا حتى إذا ما انتهى من هذا العمل المضني بين إزعاج التليفون ومضايقات بعض العملاء ومساوماتهم ولم يستدع لحضور تحقيق أو مجلس صلح أو تحكيم كان عليه أن يبدأ دراسة قضايا اليوم التالي وإعداد دفاعه كما أن عليه تحرير المذكرات في القضايا المحجوزة للحكم والقضايا المنظورة في التحضير وهو مضطر لتقديمها في المواعيد المحددة وإلا تعرض للمسئولية وعرَّض موكله للحكم عليه بغرامة والموكل لا يرحم والقاضي لا يعذر والمحامي فوق هذا وذاك مسئول أمام ضميره عن أداء واجبه على الوجه الأكمل ولهذا فهو يقضي الليل ساهراً باحثاً منقباً حتى إذا ما أتم عمله وأرضى ضميره وربه أوى إلى فراشه ليقضي ما بقي من الليل مسهداً يستعرض أعمال اليوم ويفكر في مشكلات الغد.

هذه صورة حقيقية للعمل اليومي للمحامي ومنها يتضح أن المحامي كالشمعة يحترق ليضيء للآخرين ومع ذلك فكثيراً ما تقابل مجهوداته وتضحياته الغالية بالجحود ونكران الجميل من جانب موكليه الذين ما أن يكسب لهم قضايا حتى يتنكروا له رغبة في إهدار حقوقه بعد أن حصل لهم على حقوقهم المهضومة!!

ولذلك كانت المحاماة من أشق المهن وأكثرها إرهاقاً للعقل والجسم والأعصاب. حقاً إن المحامي ينعم بشيء من الاستقلال والحرية وقد يصيب بعض الجاه ـ وهو ما يحسده عليه الكثيرون. ناسين أن ذلك يكون دائماً على حساب راحته وأعصابه... وأحياناً يدفع المحامي ثمناً لتلك الحرية وذلك الجاه. حياته نفسها. وما أغلاه من ثمن..

(إن المحامي يترافع في يوم واحد أمام محاكم متعددة في دعاوى مختلفة ومنزله ليس مكاناً لراحته ولا بعاصم له من مضايقة عملائه. إذ يقصده

كل مَنْ يريد أن يتخفف من أعباء مشـاكله وهمومه وهو لا يكاد ينتهى من مرافعة طويلة إلا ليعالج مذكرات أطول وأستطيع القول إنه بين مواطنيه يمثل الرجال الأولين الذين قاموا بتبليغ الرسالة الإلهية).

٤ ـ المحامى كما يجب أن يكون :

يخطـىء مَـنْ يظن أن مؤهـلات المحامى هـى فقط الحصول علـى إجازة الليسانس أو الدكتوراة في القانون. كما يخطىء كثيراً مَنْ يعتقد أن صناعة المحامـى هى مجرد الكلام المنمق أو التمكن مـن ضروب البلاغة والبيان. أو أن دراسـته مقصورة على كتب القانون.. إذ المحامـى النابه أو المحامى كما يجب أن يكون هو الذى تسـتمر دراسـاته يومياً طوال حياته والذى تتناول دراساته إلى جانب كتب القانون كتب الأدب والتاريخ والاقتصاد والفلسـفة والمنطق والاجتماع وعلم النفس وأضيف الهندسـة والطب في بعض القضايا كما حـدث معى بل إن عمل المحامـى يقتضى ثقافات متنوعـة متجددة واطلاعاً مسـتمراً على مختلف العلوم والفنون ويستطيع الاضطلاع بمهمة الدفاع في مختلف القضايا التى يوكل إليه أمرها من مدنية وتجارية وإدارية وجنائية وعسـكرية وسياسـية وتأديبية وضرائبية وما لم يكن المحامى مطلعاً على شتى العلوم والفنون إلى جانب إطلاعه على مختلف القوانين وكتب الشراح وأحدث الأحكام فإنه يجد نفسه عاجزاً عن القيام بواجبه فيما يعرض عليه يومياً من مشـكلات وما قد يواجهه أمام المحاكم من صعوبات في مناقشـة الفنيين من الخبراء والتعليق على آرائهم.

٥ ـ صفات المحامى :

لا يكفى أن يكون المحامى متمكناً من القانون ومطلعاً على شتى العلوم والفنون بل يجب فوق ذلك وقبل ذلك أن يكون المحامى أميناً شجاعاً مستقيماً مخلصـاً لأن المحامى يؤتمن علـى أموال الناس وأسـرارهم وأرواحهم والمحامى كمـا يجب أن يكون هو الذى يتصف بالأمانة المطلقة والشـجاعة الكاملة

والاستقامة والإخلاص فلا خير في محام قدير إذا كانت أمانته أو استقامته محل شك كما لا خير في محام لا يكون مخلصاً في أداء وجابه أو تخونه شجاعته في الدفاع عن موكله وعما يعتقد أنه حق ولو وقف وحده إلى جانبه وكانت الدنيا كلها ضده.

ويقول الأستاذ الكبير النقيب عبد الرحمن الرافعى:

«إن من أول واجبات المحامى أن يتمسك بالأخلاق القويمة فالمحاماة علم وخلق وجدة وشجاعة وثقافة وتفكير ودرس وتمحيص وبلاغة وتذكير ومثابرة وجلد وثقة في النفس واستقلال في الحياة وأمانة واستقامة وإخلاص في الدفاع».

يأتى بعد الأمانة والشجاعة في أداء الواجب والدراسات القانونية والإلمام بقسط وافر من شتى العلوم والفنون التى أشرنا إليها مراعاة مقتضى الحال والتوفيق بين واجب الدفاع ووقت المحكمة وأهم ما يجب أن يحرص عليه المحامى في هذا الشأن هو الوضوح والإيجاز فلقد انقضى عهد المرافعات الطنانة وخاصة في القضايا المدنية التي يكون المرجع فيها إلى المذكرات المكتوبة التى يمكن أن تدون فيها الوقائع والتواريخ والأسانيد القانونية والموضوعية في إفاضة لا تتسع لها عادة الجلسات بوقتها المحدود مع كثرة عدد القضايا لدرجة كبيرة اقتضت للأسف تعديل القانون لكثرتها باستحداث نظام القاضى الفرد رغبة في مضاعفة عدد الدوائر وسرعة الفصل في القضايا رغم ما في ذلك من تضحية بالمزايا الكثيرة لتعدد أعضاء الدوائر مما يحتاج الكلام فيه إلى شرح ليس مجاله هذا الكتاب.

٦ - واجبات المحامى وتقاليد المهنة :

أ - يوجب قانون المحاماة الحالى أن يقسم المحامى قبل مزاولة عمله بأن يؤدى أعماله بالأمانة والشرف وأن يحافظ على سر المهنة وأن يحترم قوانينها وتقاليدها.

ب ـ كما تنص على أن يشترط أن يكون المحامى محمود السيرة حسن السمعة أهلاً للاحترام الواجب للمهنة وألا يكون قد صدرت ضده أحكام قضائية أو تأديبية أو عزل من وظيفته أو مهنته أو انقطعت صلته بها لأسباب ماسة بالذمة والشرف.

ج ـ وأرجىء الكلام عن باقى واجباته للفصل الأخير من هذا الكتاب (محامى تحت التأديب) عندما خرجت عن هذه التقاليد السامية.

٧ ـ المحامى بين واجبه وضميره :

إن من أقدس واجبات المحامى الدفاع عن المتهم البرىء ولكن هل كل المتهمين أبرياء؟ وماذا يفعل المحامى إذا وكل عن متهم معترف؟ بل ماذا يفعل إذا وكل عن متهم منكر باح له بارتكاب الجريمة؟

هذه أسئلة حائرة لا نجد لها جواباً في الكتب ولكننا نعرف جوابها من تقاليد المحاماة.

حقاً إنه ليس كل المتهمين أبرياء ولكن قل أن نجد متهماً غير جدير بالرحمة والعطف فكثيراً ما نصادف متهمين مثقفين أو من عائلات كريمة دفعتهم الظروف دفعاً إلى ارتكاب جريمة في ثورة غضب أو دفعاً لإهانة وكثيراً ما نوكل عن متهمين بارتكاب جرائم دفاعاً عن الشرف أو أخذاً بالثأر وجل مَنْ لا يخطىء وهناك متهمون ارتكبوا جرائم دون أن يكونوا مسئولين عنها لسبب من أسباب الإباحة وموانع العقاب كمَنْ يرتكب جريمة دفاعاً عن النفس أو المال أو مَنْ يرتكب جريمة وهو فاقد الشعور أو الاختيار في عمله إما لجنون أو عاهة في العقل وإما لغيبوبة ناشئة عن عقاقير مخدرة إذا أخذها قهراً أو على غير علم منه أو الموظف الذى يرتكب الفعل تنفيذاً لأمر صادر إليه من رئيس تجب عليه إطاعته إلى آخر أسباب الإباحة وموانع العقاب المنصوص عليها في المواد من ٦٠ إلى ٦٣ عقوبات.

وهناك متهمون غير مسئولين مسئولية كاملة عن الأفعال التى ارتكبوها لعرض عقلى أو نفسى أو عصبى كالعتة والشيزوفرانيا والحالات السيكوباتية.

في هذه الحالات يجب على المحامى أن يبرز للمحكمة ظروف الحادث وأسباب الإباحة أو موانع العقاب إن وُجدت وأن يبين حالة المتهم وقت ارتكاب الجريمة من الوجهة العقلية والنفسية والعصبية مستعيناً بتاريخ المتهم وأثر الوراثة وتقارير الأطباء الأخصائيين مع بيان الظروف المخففة.

ولكن ما العمل إذا كان المتهم قد أنكر ارتكاب الجريمة في التحقيق وباح لمحاميه بارتكابها؟

لا شك أن في هذه الحالة تعارضاً بين ضمير المحامى وواجبه إذ هو لا يستطيع إفشاء سر المهنة. كما أن ضميره لا يطاوعه على طلب البراءة والدفاع عنها.

ومن حُسن الحظ أن هذه الحالة نادرة الوقوع إذ لا يبوح المتهم عادة لمحاميه بارتكاب الجريمة إذا كان قد أنكر ارتكابها أمام المحققين حيث لا يجد فائدة تعود عليه من الاعتراف لمحاميه **فإذا حدث ذلك تعين على المحامى أن يتنحى عن الدفاع في القضية** إرضاء لضميره ومحافظة على مصلحة موكله وفي هذه الحالة يوكل المتهم محامياً آخر لن يبوح له في هذه المرة بسره فيتولى المحامى الجديد الدفاع عنه مرتاح الضمير لطلب البراءة.

ولا شك أن هذه إحدى ضرائب المهنة على المحامى والتضحيات التى تحتمها عليه تقاليد المهنة الشريفة.

دعنى أضع أمامك هذه الآية الكريمة:

"ينجى غير البرىء وينجى بطهارة يديك" (أى ٢٢:٢٩).

٨ ـ محامون يتولون زعامة الشعوب ورئاسة الدول والحكومات:

لما كانت دراسات المحامين ومرانهم وأعمالهم تتناول شتى نواحى الحياة ومهنتهم تقتضى التمكن من فنون الخطابة والبلاغة والبيان إلى جانب المامهم بنفسية الجماهير ودراستهم لدساتير الأمم والقوانين الدولية والإدارية والمالية كان من الطبيعى أن يبرز من بين المحامين مَنْ تولوا زعامة الأمم وقيادة الشعوب ورئاسة الدول والحكومات والبرلمانات ومَنْ اختيروا لولاية أرفع مناصب القضاء بل إن زميلنا الأستاذ حسن عبد الجواد يرى أن الله سبحانه وتعالى هو المحامى الأول.

ويكفى أن نشير إلى أن غاندى زعيم الهند كان محامياً كما أن المرحومين مصطفى كامل وسعد زغلول زعيمى مصر الخالدين كانا محاميين كذلك.

وقد تولى رئاسة جمهورية فرنسا ورئاسة وزرائها كثيرون من المحامين لعل أشهرهم في العصر الحديث بوايكاريه وميليران وبريان.

أما في مصر فقد تولى رئاسة الوزراء من المحامين: سعد زغلول، ومصطفى النحاس، وحسن صبرى، وأحمد ماهر، وإبراهيم عبد الهادى، ونجيب الهلالى. كما تولى رئاسة مجلس الشيوخ ومجلس النواب من المحامين: محمود بسيونى، ومحمد محمود خليل، ومحمد حسين هيكل، ويصا واصف، وعبد السلام فهمى جمعة، وحامد جودة.

وأما مَنْ ولى منصب الوزارة في مصر من المحامين فأكثر من أن يحيط بهم الحصر.

ولقد قدمت المحاماة للقضاء أفذاذاً شرفوا القضاء كما شرفت بهم المحاماة أمثال المغفور لهم سعد زغلول، وعبد العزيز فهمى وحامد فهمى، وممن شغلوا أرفع مناصب القضاء بكل جدارة ولا زالت أحكامهم مثلاً أعلى لما يجب أن تكون عليه الأحكام سواء من ناحية تطبيق القانون وتحقيق العدالة أم من ناحية دقة الصياغة وطلاوة العبارة.

ولا يفوتنا أن نذكر في هذه المناسبة أن عدداً كبيراً من الوزراء ومن السادة المستشارين الذين يتقاعدون لبلوغهم السن القانونى يبادرون إلى الإشتغال بالمحاماة.

ولما ضج المحامون وخاصة الناشئون منهم من هذه المزاحمة التى لا مبرر لها رغم أن عدد المحامين تضاعف وضاقت أمامهم أبواب الرزق استحدث في القانون الحالى نص المادة ٢٠ على أنه لا يجوز لمَنْ ولى الوزارة أو شغل منصب مستشار أن يمارس المحاماة إلا أمام محكمة النقض والمحكمة الإدارية العليا ومحاكم الاستئناف ومحكمة القضاء الإدارى، وفي القضايا الإبتدائية أمام المحاكم الإبتدائية وما يقابلها في المحاكم الإدارية ومؤدى ذلك أن الحظر مقصور فقط على العمل أمام المحاكم الجزئية وفي القضايا الجزئية المستأنفة وحتى هذا الحذر نص على أنه لا يسرى على المقيدين منهم أمام غير هذه المحاكم وقت صدور القانون.

وقد حاول مشروع قانون المحاماة الموحد أن يعالج هذه المسألة في رفق فنص في المادة الثانية منه على أنه يشترط فيمن يطلب قيد اسمه في جدول المحامين أن يكون غير متجاوز الستين من عمره إلا إذا سبقت له ممارسة المحاماة مدة لا تقل عن عشر سنوات.

ويؤسفنى أن أقول إن هذا النص (الذى يعتبر أضعف الإيمان) لا يزال يلقى معارضة من بعض المسئولين، ولعله كان من بين الأسباب التى عطلت إصدار قانون المحاماة الموحد حتى الآن.

٩ ـ حصانة المحامى :

لقد كان هذا التبادل بين رجال القضاء والمحاماة مدعاة للاحترام المتبادل والولاء والوئام والتعاون بين الفريقين ولكن لسوء الحظ وقعت عدة حوادث مؤسفة بين القضاة والمحامين كانت حافزاً للمشرّع على أن يتدخل فيضع

من التشريعات ما يحمى المحامى ويحيطه بحصانة أثناء قيامه بعمله فكان أول نص في هذا الشأن هو ما جاء بالمادة ٥١ من قانون المحاماة رقم ٩٨ لسنة ١٩٤٤، وهو مطابق لنص المادة ٥٢ من القانون رقم ٩٦ لسنة ١٩٥٧ والنصان يقضيان بأنه إذا وقع من المحامى أثناء انعقاد الجلسة إخلال بالنظام أو ما يستدعى المؤاخذة الجنائية أو التادبية يأمر رئيس الجلسة بتحرير محضر بما حدث ويحيله إلى النيابة العامة التى تجرى التحقيق بواسطة رئيس النيابة أو مَنْ يندبه لذلك بعد إخطار رئيس النقابة ليوفد مَنْ يمثله. وقد أدخل تعديل بهذا المعنى في المادة ١٣٠ مرافعات جديد و٢٤٥ إجراءات جنائية. ومؤدى هذه النصوص أنه أصبح للمحامى حصانة في الجلسة عما قد يقع منه أثناء أو بسبب تأدية عمله، لكى يتسنى له القيام بواجبه المقدس في الدفاع عن موكليه بكل حرية واطمئنان، ولكى لا يكون القاضى ـ يعتقد أن المحامى اعتدى عليه ـ خصماً وحكماً في آن واحد ـ وتوقيراً لحق المحامى في الدفاع عن نفسه فيما نسب إليه في جو هادئ بحضور نقيب المحامين أو مَنْ يمثله.

على أن العمل قد أثبت أن هذه النصوص غير كافية في حماية المحامى خلال ممارسته لمهنته أو بسبب ممارسته لها: كحضوره تحقيقاً أمام النيابة، أو وجوده في قسم البوليس بسبب عمل من أعمال المهنة. كما أثبت أنه كثيراً ما يساء تطبيق نصوص القانون في الحبس الاحتياطى ـ كما حدث أخيراً لأحد الزملاء لسوء الحظ ـ ولذلك عن مشروع قانون المحاماة الموحد بالنص في المادة ٣٠ على أنه: (لا يجوز حبس المحامى إحتياطياً لجريمة من الجرائم أو السب أو الإهانة في أقوال أو مذكرات صدرت عنه خلال ممارسة مهنته).

وبالنص في المادة ٣١ على أن :

(كل اعتداء يقع على محام خلال ممارسته مهنته أو بسبب ممارستها يجعل المعتدى معاقباً بالعقوبة التى يعاقب بها فيما لو كان الاعتداء واقعاً على قاض).

وتنص المادة ٣٢ على أنه :

«لا يجوز تفتيش مكتب محام أو حجز موجوداته أو وضع الأختام عليه ما لم يكن نقيب المحامين أو مَنْ ينتدبه حاضراً وإلا كان الإجراء باطلاً «وأن يتمتع مقر نقابة المحامين ودوائرها وغرفها بالحصانة الممنوحة لمكتب المحامى.

وأخيراً بالنص في المادة ٣٣ على أن :

«المحامى لا يستجوب عن جرم منسوب إليه إلا بحضور نقيب المحامين أو مَنْ ينتدبه وإلا كان التحقيق باطلاً».

ولا شك أن هذه نصوص أثبت العمل ضرورتها وأملنا وطيد في أن يقرها مجلس الأمة في الدورة القادمة إن شاء الله.

وإلا فكيف يستطيع المحامى أداء واجبه في الدفاع عن حقوق موكليه وحرياتهم وأرواحهم إذا كانت حريته مهددة !!

١٠ ـ المصير المشترك للقاضى والمحامى :

ولعل خير ما أختتم به محاضرتى هو عبارة طريفة عن المصير المشترك للقاضى والمحامى نقلاً عن كتاب (قضاة ومحامين) ترجمة الزميل الأستاذ حسن جلال العروسى إذ يلتقى القاضى والمحامى في خيال المؤلف فيتناجيان ويتشاكيان ويتعاتبان وقد أدركتهما الشيخوخة وبلغت رسالتهما في الخدمة غايتها فاعتزلا والتقيا كزميلين وصنوين يستعرضان مصيرهما المشترك ورصيد عمريهما وما أخذاه من الدنيا وما بذلاه فلم يلبثا أن وجدا نفسيهما لأول مرة جنباً إلى جنب لا وجهاً لوجه يربطهما هدف واحد ومصير واحد وفلسفة حياة واحدة.

ويلخص المحامى حاله فيقول :

هذه حياتنا يا أخى القاضى إذا قصرت استنفدتنا بانطلاق لا يعرف الترتيث وجهد موصول لا يعرف الراحة وإذا استطالت أسلمتنا للنسيان والضياع والجحود... هذا مصيرنا وهو مصير عجيب، وأعجب ما فيه أننى كنت لا أغيّره لقاء كنوز الأرض لو قدر لحياتى أن تبدأ من جديد).

ويلخص القاضي بدوره فلسفة حياته فيقول :

«فما أحسب أن بين وظائف الدنيا وظيفة تخدم قيام السلام بين الناس أكبر مما تخدمه وظيفة القاضي. فلكل جرح من جروح البشرية عنده دواء ناجح اسمه العدالة... وهذا وحده حسبي لتفعم حياتي بهجة وسعادة وسكينة... أما يكفيني أن أطمئن نفساً إلى أنني قضيت الشطر الأعظم من حياتي البشرية القصيرة في توفير سعادة العدالة للنفوس الظمأى إليها - وأسهمت في إرساء قواعد السلام والإيمان بالحق والخير في نفوس الناس».

١١ - وبعد فإن نصيحتي إلى زملائي المحامين الناشئين هي: الاستزادة من العلم والمثابرة على العمل والأمانة والإخلاص مع المحافظة دائماً على آداب المهنة وتقاليدها الشريفة العريقة، حتى يرتفع شأن المحاماة والمحامين ويعلو قدرها وقدرهم في نظر القضاة والمتقاضين والمواطنين أجمعين.

١٢ - ونسمع ختام الأمر كله :

«اتق الله واحفظ وصاياه لأن هذا هو الإنسان كله» (جا ١٢:١٣).

١٣ - والله سيحضر كل عمل إلى الدينونة على كل خفي إن كان خيراً أو شر (جا ١٢:١٤).

١٤ - ويومها لن يكون الله محاسباً بل القاضي العادل.

هل تعلمون أن مهنة الله الأولى هي المحاماة؟

نعم سيأتي اليوم الذي يكون فيه قاضياً.. اقرأ (مزمور ٥٠) لآساف فقبل أن يرسل ناراً قدامه تأكل وحوله عاصف جداً: يكون قد جمع إليه كل أتقيائه القاطعين عهده على ذبيحة المسيح على الصليب وتخبر السموات بعدله لأن الله هو الديان العادل. افهموا هذا أيها الناسون الله لئلا يفترسكم ولا منقذ... ذابح الحمد... يمجده... والمقوم طريقه أريه خلاصي. نعم رأى مشقتنا

حيث أوصلتنا خطايانا فضاقت نفسه بسبب هذه المشقة (قض ١٠:١٦) وهو ما اضطره أن يحامى عن الخاطىء.

«يحامى فينقذ.... يعفو فينجى» (إش ٣١:٥).

مَنْ صدق خبرنا هذا أنه يحامى عنا ولِمَنْ استعلنت زراع الرب... وبعد أن يصفه النبى الإنجيلى إشعياء نبت قدامه كفرخ وكعرق من أرض يابسة لا صورة له ولا جمال فننظر إليه ولا منظر فنشتهيه محتقر ومخذول من الناس رجل أوجاع ومختبر الحزن وكمستتر عنه وجوهنا محتقر فلم نعتد به. لكن أحزاننا حملها وأوجاعنا تحملها ونحن حسبناه مضروباً من الله ومذلولاً وهو مجروح لأجل معاصينا مسحوق لأجل آثامنا تأديب سلامنا عليه وبحبره شفينا كلنا كغنم ضللنا ملنا كل واحد إلى طريقه والرب وضع عليه إثم جميعنا.

لذلك أعلن هو نفسه ولأجل نفسه أن يحامى عن شعبه (٢مل ١٩:٣٤ ، إش ٣٧:٣٥ ، ٣٨:٦ ، ٣١:٥) ويدعونا أن نحامى عن الفقير والمسكين (أم ٣١:٩).

وكذلك يعلن نبيه داود أنه متأكد من عمله هذا من أجله فكان دائماً (يصرخ إلى الله المحامى عنه) (مز ١٣٨:٨ ، ٥٧:٣).

وأدرك ذلك أحد أصدقاء نبى البلايا أيوب منذ فجر الخليقة «ينجى غير البرىء وينجى بطهارة يديك» (أى ٢٢:٢٩).

نعم «رب الجنود (يحامى عنهم» (زكريا ٩:٥).

وستظل صفته هذه محامياً إلى أن تتحقق نبوة إشعياء ١٩:٢٠ ثم يتحول إلى قاضٍ في نهاية الأيام التى قاربت على الانتهاء وصدق مَنْ ترنم:

كنت بالأمس محامى	ارأف قلبى حنون
ولكننى الآن جلست	لأنفِّذ القانون

الفصل الثالث

١ ـ رأيت الله في قاعة محكمة الجنح
٢ ـ رأيت الله في قاعة محكمة الجنايات
٣ ـ رأيت الله مع من رآه في زنزانة السجن

«لأن أمـوره ـ أى الله ـ غير المنظورة تُـرى منذ خلق العالم مدركة بالمصنوعات قدرته السرمدية ولاهوته حتى أنهم بلا عذر» (رو ١:٢٠).

«فـي البـدء كان الكلمـة والكلمـة كان عنـد الله وكان الكلمة الله... كل شيء به كان وبغيره لم يكن شيء مما كان. فيه كانت الحيـاة والحياة كانت نور النـاس والنور يضيء في الظلمة والظلمة لم تدركه» (يو ١:١ ـ ٥).

«والكلمة صار جسداً وحل بيننا ورأينا مجده مجداً كما لوحيد من الآب مملوءاً نعمة وحقاً» (يو ١:١٤).

١ ـ عظيم هو سر التقوى

٢ ـ الله ظهر في الجسد

٣ ـ تبرر في الروح

٤ ـ تراءى لملائكة

٥ ـ كرز به بين الأمم

٦ ـ أؤمن به في العالم

٧ ـ رُفع في المجد

(اتى ٣:١٦)

١ ـ رأيت الله واحداً .. في ثالوث
في محكمة جنح مصر القديمة

قلت إنى قد اخترت عنواناً لهذه المذكرات، أو لهذا الكتاب «نعم رأيت الله في عملى»... وبداهة هذه إجابة عن سؤال هل رأيت الله؟

وثمة سؤال آخر يطرح نفسه بالضرورة وهل يمكن أن نرى الله؟!

دعنى أجيب عن هذا السؤال نعم... إنه يُرى.. ويسير معنا... ويتحدث إلينا... ويسمع لنا... ويجيب عن تساؤلات قلوبنا، وحياتنا... كيف هذا؟ أقول لك لقد رأيته في قاعة محكمة جنح مصر القديمة.

لا ولن أنسى ذلك ما حييت هذا اليوم تساءلت فيه بينى وبين نفسى، ألم يكن هناك بديل أمام الله غير أن يتجسد ويأخذ صورة إنسان، مثلى، ثم يصلب على صليب العار؟

ظل هذا السؤال يفرض نفسه علىّ طوال ليل مؤرق.. فلم يعرف النوم طريقه إلى جفونى لحظات وما أن دق جرس المنبه حتى هرولت مذعوراً ولبست... وبسرعة أخذت حقيبتى وروب المحاماة وتوجهت إلى قاعة محكمة جنح مصر القديمة وقد كانت يؤمئذ بشارع لبيب البتانونى بمصر القديمة.

عرفت رقم رول دعواى، وجلست في أول صف للمحامين.. وأمامنا منصة المستشار رئيس المحكمة.. وعلى يمينى قفص المتهمين.. وبعد انتظار.. أعلن حاجب المحكمة بصوته الجهورى **محكمة .. فُتحت الجلسة.**

وقفنا جميعاً ريثما يدخل سيادة رئيس المحكمة، ثم عضو النيابة، وكان قد سبقهما أمين سر الجلسة وأشار لنا سيادة المستشار بالجلوس فجلسنا، وأعلن بسم الله الرحمن الرحيم انده يا ابنى واحد رول.

بداية الجلسة

أطاع حاجب المحكمة وبأعلى صوته ابتدأ في المناداة ١، ٢، ٣ لم يحضر..

حضر... إلخ وفجأة اتجه نظر السيد المستشار إلى القفص وقال للحاجب انتظر... لا تنده يا حرس اخرج هذه السيدة من القفص وسألها قضيتك رقم كام؟

قالت له عن الرقم... وقد كان في نهاية الرول فأمر بإخراجها من القفص.

فأخرجها بسرعة حرس الجلسة كأمر العدالة ووقفت مطأطأة رأسها أمام المستشار، ولأن سيادته كان دارساً لقضاياه، عارفاً لجميعها، فوجئت به يقول لها... يوجد اعتراف.. وفوجئت به يقول: يا حرس - وأخرج من جيبه حافظة نقوده... وأخرج منها ورقة مالية.. وكتب الحكم... حكمت المحكمة بتغريم المتهمة بمبلغ...... وصاح: خذ المتهمة معك واذهب سدد هذا المبلغ بالخزينة... واعطها الإيصال، ثم نظر لهذه المتهمة التى كانت تحمل وليداً على صدرها، وبالكاد يستر جسدها الواهن أثمال ثوب بالٍ، أخرجى معه خذى الإيصال... روّحى.. لكن لا تعودى إلى هذا الأمر ثانية فاهمة.. قالت: ربنا يخليك يا بيه.. ووسط دهشة الجميع ابتدأ الحاجب في متابعة رول الجلسة، وكأن الله يتكلم إلى قلبى، مجيباً عن سؤالى: هل فهمت؟.

كيف اجتمع عدل هذا القاضى مع رحمته في هذا الموقف؟ هذا ما فعله الله.

١ ـ فالله العادل قال: «النفس التى تخطىء هى تموت».

وأصدر وصية واحدة لأبينا آدم في جنة عدن، ووضع هناك آدم الذي جبله... وأوصى الرب الإله آدم قائلاً: «من جميع شجر الجنة تأكل أكلاً، وأما شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها لأنك يوم تأكل منها موتاً تموت» (تك ٢:١٥، ١٧).

وكلنا يعرف قصة سقوط أبوينا.. كما يسجلها الأصحاح الثالث من سفر التكوين:

«وكانـت الحية أحيـل جميع حيوانـات البرية التى عملهـا الرب الإله فقالـت للمرأة أحقـاً قال الله لا تأكلا من كل شـجر الجنـة فقالت المرأة للحية من ثمر شـجر الجنة نأكل وأما ثمر الشـجرة التى في وسط الجنة فقال الله لا تأكلا منه ولا تمسـاه لئلا تموتا فقالـت الحية للمرأة لن تموتا... بـل الله عالم أنه يوم تأكلان منه تنفتـح أعينكما وتكونان كالله عارفين الخير والشـر فرأت المرأة أن الشـجرة جيدة للأكل، وأنها بهجة للعيون وأن الشـجرة شـهية للنظر فأخذت من ثمرها وأكلت، وأعطت لرجلها أيضاً معهـا فأكل، فانفتحت أعينهمـا وعلما أنهما عريانـان فخاطا أوراق تين وصنعا لأنفسهما مآزر» (تك ١:٣ ـ ٨).

٢ ـ والكتاب المقدس يعلن أن «الحية القديمة .. هو إبليس والشـيطان» (رؤ ٢:٢٠).

٣ ـ كما يعلن «كما بإنسـان واحد دخلت الخطيـة إلى العالم وبالخطية الموت... وهكذا اجتاز الموت إلى جميع الناس إذ أخطأ الجميع» (رو ٦:١٢).

٤ ـ كمـا يعلـن أن نعمة الله «والعطية بالنعمة التى بالإنسـان الواحد يسوع المسيح» (رو ٦:١٥).

٥ ـ وإن كان عـدل الله يطالب بموت الخاطـيء لكن رحمة الله التقت مع عدله فـي الصليب، فأخـذ العدل حقـه، وأعطتنا الرحمة خلاصـه... نعم «العدل والرحمة التقيا» (مز ٨٥:١٠).

٦ ـ نعم، لم تمحُ الأيام صورة هذا القاضى العادل وتلك المرأة الخاطئة... بل المعترفة بخطئها لكن نظرته لها في قفص الاتهام وهى أفقر من أن تعطى لعدلـه مطاليبه.. فما كان من قلبه الرحيـم إلا أن أعطى عدله... بأن أخرج حافظة نقوده وفي العدل مطلبه، فقضى بالغرامة.

وأعطى المرأة خلاصاً من هذا القفص... بل وشـملت رحمته حتى الوقت

فقبل أن يأتى دورها... أمر فأخرجها من هذا الذل داخل هذا القفص وأمر الحارس أن تعطى إيصال سداد الغرامة ويتركها حرة لتذهب إلى بيتها. وهنا قلت لروح الله الآن قد فهمت.

٧ ـ نعم رأيت الله في شخص هذا المستشار رئيس المحكمة العادل الرحيم... شارحاً لى بدقة... وبساطة.. وعمق معاً قضية الصليب.. شكراً لك.. نعم رأيته في قاعة محكمة جنح مصر القديمة الجزئية... وعلمت أن اسم هذا المستشار حمدان بك قنديل وكان ذلك في سنى التمرين في بداية عملى في المحاماة التى بدأتها عام ١٩٦٣ وأدركت ما قاله النبى إرميا «الصانع رحمة وقضاء وعدلاً» (إر ٩:٢٤).

لقد أدركت «أن الكل من الله الذى صالحنا لنفسه بيسوع المسيح... أى أن الله كان في المسيح مصالحاً العالم لنفسه غير حاسب لهم خطاياهم وواضعاً فينا كلمة المصالحة. إذاً نسعى كسفراء عن المسيح كأن الله يعظ بنا نطلب عن المسيح تصالحوا مع الله لأنه جعل الذى لم يعرف خطية خطية لأجلنا لنصير نحن بر الله فيه» (٢كو ٥:١٨ ـ ٢١).

٢ ـ نعم رأيت الله
في قاعة محكمة الجنايات

توجد مخالفة .. عقابها بسيط. كما توجد جنحة جزاؤها أشد وأكبر.. لكن توجد جناية قد تصل العقوبة فيها إلى الأشغال الشاقة المؤبدة، وربما إلى الإعدام.

والآن نحن في محكمة الجنايات، والجريمة قتل عمد مع سبق الاصرار والترصد، والعقوبة معروفة هى الإعدام، والمتهم محام مظلوم.. برىء.. لكن كيف تقتنع العدالة بهذه البراءة؟ وقد قدم للمحاكمة محبوساً؟!

عن اختبار الزميل الأستاذ / صفوت داود المحامى

١ ـ زميل محامٍ، وهو المتهم هنا.

٢ ـ بعد قصة حب سبعة أعوام وفي أول عام زواج وفي الشهر الرابع حملت زوجته.

٣ ـ ويوم عيد ميلادها... لا تعود من عملها... وتوجد مقتولة في مقر عملها بطعنات من مجرم غادر.

٤ ـ وفي دفاعها عن نفسها وصلت يداها إلى أجزاء من لحمه وجلده ودمه... إلخ.

٥ ـ لم تصل الشرطة للجانى... وتفتق ذهنها إلى هذا الزوج المسكين المظلوم.

٦ـ وما أن انتهت مراسم الدفن، والعزاء حتى فوجئ هذا الزميل بأنه مقبوض عليه ومعذب ليعترف أنه القاتل وترتاح المباحث من هذه الجناية.. ولكنه مظلوم.. برىء.

٧ ـ ولم يشفع له تقرير الطب الشرعى بأن ما وُجد بمكان الجثة من دم الجانى ولا خلايا وأنسجة هذا الجانى ليست من خلايا وأنسجة جلد ولحم هذا المحامى البرىء كما قرر الطب الشرعى.

٨ ـ وبقى في التعذيب عدة أيام ـ مرت كالدهر طولاً، عُذب فيها ليس فقط بالضرب والإيلام بشتى الطرق... بل وباستخدام الصواعق الكهربائية... إلخ.

٩ ـ ولولا تلغرافات والديه للنائب العام، ووزير الداخلية، وكافة الجهات ما تم إرساله والأوراق للنيابة ولم تختلف النيابة عن الشرطة وتم حبسه، وأمر قاضى المعارضات باستمرار حبسه وبقى في الحبس ولحين نظرت دعواه وقضى ببراءته بعد ١٦ شهراً (ستة عشر شهراً) كاملة.

١١ ـ ولولا عدل وانصاف وبحث الدائرة عن الحقيقة بطلب بوابة العمارة وسؤالها عن زيارة هذا المسكين لزوجته يوم قتلها... ونفيها ذلك بحزم

ويقين وتأكيد وهى طاعنة في السن - ٩٠ سنة - وقولها للسيد المستشار رئيس الدائرة أنها ستقابل ربها عاجلاً ولذا فهى تقول الحقيقة الكاملة والمؤكدة ما كان قد قضى ببراءة هذا المظلوم.. وصدق مَنْ قال «يا ما في الحبس مظاليم».. اسألوا يوسف الصديق.

١٢ - لكن لأن الله استخدم هذا الزميل الأستاذ صفوت داود المحامى في ربح ٣٢ شخصاً للرب خلال فترة حبسه هذه.. فقد كان هذا غرض الرب.. وياريت تطلب شريط هذا الاختبار بعنوان «يوم ما يتنسيش» من مؤلفه ت : ٠١٢٩٢٩٤٧٤٧

١٤ - وتسلم معى بأن للرب خطة في حياتى وحياتك بل قل معى «يا لعمق غنى الله وحكمته وعلمه. ما أبعد أحكامه عن الفحص وطرقه عن الاستقصاء. لأن مَنْ عرف فكر الرب أو مَنْ صار له مشيراً أو مَنْ سبق فأعطاه فيكافأ لأن منه وبه وله كل الأشياء له المجد إلى الأبد آمين» (رو ١١:٣٣ - ٣٦).

١ - وهكذا في قاعة محكمة جنح ترى الله.

٢ - وفي قاعة محكمة جنايات تعلن الله.

٣ - والآن في زنزانة سجن خمسين عاماً لزميل هو أشهر محامي في أمريكا يكلم الله سائلاً ويجيبه الله

آه يارب، لو أنك جعلتنى أبدأ حياتى من جديد
فسوف أفعل كل ما تريده أنت منى، ولكن يارب،
وإذا كنت حقاً تسمعنى، فأرجو أن تساعدنى،
يارب من فضلك ساعدنى... ساعدنى يارب.

جين نيل المحامى

هذه الصلاة صرخ بها جين نيل أشــهر محامٍ في أمريكا كلها. من داخل زنزانة سجنه، والذى حُكم عليه أن يقضى فيها باقى عمره ـ خمسون سنة سجن ـ فهل سمعها الله؟ وهل أجاب؟ تعال نسمع اختبار هذا السجين:

«في تلـك اللحظة امتلأت الزنزانة بحضور الله.. لقد ســمعته يتحدث معى بصوت عميق جميل وشجى وكله حب هكذا «يا جين، إنى أحبك.. لقد انتظرتك طويلاً، ولكن إذا منحتنى حياتك فسوف أمنحك أنا حياتى».

أما كيف تحققت تلك البركات وتحولت الخمســين سنة سجن إلى عامين وثلاثــة عشــر يوماً خرج بعدها هــذا البائس اليائس مــن الزنزانة إلى خدمة الله الحى الحقيقى الذى ســمع صلاته في سجنه وجاء ليمنحه حياة جديدة ويختــاره لخدمتــه فاقرأ كل هذا فــي الكتيب رقم ١١٢ من سلســلة ينابيع الخلاص إصدار للجنة خلاص النفوس للنشــر بقلم جين نيل المحامى نفســه وتقديم ميرلين كاروثرز وترجمة دكتور جرجس ميلاد ، يوليو ٢٠٠٠

الفصل الرابع

محام نقض وأنا تحت التمرين

«وتأتى عليك هذه البركات.... يفتح لك الرب كنزه الصالح السماء ليعطى مطر أرضك في حينه وليبارك كل عمل يديك... ويجعلك الرب رأساً لا ذنباً وتكون في الارتفاع فقط ولا تكون في الانحطاط..» (تث ٢٨: ١٢، ١٣)

عنوان مرفوض... بل غير مقبول... قانوناً... وأخلاقاً... وديناً... أى روحياً.... وأدبياً... وعالمياً... وقل ما شئت لكن هذا ما حدث!!

دخل إلىّ بائع سولار (جاز).. لا ولن أنسى شكله، ولا رائحته، ولا فضله علىَّ.

ترك لى مبلغاً من المال، وترك أوراقه ـ لأخذ الرأى ـ ولما عاد في الميعاد المحدد.. رفض قبول إعادتى للمبلغ والأوراق معاً ـ لأنها طعن بالنقض وأنا لازلت تحت التمرين ـ قائلاً لى أنا لا أثق إلا فيك... فكيف ترفض أوراقى وترد نقودى؟!!

فشرحت له: أنا محام صغير... لم أُقيد بعد استئناف عالٍ ولا نقضاً بداهة... وأمامى عشرات السنين (ثلاث لحين القيد أمام محاكم الاستئناف وسبع حتى القيد أمام النقض» حتى أصل لهذه الدرجات العُليا في التقاضى. قال لى ومن كل قلبه ستعمل النقض يعنى هتعمله وشوف لك حل مع أستاذك يوقعه وشوف عاوز كام أدفعه لك وليه وانصرف!!

ولقد كان لنا أساتذة نجلس إليهم نبثهم متاعبنا في المهنة... ولا ننسى

فضلهم في نصحنا وإرشادنا لدروب وفنون المهنة ومصادرها الفقهية غير المتاحة لمحام مبتدىء تحت التمرين كما قلت... ومراجع المهنة القضائية من أحكام نقض قديمها... والحديث... الذى انتهى إلى المستحدث من أحكامها الآن... والمهم أعطانى أحد هؤلاء الأساتذة صوراً من صحف الطعن بالنقض المدنى... ومثلها من مذكرات أسباب الطعون الجنائية... فقط طلب منى عدة أمور... وعدته القيام بها وأن أكون عند حُسن ظنه بى:

أولها: أن أقرأ وأدقق الأوراق جيداً.

ثانياً : أن أقرأ وأكتب أسباب الطعن أمام محكمة النقض بأكثر جودة وإدراك وفهم ووعى... لأنه سيراجع كل ما أكتبه.

ثالثاً وهذا يحتم علىّ أن أعرضها عليه عند التوقيع.. (وسلمنى في محبة عشرات من مطبوعاته اللازمة لذلك مع حوافظ مستندات وبعد إقراره وموافقة أستاذيته.. على ما كتبت باسمه يوقعها ويمهرها بخاتم مكتبه... بل وفي اتضاع يفوق العقل يذهب معى إلى حيث يتم إيداع كل ذلك في حينه بقلم كتاب المحكمة مدنياً أو رئاسة القلم الجنائى جزائياً.

وأقول إن هذا صنع منى محامى نقض قبل عشرات السنين من قيدى محام نقض وأضيف للأمانة وليس للفخر أو التفاخر... أنى لم أخسر نقضاً واحداً من هذه الطعون ـ المقامة قبل قيدى محامياً مقبولاً أمام النقض والمحاكم العُليا... وهذه يد الله معى... ولكن وآه من كلمة لكن هذا لم يمنع هذا من القضاء بعدم قبول أو رفض بعض طعونى... بعد أن أصبحت محامياً مقبولاً أمام هذه المحكمة العُليا... وأيضاً أضيف وتلك يد الله في الأحداث لمَنْ يفهم أن كل الأشياء تعمل معاً للخير للذين يحبون الله... كما تناولناه في هذا الكتاب.

ولا ولن أنسى فضل مسئولى محكمة النقض علىَّ... ولا أقصد بذلك اطلاعى على مبادئها وأحكامها... منفردة أو دوائر مجتمعة... وجميعها

منشـــور إن لـم يـكـن فـي مـجـلـة المحاماة... ففـى مـا تـصـدره مـن مـجاميع حـرصـت علــى اقتنائهـــا... مـهـمـا كـلـفـتـنـى هــذه من مـــال... وجـهـد. لـكـن الـــذى أذكـره هـنــا وتلك هـى نـعـمـــة الله... أنـنـى رأيـتـه مـعـى فـي هـذا الأمـــر أيـضـاً فـقـد أقـمـت طـعـنـــاً لأحـد الموكلين قبل قـبـولـى مـحـامـيـاً أمـام مـحـكـمـة الـنـقـض بـاســم أحـد أسـاتـذتـى... وقـيـعـه... أوقـعـه... وتحـدد لـه جـلـسـة اسـتُـدعـى فيـهـا لـلـمـرافـعـة... فـإذ بـه يـتـصـل بـى قـائـلاً عـلـيـك مـقـابـلـتـى غـداً قـبـل الجـلـسـة لـتـشـرح لـى مـا تـقـول:

قـلـت لـه: حـاضـر.

وفـي صـبـاح الجـلـسـة وقـد كـانـت ٣ رول قـال لـى: احـكـى.... حـكـيـت.

قـال: أعـد.... أعـدت.

قـــال قـلـهـم ثـانـيـــة وثـالـثـة... وظـنـنـت أن الأمـر مـداعـبـــة.. فـإذ هـى هـى حـقـيـقـة كـشـــف عـنـهـا مـا فـعـلـه مـعـى عـنـد الـنـداء عـلـى الـطـعـــن إذ خـلـع الـروب ووضـعـه عـلـــىَّ وهـرول خـارجـاً مـــن الـقـاعـة... فـي تـصـرف غـيـر مـتـوقـع تـاركـاً أنـفـاســى وقـد انـحـبـســت مـن هـول الـصـدمـــة... وكـدت أســـقـط عـلـى أرض الـقـاعـة مـغـشـــيـاً عـلـىّ وزاد الأمـر ضـغـثـاً عـلـى إبـالـه أنـى رأيـت الـســيـد الأســـتـاذ المـسـتـشـــار/ رئـيـس الـدائـرة يـنـادى عـلـىَّ بـيـده مـشـيـراً أن أتـقـدم إلـيـه عـلـى المـنـصـة طـبـعـاً أنـت مـحـامـى الـطـعـن ولـســت مـحـامـى نـقـض قـلـت مـتـلـجـلـجـاً.. وبـالـكـاد مـن فـم لـيـسـت لـديـه أى ريـق لـلـكـلام وبـالـتـلـعـثـم... نـعـم. قـال اتـفـضـل اتـرافـع وأمـر كـاتـب الجـلـسـة بـاثـبـات حـضـور الأســـتـاذ الـذى كـان قـد وصـل لا إلـى خـارج الـقـاعـة بـل خـارج بـاب المحـكـمـة فـتـعـجـبـت... كـل الـعـجـب وأصـابـتـنـى الـدهـشـــة فـقـــال لا تـخـف... تـفـضـل... عـلـى مـهـل... وســـمـعـنـى بـســـعـة صـدره وبـطـول أنـاة ثـم مـا أن خـتـمـت مـرافـعـتـى حـتـى شـــجـعـنـى بـالـقـول والمحـكـمـة تـشـــكـر الـدفـــاع وقـد خـرجـت وأنـــا لا أصـدق مـا قـد حـدث... لـكـنـهـا يـد الله الـتـى تحـرك قـلـوب المـلـوك كـجـدول مـيـاه فـي يـده... وقـضـى لـصـالحـى فـي هـذا الـطـعـن. أشـــكـر إلـهـى ألـيســت هـذه نـعـمـتـه... يـده... رعـايـتـه...

شـخصه معى... ألا تقل هللويات وهذا جعلنى أترقب ساعة إتمامى للوقت المعين لقيدى محامياً أمام هذه المحكمة والمحاكم العليا (دستورية، إدارية، عليا.. قيم... إلخ) بفارغ من الصبر.

وقد كانت سبعة أعوام من تاريخ قيدى أمام محاكم الاستئناف العالى فلم أفوت ولو ثانية واحدة من انتظارى وترقبى هذه الفترة التى مرت بسرعة وياللسرور والبهجة يوم أن تلقيت تهنئة محكمة النقض لى بنوال هذا الشرف العظيم وقد كان هذا تقليد هذه المحكمة العريقة العظيمة التقاليد يومئذ... شكراً لله على عطاياه التى لا ولن يعبر عنها الذى «لم يشفق على ابنه بل بذله لأجلنا أجمعين فكيف لا يهبنا أيضاً معه كل شىء» (رو ٨:٣٢).

الفصل الخامس

روب المحاماة دليل الإيمان بوجود إله عادل

"الرب يقاتل عنكم وأنتم تصمتون" (خر ١٤:١٤)
"هذا إلهى فأمجده إله أبى فأرفعه"
"الرب رجل الحرب الرب اسمه" (خر ١٥:٢، ٣)

١ ـ قد تكون صلاتك مع حبقوق النبى «حتى متى يارب أدعو وأنت لا تسمع أصرخ إليك من الظلم وأنت لا تخلص... لِمَ ترينى إثماً وتبصر جوراً... وقدامى اغتصاب وظلم ويحدث خصام وترفع المخاصمة نفسها لذلك جمدت الشريعة ولا يخرج الحكم بتةً لأن الشرير يحيط بالصديق فلذلك يخرج الحكم معوجاً» (حب ١:١ ـ ٤).

٢ ـ أجيبك مع داود في المزمور ٧٥:٢ «لأنى أعين ميعاداً أنا بالمستقيمات أقضى» وفي ترجمة حديثة قرأتها «لأنى أعيِّن ميعاداً أقضى فيه بالانصاف».

٣ ـ أو كلمات حكيم الأجيال كلها سليمان الملك إذ يقول: «إذا رأيت ظلم الفقير ونزع الحق والعدل في البلاد فلا ترتع من الأمر لأن فوق العالى عالياً يلاحظ والأعلى فوقهما» (جا ٨:٥).

٤ ـ ولا تقل «لأن القضاء على العمل الردىء لا يجرى سريعاً فلذلك قد امتلأ قلب بنى البشر فيهم لفعل الشر» (جا ٨:١١).

٥ ـ بل اعرف وبيقين أن «الخاطىء وإن عمل شراً مئة مرة وطالت أيامه إلا أنى أعلم أنه يكون خير للمتقين الله الذين يخافون قدامه ولا يكون خير للشرير وكالظل لا يطيل أيامه لأنه لا يخشى قدام الله» (جا ٨:١٢).

٦ ـ من بين أهداف إلهنا رجل الحرب ـ كيف يستدرج العدو إلى القول «.... اتبع ادرك... أقسم غنيمة... تمتلئ منهم نفسى أجرد سيفى... تفنيهم يدى... نفخت بريحك فغطاهم البحر... غاصوا كالرصاص في مياه غامرة من مثلك بين الآلهة يارب من مثلك معتزاً في القداسة مخوفاً بالتسابيح... صانعاً عجائب...» قراءة أصحاح ١٥ من سفر الخروج في العهد القديم.

٧ ـ «الحمق أفكار المختالين فلا تجرى أيديهم قصداً» (أى ٥:١٢).

٨ ـ ليتك تردد هذه الكلمات «أيها الأولاد لا يضلكم أحد مَنْ يفعل البر فهو بار كما أن ذاك بار. مَنْ يفعل الخطية فهو من إبليس لأن إبليس من البدء يخطىء لأجل هذا أظهر ابن الله لكى ينقض أعمال إبليس» (١يو ٣:٧، ٨).

ولن أستطيع مهما حاولت أن أصف لك مقدار سعادتى في هذه المهنة يوم أتبع إلهى في عمل خلاصته أنه نقض عملاً من أعمال العدو... عندئذ يهون التعب... والكد... وطول الانتظار.. وعامل الزمن هنا يطول بما لا يقاس... فالنقض بعد مشوار ظن العدو أنه الغالب... ومن أسف صدق كذبه كثيرون.. لكن يأتى إلهى بكلمته في النهاية ناقضاً.. لذلك أقول يا مَنْ ظلمت في أول درجة استخدم حقك في الطعن بالاستئناف على هذا الحكم ويا مَنْ لم ينصفك القضاء العالى فإلى النقض الأعلى واذكر وانتظر الله الذى يستطيع أن ينقض لك كل تلك الأحكام... ولا تيأس... في السماء إله قاض.. في الأرض وفي مصر قضاة... هم سدته لحق كل مظلوم.

٩ ـ وليتك تسمع معى كلمات رب المجد وهو يقول لك «أنه ينبغى أن يصلى كل حين ولا يمل. كان في مدينة قاض لا يخاف الله ولا يهاب إنساناً وكان في تلك المدينة أرملة وكانت تأتى إليه قائلة انصفنى من خصمى وكان لا يشاء إلى زمان.. ولكن بعد ذلك قال في نفسه وإن كنت لا أخاف الله ولا أهاب إنساناً فإنى لأجل أن هذه الأرملة تزعجنى أنصفها لئلا تأتى دائماً فتقمعنى وقال الرب.... أفلا ينصف الله مختاريه الصاخرين إليه

نهاراً وليلاً وهو متهمل عليهم... أقول لكم إنه ينصفهم سريعاً ولكن متى جاء ابن الإنسان ألعله يجد الإيمان على الأرض» (لو ١٨:١ ـ ٨).

والآن إلى روب المحاماة وما به من دليل الإيمان !

١ ـ للطبيب رداؤه الأبيض رمز الرحمة وأدوات عمله وأشهرها السماعة وجهاز قياس ضغط الدم.

٢ ـ وللمهندس رداؤه الأزرق، الذى يكابد به العمل الشاق في شمس النهار... وبرد الليل وله أيضاً أدواته وأهمها خوذة حماية لرأسه.

٣ ـ لرجل الشرطة أياً كانت رتبته زيه الرسمى المعروف الذى لا تخطئه عين وبه يتميز، وبه يفتخر وفي كل دول العالم تستطيع أن تميز رجل الشرطة فيها وله أدواته.

٤ ـ ومثله أى القوات المسلحة، بكل أقسامها وتخصصاتها ولها أدواتها وقد تطورت فشملت لا المسدس فقط بل وأجهزة الاتصال السرية والعلنية... إلخ.

٥ ـ وأقوال إن فلاح الأرض له جلبابه ومنطقة الظهر، وفأسه يسير به ذاهباً وآيباً.

٦ ـ وللعامل ملبسه الخاص أو قل «أوفارول» وأدواته وأشهرها المفتاح.

٧ ـ لكن دعنا من كل هذا إلى روب المحاماة وهو أسود، ما خلا تلك القطعة الصغيرة التى تتدلى على الصدر والظهر وفي آخرهما مساحة بيضاء... صغيرة جداً.. إذا قيست بحجم ما خلفها من باقى السواد.

أ ـ أما عن السواد فهى أحزان الموكل، وكم هى عظيمة، ثقيلة، كبيرة، عميقة... يحملها المحامى ـ الوكيل عن هذا الموكل عن طيب خاطر وكأنها أحزانه هو الشخصية، فإن تفكر فيها ليلاً طار نومه، وإن صباحاً تعكر

صفـوه... وراح يبحث وينقب في عشـرات وأحياناً مئـات المراجع والكتب حتى يجد حلاً لهذه المشكلة أو تلك.

ب ـ أما عن القطعة البيضاء الصغيرة فهى الإيمان بالله الذى ينتظره ليجرى الحق والعدل ويظهره وهو يحمل مشقة البحث السابق وبلا كلل أو ملل وإن دل على شـىء فهو الأمل والرجاء وسط غياهب وظلمات الظلم من الأخصام... واليأس... والحزن.

ج ـ أما ما يتحلى به من قطعة ذهبية قد تمثل علم الجمهورية فليس بالضرورى أو اللازم ولكنها زيادة وطنية لا تدخل في صميم تكوينه. لذا نرى البعض يتمسـكون بالهلال الذى يصور رمز الحكومة المصرية القديمة... والآخرون يضعون صقر قريش رمز الجمهورية العربية المتحدة... إلخ.

ولكنهما ليسـا من أساسـياته حاليـاً بدليـل أن الأرواب التى تقدمها النقابة لتشـجيع المحامين عنـد بداية عهدهم بالمحامـاة فهى تخلو من كليهمـا لكن لا تخلو من دليل وجـود الأمل والرجاء والإيمان فـي وجود إله عنده الحل والعدل.

ولمـا كان عمل المحامى ليس فقط في مكتبه بـل وأمام جهات مختلفة. متعددة. حكومية وغيرها مثل الشهر العقارى وأقسام شرطة. وأمام النيابة العامـة. ثم أمام درجات التقاضى والمحاكم بكل فئاتهـا وأنواعها... فإن إيمان المحامـى بعدالة قضية موكله.. وقبولهـا.. وابتداء العمل فيها.. بأمل. ورجاء. وإيمان. وانتظار أن يكلل الله مساعيه وجهده بالانتصار ووصول الحق لصاحبه وخلال كل هذا. هو يرى الله معه. يؤازره ويرشـده. ويعطيه هيبة. ونعمة. في أعين مَنْ يتواجد أمامهم ملتمساً. وراجياً. وطالباً هذا الحق إلى أن يظفر به.

وإن كان لا يلبـس الروب وما به من علامة الإيمان هذا عند مقابلة موكله لكن عليه أن يرتديه في دور المحاكم على اختلاف أنواعها ودرجاتها.

والآن مع اختباراتى في محراب العدالة.

الفصل السادس

كلمة حق وإنصاف لقضائنا العادل

"وقال للقضاة انظروا ما أنتم فاعلون لأنكم لا تقضون للإنسان بل للرب وهو معكم في أمر القضاء" (٢أخ ١٩:٦)

نعم "يوجد إله قاض في الأرض" (مز ٥٨:١١)

يقولون العدل أساس المُلك، ويؤكد داود النبى أن الرب مجرى العدل والقضاء لجميع المظلومين، لكننا في نجنى على القضاء.. بل وعلى الله يقولون الرشوة تعوج القضاء (١صم ٨:٣).

وعندما لا ينصفك القضاء، هل تصرخ في أنين: القضاة كلهم يرتشون، هذا نظير القول إن كل المحامين كذابون أو لصوص أو مخادعون فهذا تعميم خاطيء.. نعم، إن القضاة والمحامين بشر وكل البشر خاطئون... ولكن هل توافقنى أيها القاريء أن الأحكام لله «لأنى أعيِّن ميعاداً أقضى فيه بالإنصاف» (مز ٧٥:٢).

وساعة الله لا تقديم فيها، ولا تأخير.. فلتتعلق أنظارنا بالله، «إنما لله انتظرى يا نفسى لأن من قِبَله رجائى» (مز ٦٢:٥).

ودعنى أنقل لك هذه الأقوال للسيد معالى وزير العدل السابق المستشار الجليل فاروق سيف النصر (١) :

---

(١) من روائع القضاء للأستاذ خالد محمد القاضى ص ٢٤

إن كل مصرى غيور على وضعه وقيمه، يعتز بقضائه وقضاته، ويفخر بالتقاليد التى أرسوها، والقيم التى صانوها... وأنا أشارك بنى وطنى في اعتزازهم بالقضاء المصرى ورجاله، وأعتبرهم من طلائع القوى العاملة على تأمين المجتمع وتوفيرالاستقرار لحركته، ويمكنه من السير قدماً في مسيرة الإصلاح، بالضوابط التى تضمن ألا تجور فئة على أخرى، وألا تهدر الحقوق ويختل توازنها مع الواجبات.

بل دعنى أصور لك حديث الرب الذى سجله الملك يهوشافاط في سفر أخبار الأيام الثانى الأصحاح التاسع عشر الأعداد ٦، ٧، ٨ «وقال للقضاة انظروا ما أنتم فاعلون لأنكم لا تقضون للإنسان بل للرب وهو معكم في أمر القضاء. والآن لتكن هيبة الرب عليكم. احذروا وافعلوا. لأنه ليس عند الرب إلهنا ظلم ولا محاباة ولا ارتشاء. وكذا في أورشليم أقام يهوشافاط من اللاويين والكهنة ومن رؤوس آباء إسرائيل لقضاء الرب والدعاوى. ورجعوا إلى أورشليم».

كانت هذه الآية ولعشرات السنين تتصدر جميع أوراقى القضائية.

ولكى لا أجرح أحاسيس القضاة، وأنا أعمل معهم في محرابهم المقدس، لم أكن أكمل باقى الآيات «لأن إلهنا ليس عنده ظلم ولا محاباة ولا ارتشاء» (٧، ٨).

ولو لم أكن، شاهد عيان لما سأذكره في هذه المذكرات، أو الاختبارات عن القضاء، لما كتبت - بداهة - كيف رأيت الله في هذا المحراب المقدس، وسأبدأ بالقول

في مصر قضاة شموخ عدول

هم ممثلو الله على الأرض

وذلك من خلال أكثر من اختبار..

إنسانية القاضى (١)

القاضى بشر... إنسان... من بنى آدم... وليس من جنس آخر... له عقله وضميره ووجدانه وعواطفه كما له أيضاً سلطته ولقد تشرفت بأن رأيت الله يعمل في جميعهم هذا الذى نصفه بالقسوة أحياناً والعدل والإنصاف أحياناً أخرى وثالثة نصفه بالرحمة والرأفة وأنه باختصار شديد إنسان... ذو قلب رحيم... يترأف على مَنْ يستحق الرأفة. والحقيقة أيضاً أن الله هو الذى يأمره بذلك فيطيع والله هو العامل فينا أن نريد وأن نعمل من أجل المسرة ويوصينا الكتاب المقدس أن تخضع كل نفس للسلاطين الفائقة لأنه ليس سلطان إلا من الله والسلاطين الكائنة هى مرتبة من الله حتى أن مَنْ يقاوم السلطان يقاوم ترتيب الله والمقاومون سيأخذون لأنفسهم دينونة فإن الحكام ليسوا خوفاً للأعمال الصالحة بل للشريرة أفتريد أن لا تخاف السلطان افعل الصلاح فيكون لك مدح منه لأنه خادم الله للصلاح ولكن إن فعلت الشر فخف لأنه لا يحمل السيف عبثاً إذ هو خادم الله منتقم للغضب من الذى يفعل الشر لذلك يلزم أن يخضع له ليس بسبب الغضب فقط بل أيضاً بسبب الضمير... إلخ (رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية ١٣: ١ ـ ٥) ويتحتم علينا دائماً إن قدمنا قرباننا إلى المذبح وهناك تذكرنا أن لأخينا شيئاً علينا أن نترك هنا قرباننا قدام المذبح ونذهب أولاً نصطلح مع أخينا «وحينئذ تعال وقدم قربانك.... كن مراضياً لخصمك سريعاً ما دمت معه في الطريق لئلا يسلمك الخصم إلى القاضى ويسلمك القاضى إلى الشرطى فتُلقى في السجن الحق أقول لك لا تخرج من هناك حتي توفى الفلس الأخير (متى ٥: ٢٣ ـ ٢٦). نعم لله إرادة في أن «ينجى غير البرىء وينجى بطهارة يديك» (سفر أيوب ٢٢: ٣٠) حتى إن اختبارنا يؤكد أننا أحياناً كثيرة نفرح مع النبى والملك داود بعد جرمه وزناه وقتله الشنيع بمزموره الشهير مزمور طلب الرحمة مزمور التوبة المزمور الحادى والخمسين:

ارحمنى يا الله حسب رحمتك حسب كثرة رأفتك امح معاصى. اغسلنى كثيراً من إثمى ومن خطيتى طهرنى لأنى عارف بمعاصى وخطيتى أمامى دائماً. إليك وحدك أخطأت والشر قدام عينيك صنعت لكى تتبرر في أقوالك وتزكور في قضائك... إلخ ولأنه لا علاج لخطيته يصرخ لأنك لا تسر بذبيحة وإلا فكنت أقدمها بمحرقة لا ترضى والحل لا ولم ولن يكون إلا في أن تشمله مراحم الله وهو ما أعلنه النبى ناثان له بعد أن بليت عظامه من زفيره اليوم كله لأن يد الرب ثقلت عليه نهاراً وليلاً تحولت رطوبته إلى يبوسة القيظ (مزمور ٣٢:٢، ٤) واعترف لناثان النبى: «قد أخطأت إلي الرب» (٢صم ١٢:١٣) فقال ناثان لداود الرب أيضاً قد نقل عنك خطيتك لا تموت: ولكن إلى مَنْ نقل الخطية؟ يجيب الوحى المقدس: «والرب وضع عليه إثم جميعنا» (إش ٥٣:٦) فعندما لا يكون للإنسان عذر وعندما تغلق أمامنا كل الأبواب لا يبقى غير باب مراحم ورأفة الله وهو ما تعودنا أن نستعمل ويستعمله معنا للقضاء في الكلمات وطلب استعمال منتهى الرأفة وسأحكى الآن بعضاً من قصص واختبارات إنسانية القاضى التى ظهرت علانية في أحكامه أو سلوكه وحفرت في عقلى ووجدانى ولن أنساها:

إنسانية القاضى شرحت لى الثالوث والتجسد والصليب والرحمة تناولته في أولى صفحات هذا الكتاب.

إنسانية القاضى (٢)

الرحمة بتلميذ والافراج عنه وبلا ضمان ليؤدى إمتحان شهادة الإعدادية.

لا أنسى من كل هذا سوى أن جاء لى أحد الآباء من جيراننا يرجونى الحضور مع ابنه الحدث أمام محكمة الأحداث... ولا يهم موضوع القضية فقد كان اتهام ملفق بسرقة خروف العيد من جار يكيد للأسرة ويريد للانتقام ببلاغ كاذب.

ولأن الاتهام سـرقة وتعجل السيد/ وكيل النيابة المحقق ولم يتسع وقته لسماع أقوال الولد ولاد دفاعه ولا شهوده وهكذا أمر بحبسه ٤ أيام وجاءنى الأب باكياً شاكياً لا للاتهام فقط ولكن لأنها ملفقة وكثيراً ما كان بينهما خلافات سابقة وهذا موضوع دفاعه لكن ليس وقته لكن مع كل هذا وقبله أن امتحان هذا الحدث المظلوم في شهادة إتمام الدراسة الإعدادية سيجىء خلال هذه الأربعة أيام ولم يتسع أيضاً وقت وكيل النيابة المحقق لسماع هذا ولم يكن أمامى سوى أن أقدم طلب للسيد/ المستشار رئيس محكمة الأحداث الذي سينظر القضية لتقصير ميعاد المعارضة إلى اليوم وكان أمامنا عدة مشقات وعقبات كالجبال الشوامخ وكالحواجز البارليفية الاختراع:

١ ـ النيابة والتى سوف تصر على قرارها.

٢ ـ الشرطة فكيف نبلغها.

٣ ـ الامكانيات فكيف نحضر هذا المتهم الحدث ومَنْ الذى سيحرسه من مجيئه مكبلاً من حيث تم إيداعه لمقر المحكمة ونقلت كل ذلك للسيد/ القاضى الأب والإنسان الذى له أبناء ويعرف مشاعر الأبوة وقبل الطلب وأمر... وفي أبوه حانيه مع أنه في وسعه أن يأمر باستخدام لغة الود والعتاب الرقيق مع وكيل النيابة الآمر بالحبس وقال له بالحرف الواحد دون الدخول في الموضوع أو بحثه الآن استخدم سلطتك وأمر باحضاره من السجن أو الحبس أو دار الرعاية أو القسم أياً كان ولن أغادر المحكمة حتى يحضر وقد أمرت بتقصير الجلسة لليوم الآن وانفرجت أسارير الأب القاضى وانشرح قلبه وملأ القاعة بالبهجة عندما رحب بقدوم هذا الحدث وأمر بالافراج عنه من سراى المحكمة وقال وبعد الامتحان لنا لقاء وكان اللقاء وسمع شهوده وأكمل مشوار سلطته وعدله فلم يندم على قراره بالافراج لأنه اقتنع ببراءته وسجد الأب الجار لله شكراً لأن هذا كله لم يحقق قصد عدوه وفوت المكيدة عليه:

١ ـ فلم يحرم من الامتحان كما خطط.

٢ ـ ولم يرسب في الامتحان بل نجح.

٣ ـ وناهيك عن حكم البراءة الذى ملأ قلوب الجميع رضا وعرفاناً أن في مصر قضاة شموخاً عدولاً قلبهم قلب بشر وقد استخاروا الله فقد قادهم وحكم بهم وفيهم... أياً كان الحكم.

إنسانية القاضى (٣)

الله يحرك قلب القاضى رحمة باضطراب وقلق طبيبة جاره.

إنها دكتورة ن . ع . جارتى في ٣٠ عماد الدين يومئذ زوجة الدكتور ح . ف. صاحب صيدلية الاعتماد بباب الحديد... أثناء قيادتها لسيارتها تركت طفلة يد أمها وانطلقت أمامها فجأة ورغم سرعة الدكتورة القليلة جداً إلا أنها لم تنجح في تفادى الاصطدام بها وحملتها للمستشفى واطمأنت عليها وانصرفت ولكن إلى القسم ثم النيابة التى أفرجت عنها ولكن هذا هو المتهم فالمقصود أنها رغم عدم خطأها فوجئت بالإعلان لها للحضور لجلسة معها.. لم تنم الليل وزاد الأمور ضيقاً أنها كانت قد ارتبطت بحكم عملها بكبرى شركات الأدوية في مصر بالسفر لرحلة عمل في الخارج قبل هذا التاريخ فماذا تعمل وأخذ الاضطراب معها كل مأخذ حتى طار نومها فكيف تسافر وهى هكذا متوترة الأعصاب قلقة المشاعر مضطربة التفكير غير مطمئنة على مصيرها ولم تنجح كلماتها القانونية في أن خطأ المجنى عليها هو والداها اللذان تركا مثل هذه الصغيرة في الشارع تلهو وتلعب وسط العربات وسيارات الخطر والترام ولم تجدِ المعلومات الطبية لشرح وتأكيد كلماتنا القانونية فإن أثر المفاجأة وما يسمى بالحادث المفاجىء والقوة القاهرة وخطأ المجنى عليه غير المتوقع والذى لا يمكن تدارك نتائجه يعدم ركن الخطأ في حق الطبيبة وينفى علاقة السببية بين النتيجة الضارة

أو الإصابة التي حدثت وبين سلوكها وهو القيادة واضطرتني أن ألجأ إلى المعلومات الطبية لكي ما تستريح وتهدأ وأشرح لها أننا قضاة جلوس أم وقوف نعرف أكثر منها في دقة الحقائق الآتية لكي ما تطمئن.

١ ـ أن العين ترى اندفاع هذه الطفلة.

٢ ـ والعين تنقل للمخ ما رأت.

٣ ـ ويبدأ العقل أو المخ في اتخاذ القرار المناسب.

٤ ـ هل الفرامل وآلة التنبيه أو الانحراف يميناً أم شمالاً.... إلخ وكل هذا معاً وكل ذلك والسيارة تسير وهو معروف عالمياً... وطبياً... وقانونياً بـ "**زمن رد الفعل العصبي**" .

٥ ـ وخلال هذا الزمن لا مسئولية على القائد للسيارة أمام مثل هذا الاندفاع من المجني عليها الطفلة.

٦ ـ ثم تبدأ مسافة أخري وهي مسافة استنفاذ الطاقة أو الفرامل وهي فترة مهما قصرت تكون السيارة فيها متجهة إلى التوقف النهائي ولكنها تحتاج إلى وقت مهما كان.

٧ ـ ومن مجموع المسافتين وبعد نهايتهما تبدأ المسئولية... إلخ.

لم تنجح أقوالي... كما لم تنفع أقوى المهدئات في إعطائها قليلاً من النوم أو بعض الهدوء. قالت لا أستطيع الانتظار ليوم الجلسة ولم يكن قانون الاجراءات قد تعدل ويمكن الحضور عنها بتوكيل فقد حدث هذا التعديل فيما بعد مما يتحتم حضورها الجلسة وإلا فلا حضور لي حتى صرخت أليس لديكم ما يقدّر شجاعة متهم وليكن ما يكون فإني بريئة أمام الله ومرتاحة الضمير. قلت لها طالما هناك راحة للضمير فلماذا تقلقين. قالت:

راحة الضمير شيء والخوف والاضطراب والتوتر شيء آخر طبياً. قلت لها: المرجع كله للسيد المستشار/ رئيس المحكمة الذى سينظر الجنحة وسأقدم له طلب تقصير لتلك الجلسة مؤيداً بالمستندات.

١ ـ جواز سفرك وبه تأشيرة السفر.

٢ ـ تذكرة الطائرة.

وهو وما يراه قالت اعمل ذلك ولن أطيل فاذكر لكم... بحث احتمال مثل الموقف... ومدى عدم إمكانية التكهن بالنتائج وما يمكن أن يزيد كل ذلك توترها... وقد فعلت وكان القاضى إنساناً وقصر الجلسة لأسبوع وحضرت وحضرنا معها وترافعت وشكراً لله ولعدالة قضائنا. كان الحكم بالبراءة ولم تطعن النيابة بالاستئناف وسافرت الدكتور شاكرة للرب ولقضائنا مرتاحة الضمير والعقل وأنت والقلب معاً شكراً لله لولا إنسانية القاضى السيد/ رئيس المحكمة لما كان لنا أن نسجل هذا الاختبار... ولولا عناية السماء والرب مجرى العدل والقضاء للمظلومين لما كان لى أن أقول نعم القرار في يد الله رغم هذه الظروف كلها والقضاة في يد الله ينفذون إرادته أياً كانت أحكامهم. ألا تشترك معى في هذا وتقول شكراً لل؟ه.

إنسانية القاضى (٣) رغم خطأى يعطينى فرصة للتصحيح

كانت الجنحة تخلف عن أداء الخدمة العسكرية وطبقاً لقانون التجنيد المعلوم لكل أسرة لديها أكثر من ابن... ومع تقدم السن بالوالد يؤجل تجنيد الابن العائل لأبويه لحين انتهاء خدمة الابن الآخر. رحمة بالأسرة.. ولكى يتوفر لها العائل.. نظراً لبلوغ الوالد سن التقاعد كما قلنا... ويثبت هذا بصورة قيد عائلى رسمية من السجل المدنى تعارف عليه الناس بأنه كشف عيلة وكلنا يعلم أن سن التجنيد ٣٠ ثلاثون عاماً فإذا كان الفارق بين سن الذى جند ويخدم بالقوات المسلحة... والابن الآخر المطلوب للتجنيد تسعة أعوام ويوم واحد فإن النتيجة الحسابية والمنطقية. والقانونية معاً أنه لا ولن يتم تجنيده فيعفى... لأنه سيبلغ الثلاثين عاماً... ولا يزال أخوه مجنداً.

وعند حسابى للتسعة أعوام أخطأت ولم أدرك بخطأى... فقد ذكرت تاريخ ميلاد الابن الذى يليه لا تاريخ ميلاد المتهم وهذا خطأ... وترافعت.. وارتفع صوتى... وإذ بى أجد أن وكيل النيابة... يميل على أذن السيد المستشار رئيس المحكمة ليخبره بأنى أخطأت الحساب.

وفوجئت بالسيد المستشار لا يستوقفنى ولا يفضح جهلى في حساب المدة... بل بإشارة كلها إنسانية وعطف وحب وحنان جعلها الله أبى في قلبه بل وفي قلب كل قاض في كل زمان وآن وإلى انتهاء الزمان... يطلبنى أن أصعد إلى المنصة وأقترب منه... ليخبرنى بتأجيل القضية أسبوعاً لمراجعة تواريخ ميلاد أخوة المتهم بالمقارنة بتاريخ ميلاد الوالد والجند.... إلخ. وتقديم مذكرة.

ومن عجب أنى بعد الأسبوع وما أن نودى على المتهم حتى بادرنى بالقول: هل صححت التواريخ؟

قلت : نعم صححتها.

فقال: وهل كان الحساب بالجلسة السابقة صحيحاً.

قلت : لا بل مخطئاً لأن الوالد لديه أكثر من ولد والأسماء متشابهة كما هو واضح في صورة القيد العائلية الرسمية المقدم منى ـ أنا أعتذر. فقد كان للوالد أكثر من ابن باسم صبرى ثم صابر وصبرية وصابرين.... إلخ.

قال في اتساع صدر : وهذا ما جعلنى أؤجل نظرها لليوم بصبرٍ عليك ضاحكاً... وأضاف.. لأنى أعلم أنك لا تقصد وجل مَنْ لا يسهو وكلنا بشر..

قله له : أشكر صبر العدالة معى.

قال: المهم ماذا عن سبب التخلف.. وماذا عن سبب العذر... إلخ.

وأبديت له العذر... وكانت الطلبات استعمال منتهى الرأفة..

فقال بروح الأبوة: يعنى مش البراءة... قلت أكيد.

وفوجئت بالغرامة مع وقف التنفيذ!! نعم إن في مصر قضاة عدولاً... شموخاً... يحملون قلب بشر... ويعرفون أن الرحمة والرأفة فوق العدل ولا يقتنصون الأخطاء متى أحسوا بأنها عن غير قصد... بضميرهم المنقاد بروح الله... فالأحكام لله أولاً وأخيراً.. وهم كجدول مياه في يده يميله كما شاء.

إنسانية القاضى (٤)

رغم الواسطة أصدر القضاء حكمه بالبراءة..

«هلموا اسمعوا فأخبركم يا كل الخائفين الله بما صنع لنفسى» (مز ٦٦:١٦).

«كثيرون يطلبون وجه المتسلط أما حق الإنسان عند الرب» (أم ٢٩:٢٦).

«الاحتماء بالرب خير من التوكل على إنسان» (مز ١١٨:٩) أو على الرؤساء (مز ١١٨:٨).

«المبطل أفكار المحتالين فلا تجرى أيديهم قصداً» (أى ٥:١٣).

كنت وكيلاً في جنحتين... من أرملة والدة فتاة مخطوبة.. لابن عمها.. ولأن الخلاف قد دب بين العائلتين... ادّعى كذباً ما يلى:

١ ـ في الجنحة الأولى:

إن خطيبته (ابنة عمه) وأمها الأرملة (زوجة عمه) وكل أخواتها أولاد عمه سرقوا حجرة النوم، وزاد في كذبه ـ أنه كان بها ٥٠٠ جنيه، وبداخلها أجهزة كهربائية..وزعم أن حجرة النوم هذه مشتراه منه بينما هى مشتراه من الخطيبة، والذى سدد الثمن الأم الأرملة.. والأهم أنه أوهم نفسه أنه قد حصل على فاتورة شرائها... مع باقى الأثاث باسمه من معرض الموبيليا.. وأن ادعاءه الكاذب هذا سيكون مصدقاً من الكل لهذا السبب.

والأكثر أهمية، أن تعرف أن هذه الحجرة لم توضع بعد في منزل العروسين بسبب هذا الخلاف وبقيت أجزاؤها متفرقة فيما لو عاينتها الشرطة.. أو النيابة.. أو القضاء ولكن أحداً لم يفعل.

الجنحة الثانية :

أقامتها تلك الأرملة، زوجة عم العريس وابنتها هى الخطيبة ضد هذا المبلّغ ضدهما وباقى إخوة الخطيبة كذباً بالسرقة في الجنحة الأولى وهذا حقهم بداهة بالبلاغ الكاذب والقذف والسب وإلى هنا.. والأمر عادى ومألوف وكثيراً ما يحدث في مجتمعنا المصرى لكن انزعاج هذه الأرملة، وبنتها، وأولادها لأمرين لا ثالث لهما:

١ ـ تشديد السيد / المستشار القاضى على حضورهم جميعاً لأن الجنحة سرقة ولسؤالهم بالجلسة وهم خائفون... رغم يقينهم بالبراءة لأن الاتهام كاذب.. بدليل سبق حفظ النيابة له إدارياً فأقامها هذا الخصم بطريق الادعاء المباشر.

٢ ـ الأمر الثانى وهو الأهم أن قريبهم هذا الخطيب على صلة وثيقة بشخص... قالوا اسمه وهو على صلة بالقاضى وليس هذا القاضى فقط.. بل القضاة وأعضاء النيابة... إلخ ولنسميه (هـ)، ولما كنت وكيلاً عن السيد (هـ) هذا وهم لا يعلمون.. ولى ـ في قضاياه.. وقضية أخرى لأحد أبناء عمومتى أنا سابق عهد معه فأنا أعرفه جيداً وأؤكد صدق كل ما قالوه إنه على صلة بكثير من رجال النيابة والقضاء... إلخ وله معهم باع طويل.. لكننى تمالكت نفسى.. ولم أخبرهم.. وحاولت الاعتذار عن قبول هاتين الجنحتين ولم تنجح المحاولة «الاعتذار» لا سيما وأن من هم؟ محامٍ وكيل هو الذى أقام الجنحة الثانية وحاضر عنهم في الأولى ثم أن حضورهم ليس كموكلين سيدفعون أتعاباً لأسباب لا داعى لذكرها ـ فرفعت قلبى ضارعاً إلى الله زوج الأرملة ووالد اليتيم فطمأنتهم، موجهاً نظرهم إلى الاتكال

علــى الله، وانتظــاره بالصوم والصــلاة وبديهى لم أتصل بهذا الشــخص لطلب إنهاء هذا الموضوع صلحاً.

فالخطيبان أولاد عم وتركت أمرى... وأمرهم على الله لكى يتمجد.. وأكرر القول.

أمر سيادة القاضى بالجلسة السابقة علي حتمية حضورهم وعدم جواز الحضور نيابة عنهم بتوكيل لأنها ســرقة وهذا من حقه وهذا الأمر أزعجنى جــداً.. فحضــرت .. وحضروا معي ومــا أن بدأ القاضى في مباشــرة نظر رول الجلســة وأنا أراقب لأعرف كيف أســتطيع الوقوف على وصول واتصال أكيد للشــخص أو الواسطة بالسيد القاضى وأســميته هـ بحسب ما يمكن أن أســتنتج.. ولكن قرب الرول ٣٨ لم يتح لى فرصة الوقوف علــى شــىء.. إلا أن حركة ظهرت منه عفوياً كشــفت كل شــىء.. فمــا أن وصل إلى هذا الرقم حتــى قالها بصوت عــالٍ جداً ٣٨ لأ .. دى تنتظر آخر الجلســة. قلت ماذا جرى ســيادة الرئيس بعد لم يثبت حضورنا لا أنا ولا محامى الخصم. قال متداركاً الموقف لا.. لا أنا أحب أن أســمعك آخر الجلســة. قلت أنا غريب علــى المحكمة وأول مرة أنال شــرف الحضور أمام العدالة وضيف فما هو ســر رغبة العدالة في ســماع المرافعة فــي مثل هذه الجنحة آخر الجلســة ولــم يحدث في أي جنحة أخرى من ١ إلى ٣٧ فما هو الســر. قال إنها جنحة ســرقة وتحتاج إلى مرافعة.. أليس كذلك. قلت نعم لى كل الشــرف.. قال خليها آخر الجلســة وأمر الحاجــب بالنداء علــى ٣٩ ومكثت في مكانى متابعاً أنظر العســكرى وهــو يقتاد الأم والابنــة والأولاد للقفص فصرخت بأعلــى صوتى خليهم بره القفــص قضيتهم بعد لم تُنظــر.. وهنا انتبه القاضى وقال أيوه ـ منصفاً ـ أيوه خليهم بره القفص قضيتهم لم تُنظر بعد وشكرت الله.

وأثنــاء الانتظــار خالجتنى مشــاعر متضاربة مختلفة. فطــوال ٣١ عاماً قضائيــاً لــم أمارس قط قضية رد قــاضٍ وأقصد بالرد أن أجبــر هذا القاضى

للتنحى من جانبه مشعراً إياه بعدم صلاحيته لنظر الدعوى.. لكنى لم أرغب في رده كعادتى.. فماذا أفعل؟ مع قاض وصل إليه الخصم حسبما هو ظاهر لكل ذى عينين (وطوال ٢٠٨ قضية هي كل رول سيادته في هذا اليوم لم يؤخر محامياً واحداً أو قضية واحدة لآخر الجلسة ليسمع مرافعة إلا قضيتنا؟ فقد كان يسمع ويصغى فيثبت ويدون ويقرأ وأخيراً يصدر قراره... أو يقول العبارة المشهورة الحكم آخر الجلسة. أى انتهت المرافعة إلا قضيتنا نعم إلا جنحتنا.. ماذا أفعل يارب؟ نحوك عينى.. واتجهت بقلبى إلى الله أشكو حظى. كان مالى ومال هذه الجنحة ولماذا يترك الكل محاميهم الذى قام بالواجب ويأتون إلىّ بالملفات من مكتبه يعنى بسهولة سلم سيادة الزميل الملفين معاً لهم.. لماذا؟ هل لأنه عرف الموضوع؟ والتوصية؟ وأخينا هـ أم ماذا؟ يارب أنت بعد المسيطر في محاكمة الناس. هذا إيمانى وذلك هو انتظارى فأسرع يارب بالتدخل.

وأثناء الانتظار لآخر الجلسة:

كان لى ميعاد بالمكتب مهم جداً جداً الساعة ١٢ ظهراً والآن الساعة ١١ر٣٠ ثم الثانية عشرة ثم الواحدة ولم نصل بعد إلى نهاية الرول لمحت أحد إخوة الخطيبة يعبر أمامى بقاعة الجلسة وقد لاحظت صغر سنه بحسب شكله ولابد أنه حدث أى أصغر من ١٨ سنة وسألته.. وطلبت بطاقته فتأكدت من أنه حدث أقل من ١٨ سنة وهو ما وفر لى طمأنينة أضفتها إلى دفوعى المعدة دفعاً جديداً بعدم اختصاص المحكمة بنظر الدعوى بالنسبة لهذا القاصر لصغر سنه وطلبت البطاقة الشخصية وصورتها واستعددت بهذا كأول دفع قانوني أراح ضميرى أنى بذلك قد وصلت قانوناً إلى عدم اختصاص هذا القاضى بنظر الدعوى ويتحتم إحالتها إلى محكمة الأحداث ومضى الوقت ثقيلاً... فجأة رفعت الجلسة وانتظرت طويلاً حتى ينادى على قضيتنا.. المهم نودى على دعوانا وعلي غير

ما توقعت. طلب القاضى أن تحجز للحكم مع مذكرات. شكراً لله.. لكنى بعد لم أستوعب هذا بل رحت أصرخ بأعلى صوتى لقد وعدت حضرتك بأن تسمعنى وانتظرت من الساعة ٩ حتى الآن قرابة خمس ساعات فلابد أن تسمعنى. قال بس بإيجاز. قلت الدفوع فقط والشرح والتفصيل في المذكرات. قال موافق وأثبت دفوعى ودفاعى وحجزها للحكم وكتبت المذكرة شرحاً لكل هذا والتمست (بعد الحكم أصليا بعدم اختصاص المحكمة نوعياً كما قلت لأن بها حدثاً) البراءة ووضعت ثقتى في الله ولم أتصل بصاحبنا بل بأبى خالق صاحبنا والقاضى معاً ويوم الحكم لم يحضر القاضى الملف وبقيت الهواجس تريد أن تلعب في دماغى ولم يتزعزع إيمانى في إلهى أنه لا ولن يخيب رجائى فيه وطبعاً أطل الشيطان بوجهه القبيح معلناً سيبقى رول النيابة بلا تسديد وسيحضر القاضى الملف فيما بعد فوات ميعاد الاستئناف (عشرة أيام) والحكم يكون ضدنا بالحبس مع النفاذ لأنها سرقة بتاريخ سابق وتكون خدمته للخصم مضاعفة.

أ ـ حكم الإدانة.

ب ـ فوات ميعاد الاستئناف

ج ـ حبس مع النفاذ للموكلين جميعاً (الأرملة مع اليتامى).

لكن لم أستسلم لكل هذه المخاوف وطلبت وجه الرب وانتظرته وحده فهو به وله كل شىء وفجأة رن تليفون المكتب والمتحدث هذا الحدث قالها بلهفة شكراً يا أستاذ أخذنا براءة قلت مش معقول؟.. قال إيه اللي مش معقول.. براءة شفتها في الحافظة. قلت أية حافظة؟ قال التى وصلت فيها القضية وتأكدت بنفسى... قلت له هذا هو انتظارى لإلهى وشكرت الرب ومحبته أنه إله عظيم لى. «ليس مثل الله يا يشورون يركب السماء في معونتى والغمام في عظمته. الإله القديم ملجأ والأذرع الأبدية من تحت» (تث ٣٣:٢٦). نعم هو «مجرى العدل والقضاء للمظلومين» (مز ١٠٣:٥) وليس عند

الرب ظلم ولا محاباة ولا ارتشاء (٢أخ ٧:١٩) وقلب الملك في يد الرب كجداول مياه حيثما شاء يميله (أم ٢١:١). في فرصة أن الواسطة لم تتدخل أو تدخلت ولم تفلح.. إلخ التصورات ما حدث على نحو ما وصفه يوم جلسة المرافعة ينفيه بالاضافة إلي ما سيجيء وكل هذا لا يهمنى في شيء إنما المهم هو إلهى وموقفى من إلهى وانتظارى له وموافاته لى.

هللويا.. نعم هللويا.. لقد رأيته منصفاً للمظلوم.. ففى ٤٨ ساعة لابد للقارىء أن يعرف :

١ ـ توصلت الواسطة لأن يستأنف رئيس النيابة حكم القاضى بالبراءة بجلسة (بعد يومين فقط من حكم البراءة) على خلاف تعليمات النائب العام بعدم استئناف الجنح المباشرة لأنها غير مقامة من النيابة.

٢ ـ ولاحظ معى تاريخ ٢٥ والاستئناف ٢٧ ولما كان التعويض المطالب به هو ٥١ ج يعنى الحكم نهائى أى غير قابل للاسئناف.

٣ ـ لأن كان التعديل لنصاب القاضى الجزئى غير قابل للاستئناف من ٥٠ إلى ٥٠٠ جنيه.

٤ ـ ومن عجب لكل الوسائط القضائية بين عضو نيابة في أول عهده إلى وزير العدل نفسه أن يكون هذا الاستئناف بمذكرة من رئيس نيابة في اليوم التالى لصدور حكم البراءة.

٥ ـ ويكتب بالآلة الكاتبة رغم أن الحكم غير قابل للاستئناف كما قلنا لكن هبات الله هى بلا ندامة.. نعم بلا ندامة ولن يرجع فيما وهبنى بنعمته وعن مذكراتى ففى ١٩٩٥/١٢/٢٦ «هل تسلب من الجبار غنيمة وهل يفلت سبى المنصور» (إش ٢٤:٤٩) فإنه هكذا قال الرب حتى سبى الجبار يسلب وغنيمة العاتى يفلت «وأنا أخاصم مخاصمك وأخلص أولادك وأطعم ظالميك لحم أنفسهم ويسكرون بدمهم كما من سلاف فيعلم كل بشر

أنى أنا الرب مخلصك وفاديك عزيز يعقوب» (إش ٤٩:٢٥، ٢٦). اليوم يسجل لى الرب هذه الكلمات عملياً ويقضى برفض الاستئناف المرفوع من النيابة بوساطة السيد/ هـ . ع . ج كما سبق وأشرت وكذا المرفوع منهم بالمخالفة للقانون حيث أن حكمهم غير قابل للاستئناف. نعم يارب لا ولم ولن تسلب من يدك غنيمة ولن يفلت من سبيك أيها المنصور هللويا.

٦ ـ فى جنحة مباشرة تعليمات النائب العام عدم استئنافها طالما هى مرفوعة بالطريق المباشر.

٧ ـ ودلالة كل ذلك واضحة بالذات لى فيما لاحظته عند نظر الاستئناف من السيد/ هـ إلى أحد أعضاء الدائرة الاستئنافية فهلل هذا العضو إلى سيادة المستشار رئيس الدائرة وكاد قلبى ينخلع منى لولا أن سيادته أمر بتأجيلها جلسة بعيدة جداً جداً وفهمت من قراره أنه لا ولن ينصاع طوال مدة رئاسته للدائرة مظهراً امتعاضه من هذه التوصية.

٨ ـ وكان قراره وهو يملك هذا لإعلان تاجر الموبيليا شاهداً في الدعوى وعلى النيابة إتمام الإعلان.

٩ ـ وخلال العام القضائى ١٩٩٥/٩٤ كان العضو يميل على السيد المستشار رئيس الدائرة ويكاد قلبى يقف للمنظر ولكن الرب كان يسعفنى بالتأجيل وفوراً وبلا قرار لآخر الجلسة لما لهذا القرار وضع جميع الموكلين «الأرملة والأولاد في القفص لأنه نهائى كما أن الاستئناف منعدم لعدم التوقيع عليه من المقرر به كما هو مستقر في أحكام محكمة النقض.

١٠ ـ وفى العام القضائى ١٩٩٦/٩٥ والتى أجهز فيه على هذا الاستئناف بتأييد حكم البراءة تأكيداً بأن الله هو صاحب الكلمة الأولى والأخيرة في محكمة الناس فلم يقبل رئيس الدائرة هذا الالتماس وتلك التوصية... ألا تقول معى: إن في مصر قضاة يخافون الله.

الله يحرك قلب ذات الدائرة
فتلغى قضاءها بالسجن خمسة أعوام الشغل وتقضى بالبراءة

«قلب الملك كجداول مياه أينما شاء يميله» (أم ٢٥:١)

أكبر دليل على عدل قضائنا، أنك في إعادة إجراءات في جناية، أمام ذات الدائرة وجد أذناً تسمعك، وعندما تتأكد الدائرة من خطأ حكمها الغيابى والذى كان قد قضى بالسجن مع الشغل خمسة أعوام... تلغى هذا القضاء وتقضى بالبراءة.

هى هى ذات الدائرة!! نعم، أليس هذا عدلاً ما بعده عدل!! وإنصافاً ما بعده إنصاف!!، أسجله لقضائنا بكل الاعتزاز به، والامتنان له، والعرفان بالجميل..

وإلى قاعة جنايات محكمة الجيزة الدائرة ١٨ والجناية تخص المتهم ك .
هـ . أ الشهير م الإتهام :

١ ـ شروع في خطف بنتين في ميدان سفنكس بالمهندسين.

٢ ـ حمل سلاح دون ترخيص له بذلك.

سبب التأجيل لجلسة اليوم مناقشة شهود الاثبات جميعاً السابق إعلانهم مع غرامة ٥٠ ج للكل. الحاجب نادي عليهم وقال لم يحضر سوى شاهدة واحدة.

العجب أن إعادة الاجراءات بعد صدور حكم ٥ أعوام أشغال شاقة اسند إلىّ أمر إعادة الاجراءات وقمت به لجلسة .... وقد كانت يد الرب معى لم يدخل حتى لا السجن بل ولا حتى القسم ليثبت أنه سلم نفسه للحبس بل الاجراءات تمت أنه سلم نفسه صباح الجلسة ورحل للجلسة ويد الرب ظهرت.

التأجيل لدور مقبل لإعلان الشهود كطلبى وهم :

١ ـ ع . ن سائق التاكسى.

٢ ـ أ . م راكبة التاكسى.

٣ ـ ع . م راكبة التاكسى.

٤ ـ ع . أ طباخ برئاسة الجمهورية.

٥ ـ المقدم ج . م مباحث العجوزة.

٦ ـ م . أ بشرطة النجدة.

أما الشاهد رقم ٧ الحاج أ . ع فلم أطلب سماعه. لماذا لم أطلب سماع هذا الشاهد الذى تشهد الأوراق بأنه صاحب المرسديس التى أسرعت كطلب ع . أ الاستعانة به للجرى وراء المتهم لضبطه... إلخ والذى بواسطته تم ضبطه في ميدان سفنكس والسؤال المحير: كيف عرفه .. كيف ضبطه .. كيف وكيف... ولكن الذى حيرنى كيف تأجل نظر الجناية لدور مقبل مع حبس المتهم وهذا جعل مكانتنا وسمعتنا بل سداد الموكل لمقدم الأتعاب سهلاً ميسوراً فيما أرى.

أما لماذا حدد لها جلسة وبهذه الجلسة نودى على الشهود لم يحضر أحد رغم إعلانهم وقرار التأجيل لجلسة ٨/٧ مع حبس المتهم ولم أكن أتصور أن هذا سيحدث وكان هذا قراراً أراح كثيرين من تعب المتهم وأخص تحديداً زوجة هذا المتهم.. عجب أن تعلن ارتياحها لحبسه والأعجب أنها حضرت المحكمة وتشاجرت معى وطلبت منى عناوين الشهود للتوجه إليهم وبعد عدم نجاحها رجعت لنا شاكية باكية وفي التليفون الذى أعطته لى ربعه يكفى عن سوء فهم إلى هنا فهى حسب الظاهر تطلب البراءة لزوجها حتى ولو دفعت ٢٠٠٠ ج للشهود ليغيروا أقوالهم كما قالت لى.. لكنها

كمـا ادعت لم تسـتطع الوصول إليهـم إما تغير العواطـف فيما بعد لا أعرف له سبباً سوى شر الإنسان حتى ولو كانت هذه الزوجة كما ستعرف فيما بعد.

المهم : لجلسة ...... مع حبس المتهم حاولت مع المستشار / رئيس الدائرة التأجيل مع الافراج نظراً لعدم حضور الشهود لكنه رفض وعندما عاتبت في أدب ألم تفرجوا عنه في ١٩٩٣/٢/٩ ومن ذات الدائرة بالهيئة الموقرة؟!

أجاب في شموخ وعظمة أليس من حقي؟

قلت : مـن حقكم ولكن افراجكم عن موكلي سابقاً.. وهو الحاضر في إعادة الإجراءات بلا إعلان.

قال : لا هذا مسجل خطر وأقدم الدليل على خطأه فقد اتهمه المقدم ج . م مباحث العجوزة واصطنع محضر التحريات بأنه مسجل خطر وذكر له سرقات وأنه من المعتادين خطف أشياء والفوادة... إلخ قلت لا دليل في الأوراق لأن أرقام المحاضر لا تخصه وسنقدم الدليل ويمكن تكليف النيابة بذلك لأنه دليل إثبات قال رئيس الجلسة ليس لك كلام في هذا اليوم أترافع واحنا جاهزين قلت: لكن الدعوى غير جاهزة. قال: القرار آخر الجلسة وكان التأجيل لجلسة ٨/٧/...... مع استمرار حبس المتهم الكل يئن لحبس المتهم احتياطياً ماذا أفعل والشهود لم يحضروا ورحت أنكب على دراسة الجناية من جديد وأعددت نفسي للمرافعة سواء حضر الشهود أو لم يحضروا.

ولأن الجلسة ٨/٧/....... ومعلوم حرارة أغسطس هذا العام بالذات وحضرت من الإسكندرية واقف على رجلي من ٦ م إلى ١٥ر٩ م لعدم وجود حجز وأخذت التربيني ١٥ر٧ إلى ١٥ر٩ ولولا رحمة ربنا وعلى صفيحة زبالة بالبوفيه جلست حوالي نصف ساعة كنت وقعت من طولي.

المهم : لم تحضر سوى الشاهدة ع شاهدة من ٧ شهود اثبات ثم ترافعت على مدى ساعة مقدماً ١٤ دليل براءة والحكم بعد المداولة كما هو القرار خرجت من القاعة وأنا غرقان عرق وجدت الأستاذ شقيق المتهم والمدام زوجة المتهم وانصرفت وهم يشكرونى والله الموفق وتركت لها رقم تليفون المكتب والمنزل للاتصال وظللت بالمكتب حتى ٣٠ر٣ ولم يتصل أحد ثم فجأة اتصل أحدهم صائحاً أهنيك على البراءة؟!!! وقبل أن أسجد شكراً لله رن جرس التليفون والمتحدث زوجة المتهم ومن عجب أنها تدعى على وليس لى مليم واحد لك يا ابن.... يا ابن.... كيف أخرجته من السجن.... ما كان مريحنى حبسه؟! يارب لم أفهم لماذا وفقتنى في اقناع الدائرة بالبراءة لا أصدق نعم لا أصدق صحيح:

١ ـ الاتهام صعب التصديق في ميدان عام شروع في خطف بنتين من تاكسى.

٢ ـ تناقض أقوال الشهود مع بعضهم في حوالى ١٤ نقطة أظهرتها للعدالة.

٣ ـ حتى تشككت المحكمة في شخص المتهم.

٤ ـ وأظهرت بمستند رسمى كذلك التحريك.

٥ ـ ولعلى بذلك أكون قد أخرجت المتهم من دائرة مسجل خطر.

طالما هو هكذا لم يثبت عليه بدليل أنه سارق بالاكراه ولا خاطف للنساء ودليل ثابت للأرقام في تحريات المباحث المهم لماذا يارب أفرجت عنه من ١٩٩٣/٢/٩؟ يقول لخيرك أنت طب دى عرفتها ومن السهل علىّ أفهمها أما الذى لم أفهمه لماذا حسبته ومن ذات الدائرة التى أفرجت عنه ثم عتاب العدالة بأدب... ولم تغضب... واعلم أيها القارىء أن الدائرة هى هى مصدره الحكم بسجنه خمس سنوات مع الشغل ثم تقتنع وتقضى بالبراءة هذا

عجب فـي عجب؟ وتلغـى قضاءها السـابق أما غضب زوجتـه لذلك... فلا أعرف له سبباً. نعم لم أفهم ولم أفكر في أتعابى خلال أغسطس ..... فهى عندك أنت لأنه من أشـهر الاجازات التى لا دخل فيها نعم عندك أنت والذى لـم أعرفه اليوم سـأعرفه غـداً فقط لقد كانت يدك معـى وإلا ما حصلت علـى هذه البراءة فشـكراً لك يارب فهمـت أو لم أفهم ودفعـوا الأتعاب أو لم يدفعوها وإن كنت على ثقة بشـخصك أنك تقول فيكون وتأمر فيصير. هللويا.. اقبل منى الشـكر وسـاعدنى حتى أدخل معمل الله وآخذ الرد في حينـه مـن فمك... يا مَنْ بيدك أمرى.. شـكراً لك فمنك وبـك ولك نعم كل الأشياء ويكفى أنك حققت وعدك معى (إش ١٢:٢٦) في هذه الجناية كطلبى منك السـلام والبـراءة فقد كنت هادئاً يملأ قلبى سـلام هذا سـره الآن ولم أكن أعلمها من قبل أنها أيضاً البراءة لهذا الجانى كطلبات أو شـفاعتنا له كمحامٍ.... بل شفاعتك يا أرحم الراحمين.

فقد سـألنى الأخ ث مـن أقربائى في ذات اليوم وسـأل عن موضوع هذه الجناية وهل أعلم إذا ما كان المتهم ارتكب الفعل أم لا؟

قلت له لا أعلم والأوراق والتحقيقات وملف الجناية هو موضوع مرافعتى ولا داعى لمثل سؤالك لأن الرب يعطى للإنسان فرصة وأخرى وثالثة بل ومليون فرصة وفي النهاية يختم على تأديب الناس وأنا لا أثقل على ضميرى فأسأل كل شـخص أنت عملت ولا سويت بل كما عمل الرب يسوع المسيح لأجلي وكمـا عمل الأب مع الابن الضال قبله فرحاً لم يدعه يقول أكثر من أخطأت إلى السماء وقدامك (لوقا ١٥) أما باقى العبارات فلم يدعه يقولها وكان فرح لهـذا البيت لأن ابني هذا كان ميتاً فعاش وكان ضالاً فوُجد. يارب سـاعدنى خـلال العام الـ ٣١ الواحـد والثلاثين قضائية في هذا العمـل المحاماة يومئذ ١٩٩٣ نعـم بهذا أعرف ماذا فعلته لأجلى يـا محامى أصرخ إلي الله المحامى عنى الشـفيع لى. شـكراً لك أولاً وأخيراً يا محامينـا الأعظم وخرج المتهم

ك . هـ . ع براءة براءة هللويا.. الرب محامى له... هللويا... شكراً لك. وعندما رجعت للإسكندرية وجدت العائلة تنتظرنى يخفون الخناصر في ثيابهم وهى ليست خناجر بل خناصر جمع خنصر إشارة إلى أصغر أصبع في يدك لكنه سكين في يدهم جزارين وفي جيوبهم ليقتلونى أنا وشقيق المتهم إذا حبس رغم أنه مقضى بحبسه خمس أعوام كما قلت ولا دخل لى ولشقيقه في هذا فشكرت الله أن قضى بالبراءة.

١ ـ ولما سألت عن السبب؟ قالوا لأننا اعتقدنا ـ خطأ ـ أنه وكلك وسدد لك أتعاباً لتحبسه وهو أخونا برضه.

٢ ـ طيب وحرمه شتمتنى لما أخذت البراءة.. لماذا؟ قالوا: ما هى كانت مرتاحة منه وهو في السجن.. عجب في عجب!! ألا تندهش معى؟!

٣ ـ وشكرت الرب أنه لم يسلمنى لمرام أعدائى وضاعت الأتعاب التى لم يسدد إلا القليل منها مجبراً بعد عدة أشهر... وتركت عوضى على الله الذى تألم لضيقى... وأعاده لى في اتهام جديد سدد معه جزءاً من القديم.... إلخ.. نعم.. إنها يد الله.

حُكم كُتب باصبع الله

حُكم قد كُتب بأصبع الله هكذا قالها أمين السر أو الرب مُجرى العدل والقضاء لجميع المظلومين كما يقول الكتاب (مز ١٠٣:٥).

لم يكن الموكل في هذه الدعوى عادياً، بل زميل فاضل، صديق عزيز أكن له احتراماً خاصاً... رحبت به، وإذ بها قضية لا تخصه، وهنا تعجبت.. إنها قضايا قطع فيها سيادته شوطاً والآن هى في الجنح المستأنفة فقلت معتذراً كمّل حضرتك المشوار فاعتذر وادعى أن هناك موانع أدبية لم يفصح عنها في بداية الأمر لكن بعد أن انتهت لصالح موكلته صاحبة الدعوى فسر لى أو أوضح كل شىء ودعنى ألخص لك الواقعات في نقاط.

١ ـ نزاع بين زوجين ... انتهى بالطلاق.

٢ ـ واشترط الزوج لبقاء الأولاد في رعاية الأم أن تبيع له والدتها نصف عقار تملكه.

٣ ـ ولتعلق قلب الأم بفلذة أكبادها (ولتفادى حقه في ضمهم وبقائهم معها).

٤ ـ ولأمور أخرى كثيرة لادعى أو لا تهم في موضوعنا هنا قبلت الأم.

٥ ـ وأسندت إلى محاميها تحرير عقد البيع منها لهذا الزوج قاسي القلب لنصف العقار... لا بل تطورت الأمور إلى العقار كله على أن تتسلم الابنة أو الزوجة مقابل النصف الآخر للانفاق منه على الأولاد.

٦ ـ ويوم تحرير العقد فوجئت بأن المحامى وهو محامى والدتها سابقاً يطلب توقيع عقد البيع على أن الثمن خالص رغم أن جزءاً كبيراً باق.

٧ ـ ولثقتها فيه وقعت الأم أمام وعوده بأنه يضمن هذا المشترى والمهندس والمقاول... إلخ في السداد.

وافقت الأم .. وابنتها في سبيل بقاء الأولاد معها وسلمت الشيكات لابنتها... لأن الشيكات تحررت باسمها.

٨ ـ وفي يوم الاستحقاق توجهت للبنك للصرف فإذ البنك يرفض بتأشيره كسرت قلب الطليقة.. الحاضنة.. «الرجوع على الساحب لعدم وجود رصيد يسمح».

٩ ـ ومن عجب ... نعم من عجب أن يكون هذا المحامى معها يومئذ.

١٠ ـ فقال لها وقد تظاهر بأن هذا يدهشه هيا بنا للنيابة نقدم ضده جنحة شيك بدون رصيد.

١١ ـ وباختصار تحرر بلاغ بكل ذلك وقدمته النيابة لجلسة للمحاكمة وليأخذ

هـــذا الجانى جزاء ما اقتــرف لأنه حق أولاده لأنها نفقة لهم... بل وفي حق هذا الزميل الذى وعد أنه ضامن له، وها هو يخزله.

١٢ ـ ويوم الجلسة حضر هذا الزميل المحامى ـ ولا تنس أنه محامى العائلة أولاً أم الزوجة عند تحرير عقد البيع ومن قبله لعشرات السنين.

ثانياً الزوجة أو المطلقة الآن وأم الأولاد أعنى بذلك أنه موضوع ثقة الاثنين معـــاً. ولكى ما يزيد من ثقتهم به لم يأخـــذ أتعاباً مقدماً، وواعد أيضاً. ولا مؤخراً... وادعى مدنياً وأخرج من جيبه رســـوم هذا الادعاء وســـددها بالجلسة وتأجل نظر الدعوى للإعلان حيث لم يحضر المتهم.

١٣ ـ وانتظـــرت هذه المســـكينة وصول هذه النقود ـ قيمة الشـــيكات وطال الانتظـــار وزادت المماطلـــة وتأجيل لا هـــذا المطلق لها... بـــل محاميها، موضـــوع ثقتهـــا... إلى أن كانت الصاعقـــة، الكارثة التى كادت أن تحطم هذه الزوجة المطلقة ـ وما أبغضها كلمة.

١٤ ـ فقد حضر المتهم ومعه محامى كبير، شهير، وطعن على هذه الشيكات بالتزوير، وهنا احمر وجه محامى هذه المســـكينة، لأن الشيكات محررة فـــي مكتبـــه واصفر واخضـــر، وأخرج منديلاً ليمســـح عرقـــه فما كان منهـــا إلا أن أمســـكت برقبته... أمام القاضى الذى كاد يحبســـها ورفع الجلسة وطلبها في غرفة المداولة سائلاً: كيف لم تحترم نظام الجلسة، وهيبـــة القضـــاء والعدالة فبكـــت وصرخت بأعلى صوتهـــا... إنه محرر هذه الشـــيكات بخط يده... والحاصل على توقيع مطلقى أمام ناظريه، والذى وعد بسداد قيمتها خلال أيام معدودة... ولثقتها به فهو محامىَّ ومحامـــى أمى ومحامى عائلتى... من عشـــرات الســـنين.. فكيف تكون هذه الشيكات مزورة؟

١٥ ـ ولأن القضاء الجنائى قضاء وجدان، وضمير، ولا سلطان لأحد غير ضميره

عليه في تقدير أدلة الدعوى.. رفض أن يؤجل الدعوى وحقق في الموضوع بأسئلة لزوجها.. بل طليقها وهل فعلاً ما حكته المطلقة أم أولاده حق فاعترف بذلك وهل هذه الشيكات هي باق ثمن العقار الذى باعته له أمه أم هذه المسكينة؟ فتلعثم.. ثم صمت.. ثم حاول أن ينكر, ففهم القاضي بوجدانه صدق هذه المظلومة.. وكذب هذا الزوج الظالم, وأصدر قراره الحكم آخر الجلسة.. وكان أن حكم بحبسه.. والتعويض المؤقت... إلخ.. وأحال الأوراق للنيابة لتحقيق التزوير.

١٧ ـ وأحالت النيابة الشيك لمصلحة الطب الشرعى قسم أبحاث التزييف والتزوير.. وباختصار شديد وبعد تقديمه لأوراق المضاهاة من عقد زواجه منها رسمياً, وأوراق فتح حساب بالبنك, وتوقيعاته بالشهر العقارى رسمياً على توكيل محاميه... إلخ أودع الطب الشرعى تقريره الذى عادت به الكارثة, كالصاعقة, على رأس هذه المسكينة.

١٨ ـ وحكم القانون واضح:

(أ) ليس في براءة هذا المتهم لأن الدليل ضده ـ وهو الشيك أو الشيكات ـ ثبت أنها مزورة.

(ب) بل والأدهى والأمر أن النيابة ستُقدم هذه المسكينة للمحاكمة عن إدعائها هذا الذى اتضح كذبها فيه!!

١٩ ـ هرعت إلى مكتب محاميها صارخة أمام عملائه ألم تحرر بخط يدك هذه الشيكات؟ ألم تحصل سيادتك على توقيع هذا المجرم العاتى بشخصك؟ على مكتبك؟ وأمام ناظريك؟

٢٠ ـ وأضافت.. ألم تعدنى بأنك ستحضر لى قيمة هذه الشيكات وستنتهى الجنحة.... إلخ.

٢١ ـ وعبثاً حاول تهدئتها.. أو إنهاء توترها.. وظن أحد العملاء أنها تطاولت

علـى المحامى فأبلغ النجـدة وحاول المحامى أن يمنعه فـكان قد أبلغها... وحضرت النجدة... ومن النجدة للقسم...

٢٢ ـ وماذا يقول هذا المحامى أمام أسئلة هذه المسكينة سوى أن العقد فعلاً محرر بمكتبه والشيكات فعلاً محررة بخطه موقعة أمام عينيه... وعلل أنها ربما زورته يد خفية في أيٍ من مراحل الدعوى ابتدائياً أو استئنافياً وهو غير مسئول.

٢٣ ـ وعاد إلى القسم باغلظ الإيمان.. أنه سيسدد قيمة هذه الشيكات من ماله الخاص ويطلب فرصة.

٢٤ ـ لفت هذا الوعد نظر ضابط الواقعة فهدأ من روع هذه المسكينة وأثبت ما أثبت... وأحال الأوراق للنيابة العامة لاتخاذ شئونها.

٢٥ ـ توجهت هذه المسكينة إلى هذا المحامى مستغيثة لا من الفقر وشدة الحاجة للمبلغ قيمة هذه الشيكات... بل ومن السجن الذى ينتظرها إن بقيت الأمور على ما هى عليه وجلسة الاستئناف لجنحة الشيك قد قاربت... وأسرت إليه وعد المحامى السابق محرر عقد بيع والدتها للشيكات في مكتبه بسداد هذا المبلغ ولكنه يماطل وكان أن أسرع لتقديم شكوى ضد الزميل لنقابة المحامين.

٢٦ ـ وقيل جلسة الجنح المستأنفة قال لها لقد اخترت لك محامياً إدعى أنه أقدر منه وأنه باذن الله سيحصل لها على ما تريد ضماناً للأمرين معاً.

٢٧ ـ وإلى هنا أحضر المدعى بالحق المدنى المستأنف التقرير الطبى الشرعى بأن الشيكات مزورة والشكوى التى قدمت للقسم وللنقابة... لمكتبى... وترك هذه المسكينة وتلك الأوراق... وهرول خارجاً تاركاً هذه الكارثة لتقع لا على رأس هذه المرأة الغلبانة المسكينة، بل على رأسى أنا الذى لا حول ولا قوة لى

أمام هذا الزميل الذى زورت الشيكات في مكتبه و ١٠٠٪ بمعرفته أو على علم منه.. فماذا أفعل؟ وكيف أثبت هذا؟ وتزيد الأمور ضغثا على إباله علىّ أن أكون شهماً فلا أطلب أتعاباً من هذه المظلومة إلا عند نهاية المشوار!!

٢٨ ـ ولأن جلسة نظر شكوى الزميل بالنقابة قد حل موعدها.. أخذت أجمع شمل أشلاء أفكارى... وقد كان رئيس لجنة الشكاوى الأستاذ أحمد عوده المحامى ـ باركه الله وسدد خطاه وكافأه عنى وعن هذه المسكينة خيراً ـ هو الذى بدأ السؤال للزميل:

س : ألم تحرر هذه الشيكات في مكتبك؟

ج : نعم.

س : ألم يوقعها هذا الزوج أو المطلق أمام ناظريك؟

ج : نعم.

س : اشرح لنا كيف زورت؟

ج : لا أعلم... وعندى تسجيل صوتى لهذا الخصم وآخرين بأنها زورت في المحكمة.

س : أين هذا التسجيل؟

ج : أعد باحضاره.

وتأجل نظر الشكوى لجلسة قصيرة.

٢٩ ـ ولم يحضر تسجيلاً... بل اعترض أن ابنته قد سجلت على الشريط أغنية محت هذا التسجيل دون أن يعلم...

٣٠ ـ ولا أنسى موقف هذا الزميل وهو يحكى ذلك أمام ثورة الأستاذ أحمد عودة الذى قال بالحرف الواحد:

مطلقة سلمت لك رقبتها، تُسلم هذه الثقة لخصمها ليقتلها

ولا تقف بجوارها؟ ويقف بجوارها أخونا المسيحى هذا (يقصدنى أنا طبعاً).. ألا تنصف أختك المسلمة؟!

وهنا اعترضت على ثبوت كل هذا وقلت: كلنا إخوة وإنما طلبت إثبات نكوصه عن وعده ووجهت إليه سؤالاً عن وعده باحضار قيمة هذه الشيكات من مطلقتها أو من ماله الخاص وسأفعل... المهم حجزت الشكوى القرار.

٣١ ـ وبقيت الجولة الأخيرة في ساحة الجنح المستأنفة فماذا أقول؟ وبماذا أجيب عن هذا التقرير الذى ضد هذه المسكينة؟

٣٢ ـ قدمت صورة من هذه الشكوى التى بها أقوال هذا المحامى المؤكدة إثبات أن الشيكات حُررت في مكتبه وأن توقيعها كان أمام ناظريه... إلخ ما سبق شرحه.

٣٣ ـ ولم يسمح المحامى بتسليم صورة ضوئية رسمية من هذه الشكوى أو أى شكوى من النقابة ـ إلا للعبد لله كما أخبرنى أخى وحبيبى وصديق عمرى الأستاذ أحمد عوده المحامى وكان لهذا أثره أمام المحكمة الاستئنافية فطلبت هذا المحامى لمناقشته!! واستجابت العدالة!!

٣٤ ـ وكل مَنْ له صلة بالقضاء والمحاكم يعلم أن هذا مستحيل.. بل من رابع المستحيلات لكنه الله.. العدل المطلق، والذى أخذ على عاتقه أن يكون الحق والقضاء لجميع المظلومين. وفي ليلة الجلسة لم تغمض لى عين.

٣٥ ـ وزاد حرجى واضطرابى أن يكون أستاذنا مصطفى بك البرادعى نقيب المحامين حاضراً بالجلسة.. فطلبت من الدائرة أن تؤخر نظر هذه الجنحة لما بعد انصراف سيادة النقيب فرفضت، أو في جلسة سرية حتى لا أحرج فرفضت أيضاً.

٣٦ ـ وكان الذى يؤرقنى سؤالٌ لم يجبنى عليه أحد سوى الله إلهى وأحكام محكمتنا العليا.

ولكن أين، ومتى، زورت هذه الشيكات؟ ومَنْ الذى زورها، ومدى علم هذا الزميل بها؟ وتأثير ذلك كله على جنحة موكلتنا التى بها تقرير قسم أبحاث التزييف والتزوير بأنها زورة؟؟

٣٧ ـ ونودى على الاستئناف وقدمت إعلان الزميل للحضور فنودى عليه وحضر.

وسألته العدالة عن كل هذا ولكن ما أن أعطتنى العدالة الإذن بسؤاله حتى طلبت منه رداً على السؤال الواحد الوحيد الذى ألهمنى به إلهى:

س : حدد لنا توقيت تسجيلك للخصم بأنه حصل على هذه الشيكات الصحيحة وأودع بدلاً منها مزورة.

ج : فأجاب بتاريخ يعود إلى ما قبل تاريخ تحرير العقد أو بعده بيوم واكتفيت بذلك وكانت مرافعتى أكان نبياً يتكهن أن هذه الشيكات ستزور حتي يفعل هذا في هذا التاريخ؟ إنه تأكيد على أنه صانع ومشترك، بل وفاعل أصلى في هذا الأمر.

وهنا انبرت النيابة العامة يا أستاذ خليك في موضوع الدعوى رأيك إيه في التقرير أنها مزورة.. وأين الشيكات الصحيحة سند الحجة؟

ما ألهمنى به إلهى يكفى أن يكون بها أصل في الأوراق... حتى وإن اختفت بعد ذلك بفعل فاعل مثل ما حدث. وكان القرار آخر الجلسة.

وأجابت السماء «قبول ورفض وتأييد والزام المستأنف بالمصاريف الجنائية».

قلت هللويا فقد أجاب إلهى الذى كان معى... وإن كنت لا أعى.. لقد كان اقتناع العدالة في ضميرها ووجدانها أعمق من كل تعليق.

٣٨ ـ وإذا سـألتنى رداً على سؤال النيابة العامة الذى طرحته أين الشيكات دليل الاتهام.

٣٨ ـ أجبتك... ما كان قد أسعفنى به إلهى رداً على هذا السؤال... يكفى أن يقتنع قاضى الموضوع بأنه كان موجوداً يوماً ما وله أصل ثابت في الأوراق حتى تقضى به.

٤٠ ـ وهنا صرخت النيابة العامة بصوت ربما لم تبدهِ ولن تبديه طيلة حياتها في جنحة شيك بدون رصيد ولكن أين هذا الآن كدليل إدانة؟

وأجبتها باحكام النقض بالمعنى سالف الذكر وأجابتها العدالة بالحكم السابق قبول ورفض ـ أى رفض الاستئناف ـ وتأييد حكم أول درجة الذى كان بالحبس والتعويض المؤقت والأتعاب والمصاريف الجنائية... إلخ.

٤١ ـ وهذا ما عرفته من أخينا الحاج أمين سر الجلسة الذى قابلنى في مفترق طرق عماد الدين والريحانى فعطّل المرور بأن أسرع إلىّ قائلاً: لقد كتب الله بأصبعه هذا الحكم يا عم ... ألف مليون مبروك..

يا لها من فرحة نصر وانتصار بأصبع إلهى الذى كان معى وكتب هذا الحكم وهنيئاً لمصر بقضائها العدول الشموخ... الذين لا ولم ولن يبتغوا من الأرض حمداً ولا شكراً وكفاهم جزاء الله لهم في صحتهم ورعاهم هنا وفي الآخرة... حيث أعد الله المكافأة لكل عمل صالح له كل المجد.

٤٢ ـ أما لماذا حضر الزميل المحامى ولم يحضر هو مع هذه المسكينة مدافعاً عنها... قالها لى فيما بعد يا عم دى قضية عاوزة واحد من ولاد ربنا وأنا لست ابناً له.. وأنا أعلم أنك ابنه علشان كده سمع لك وعشان كده أنصفت هذه الغلبانة.

فقلت له وما المانع لك أن تصير ابناً لله وقدمت له الرسالة والرب يعمل ويثمر بها ليصبح ابناً لله.. صلوا معى من أجله.

٤٣ ـ أما الزميل محامى هذا المطلق الذى زور الشيكات التى أعطيت له على سبيل الأمانة كان جزاء قسوته على هذه الزوجة التى طلقها... وأم أولاده... بل وقلبه القاسى على أولاده فيما فعل. فقد قابلنى بعد أكثر من عدة أعوام نسيت فيها الموضوع فذكرنى به. فاستوقفنى محاميه قائلاً: ألا تعلم ماذا جرى لفلان؟ قلت سائلاً: فلان مين؟ فذكرنى بأنه هو الذى زور شيكات فلانة... وهنا تذكرت فقلت له وكيف تم هذا؟ قال لا يهمك أن تعرف لكن اعلم جزاء الله له وأخذ يسرد لى جزاء السماء بدءاً من سقوط حقه في النقض الذى كان أقامه طعناً على حكم حبسه سالف الذكر لعدم تسليمه نفسه كشرط لقبول طعنه ونهاية بدخوله السجن ليس في هذه الجنحة... بل وجنح أخرى شيكات بدون رصيد فيما قال الزميل لى.

فقلت نحن لا نشمت... الله يرحمه.. ويبسط له لطفاً ويتوب ويسلم حياته للرب يسوع ويكون مع المطلقة لترعى أولاده فهم فلذة كبده والله الموفق... وانصرفت أمجد إلهى الذى له النقمة هو يجازى لأنه قاض عادل.. ولتكن الرحمة لى ولكم لأنه المحامى عنى وعن كل مظلوم والمجرى العدل والقضاء لجميع المظلومين والعدل اسم وصفة من صفاته له كل المجد. آمين.

مجرى العدل والقضاء لجميع المظلومين (مزمور ١٠٣:٥)

١ ـ لص محترف يبحث عن أحد ضحاياه ركب الأتوبيس وما أن التقط حافظة أحد الراكبين حتى صرخ للسائق لقد سرقت حرامى توجه إلى قسم.... إنه قريب أيها للسائق... فانحرف السائق للقسم وقال: لا ينزل أحد من الأتوبيس.. الذى على الباب يفعل هذا ويمنع نزول أى إنسان والتزم الجميع.. ماذا يفعل هذا اللص؟ وقد وضع الحافظة.. في جيب جاكتك لأن قدرك أن تكون بجواره. ووقف اللص هادىء النفس قرير العين.

وصلوا للقسم ونزل السائق وأحضر الضابط الذى أمر بأن أحداً لا يغادر

الأتوبيس وأوقف اثنين من معاونيه على الباب الأخير والنزول من الباب الذى بجوار السائق وفتش اللص وانصرف بريئاً هادئاً... حامداً لله على حُسن العاقبة في دهشة من عيون الضابط الذى يعرفه فهو مسجل خطر ولديه صورته لكن لم يضبط... ولما جاء دوره وُجدت المحفظة في جيب جاكته وهنا احمر واخضر واصفر لونه كيف كان هذا؟؟ ومَنْ يصدق.. الأتوبيس ومَنْ فيه ينصرف أما أنت وشهود والجنى عليه والضابط ومعاونيه فإلى القسم ومحضر وضرب وإهانة... باللص وماذا كنت تنتظر والمحفظة في جيبك هل إحنا في نظرنا وبالمنطق كده تحاول أن تقول طيب شوفوا أنا مين.. أنا عضو مجلس إدارة شركة فلان وابن عمى من علياء القوم ومحفظتى بها شوفوا المحفظة المسروقة فيها كام وأنا معاى أضعافها.... إلخ..

والرد يقول: الكلام ده في النيابة.. وحاول أن يدافع عن نفسه وهيهات أن يسمع سيادة الضابط الهمام دفاعه أو ينحاز إلى أصله وحسبه ونسبه بل يشكر الله أنه تم على يده ضبط أحد نشالين الأتوبيسات الهاربين ويحسب له عشرات من القضايا المقيدة ضد مجهول، ينال معها ترقية، وشكر من قياداته في الداخلية... وأوسعوه ضرباً، وركلاً.... وأركبوه مع باقى المقبوض عليهم وإلى النيابة.

وفي النيابة عرض على أحد وكلاء النيابة العدول... الذين أدركوا الموقف بعمق... وتفهموه بإنصاف... ولأنه لا توجد قوة على وجه الأرض تقنع المحقق ببراءة هذا المسكين تدخل الله بمعجزة هى أن المحقق له تجربة مشابهة ـ كما علمت فيما بعد ـ وكان هذا دافعاً للإفراج فوراً من سرايا النيابة.. وتنفس موكلى المظلوم الصعداء ولم يصدق ما جرى له... بل ربما لا يصدقه القارىء.

٢ ـ وإلى اتهام آخر لأحد أولاد إخوتنا المباركين في الخدمة، والموجودين في العمل الفردى... وقد كان يقف على محطة الأتوبيس بجوار جامعة القاهرة

ينتظر قدوم الأتوبيس الذى يقله عائداً لمنزله بعد انهاء مشوار بجوار الجامعة. ولكون الأتوبيس لم يقف فقد جرى وراءه ... لكن الحكاية من البداية..

١ ـ محل تصوير مكون من دورين..

٢ ـ في الأرضى ترك صاحب المحل كاسيت وصعد للدور العلوى..

٣ ـ لص محترف.. رأي الكاسيت.. وفي لمح البصر كان قد التقطه وخرج... أسرع صاحب المحل إلى النزول والخروج للشارع حرامى امسك حرامى فخرج معه جيرانه إلى الشارع صارخين:

ترك اللص الكاسيت بالشارع وصعد إلى أتوبيس كان قد أبطأ السير أمام هذا اللص ونجى... وأمسك جمهور المارة الذين قد ترامى إليهم صوت الاستغاثة.. حرامى امسكوا.... بتلابيب هذا المسكين الذى لا يعرف لماذا أمسكوه وقد كان يجرى للحاق بالأتوبيس.

وفي ذهول من تفسير كل ما حدث أطبق على رقبته واحد... وكلمه آخر... وصفعه ثالث... وشتمه رابع... إلخ وإذا بلسانه ينعقد وقدرته على الكلام دفاعاً عن نفسه تنعدم ماذا يفعل لأنه ولقرب كل هذا من باب حرم جامعة القاهرة وعلى وجه التحديد كلية التجارة. وجد نفسه في حجرة مكتب قائد حرس الجامعة أ. م والذى لم ينصفه... بل لم يسمع لكلمات المجنى عليه (ده مش الحرامى) قال له اتركنى إنت هو إنت هاتعرفنى شغلى وراح ينهال على هذا المسكين... المظلوم... ضرباً... وإهانة... وركلاً بقدميه وأمسك برأسه ضابطاً إياها وبشدة بالحائط... يسقط المسكين فاقد الوعى غير قادر على الكلام وتم الاتصال بالنجدة لارسال سيارة لاصطحاب المتهم وصاحب محل التصوير ووضعوا المسكين في شنطة السيارة مكوماً مع فقدان وعيه وحرر ضابط النجدة بما يفيد بطاقة اثبات شخصية صاحب محل التصوير أما المتهم (بتفتيشه لم يعثر معه على اثبات شخصيته).

ملحوظة : سيارة النجدة رقم ٤٧٩ شرطة لاسلكى ٧٢٢ قيادة أ.س.أ.ف إليه الضابط بقيت بنجدة الجيزة لأصحابها إلى قسم الدقى والسؤال: هل يوجد شاهد واحد يؤكد أن هذا المقبوض عليه المعقود لسانه عن النطق ليس هو السارق؟

ج : لا

س : وهل يشهد الجنى عليه ى.م.ج.ح صاحب محل التصوير أنه رأى هذا المتهم المقبوض عليه وهو يسرق الكاسيت ويجرى به.

ج : لا

س : وهل يعرف مَنْ الذى قام بضبط المتهم؟ أجاب:

ج : معرفش أنا كنت فوق.

س : ومَنْ الذى قام بضبط الجانى.

ج : هو كان فيه ناس كثير من المحلات اللي جنبى حريوا وراه ومعرفش مين مسكه.

س : وهل شاهدت ذلك الشخص حال قيامه بسرقة الكاسيت داخل المحل الخاص بك؟

ج : لا أنا كنت في الدور الثانى.

كل هذا أثبته محضر الضبط المحرر بمعرفة ملازم أول ط.أ. رئيس التحقيقات مرفقاً مذكرة رئيس حرس الجامعة وتقرير النجدة.. وانتهى إلى أن.

ملحوظة : بمناقشة المتهم تبين عدم قدرته على التحدث حيث لم نتبين من معرفة بياناته أو استجوابه.

وقد تلاحظ لنا وجود إصابات بالمشكو في حقه... كدمة بالوجه الأيمن...

وتورم بها... وجرح بالشفة العُليا... من الجهة اليمنى بالداخل وجرح.. أمام الرأس... وجارى تحويله لمستشفى العجوزة لتوقيع الكشف الطبي عليه.

ملحوظة : تم تحريز جهاز الكاسيت وتقيد برقم جنحة .... وبتاريخ .... مرفق تقرير طبى بالاصابات ومن بعده اقرار من المتهم ع.ف.ع.أ باعتراف كما أملوه بارتكابه الواقعة وبصورة ساذجة لا يصدقها عقل بارتكابه الواقعة.

وبعرض الأوراق والمتهم على وكيل النيابة أثبت عدم قدرة المتهم على الكلام وأنه يهذى بكلمات غير مفهومة ويرجح أنه أصم أبكم وعليه أرجأ التحقيق لحين استدعاء مندوب من معهد الصم والبكم لجلسة تحقيق......... وبدأ في سؤال المجنى عليه الذى لم تخرج أقواله عما قرره بمحضر ضبط الواقعة المحرر بمعرفة قسم الدقى وأهم ما يجب أن تقف عنده أنه:

أ ـ لم يشاهد واقعة السرقة.

ب ـ ولم ير المتهم وهو يسرق.

ج ـ ولم يراه يحمل جهاز الكاسيت المسروق وكل ما رآه ناس تجرى وتقول حرامى... ولما مسكوا هذا المتهم توجه معهم لحرس الجامعة... ثم حضرت النجدة ثم قسم الدقى.... إلخ ومن عجب أن خبير معهد الأمل للصم والبكم السيد/ خ.ع.أ.أ أكد لسيادة وكيل النيابة في محضر رسمى أن المتهم أبكم أصم ولكنه يجيد الكتابة... وهنا فتح له وكيل النيابة محضر بحضور الخبير لسؤال المتهم مسجلاً اعترافه وأنه خالٍ من أى إصابة متجاهلاً التقرير الطبى حتى ما يريح ضميره في عدم انفتاح محضر مستقل بهذه الاصابات وتحقيق الواقعة كما يحتم القانون.... وهكذا أنهى التهمة القانونية شأن كل تحقيق، كما يلى.

أولاً : أنه أصدر قراره بحبس المتهم ع.ف عبد الله أربعة أيام على ذمة التحقيق ويراعى التجديد له في الميعاد القانونى.

ثانياً : يحرر للمتهم فيش وتشبيه وتطلب صحيفة سوابقه.

ثالثاً : يصرف الخبير من سراى النيابة.

رابعاً : يسلم الحرز محل السرقة لمالكه ى.م.ج.ج بالإيصال اللازم.

خامساً : يستعجل تنفيذ قراراتنا السابقة بقصد تحريات المباحث.

ولا نسأل كيف انطلى الأمر على:

أ ـ ضابط الواقعة الأول.

ب ـ ضابط النجدة الثانى.

ج ـ ضابط قسم الدقى الثالث.

د ـ خبير معهد الأمل للصم والبكم.

و ـ وكيل النيابة المحقق.

لكن الأعجب من العجب أنه وشأنه نهاية كل أقوال متهم تمت أقواله وتوقع منه فوقع ع.ف. عيد، ثم فتح وكيل النيابة في ..... / ..... / .... محضر أثبت فيه ورود محضر تحريات المباحث المحرر بمعرفة نقيب ص.ن معاون مباحث قسم الدقى بتاريخ ..... / ..... / .... والذى أثبت فيه هكذا لخصها سيادة المحقق أنه لم تتوصل خلاف ماورد بالأوراق .. وهو كالعادة في ذات اليوم قيدها سيادته جنحة سرقة بالمادة ٣١٨ عقوبات ضد ع.ف عبد الله لأنه في يوم ..... / ..... / .... بدائرة قسم الدقى سرق المنقول المبين وصفا وقيمة بالأوراق والمملوك للمجنى عليه / ى.م.ح.ح على النحو المبين وصفا وقيمة بالأوراق وتقدم الأوراق لجلسة ..... / ..... / .... ويعلن المتهم.

ونسى المحقق تماماً ما أضافته التحريات وهو خلاف ما ورد بالأوراق تماماً من إجراء التحريات وجمع المعلومات عن المتهم المذكور ومتابعته تبين:

١ ـ أنه غير أبكم ويجيد الكلام.

٢ ـ وأنه أدلى ببيانات مزورة.

٣ ـ وأسفرت التحريات عن ارتكابه للعديد من حوادث سرقات المتاجر بأسلوب الهف.

٤ ـ وبإعادة مناقشته وبمواجهته بما أسفرت عنه التحريات وما تجمع من معلومات تبين صحة بياناته هى:

أ ـ أنه يُدعى ر.ج.ع

ب ـ مواليد ١٩٧٤/٢/٧ إمبابة.

ج ـ طالب بالفرقة الرابعة بكلية التربية جامعة عين شمس.

د ـ ومقيم ش ..... من شارع ...... المنيرة الغربية ـ قسم إمبابة.

هـ ـ وأنه عمل بطاقة شخصية رقم .... مدنى إمبابة. ولابد لهذه التحريات من بعض الكريمة عليها كقطعة جاتوه.

و ـ كما اعترف المذكور بارتكاب العديد من حوادث سرقات المتاجر بدائرة قسم إمبابة.

ز ـ وأبدى استعداده للارشاد عن أماكن ارتكابها وأماكن تعريفه المسروقات التى تمكن من الاستيلاء عليها.

ملحوظة : لو كانت هذه التحريات صادقة لاستكمل بها محاضر مبدد السرقات ولما أعيد هذا المسكين للنيابة بداهة.

ح ـ وفي معرفته بمَنْ يدعى ع.ف.ع.أ

نظرت الجنحة بجلسة ..... / ..... / ....

وفيها حاول هذا المسكين أن يدافع عن نفسه .. وكان أن تأجل نظر الدعوى لجلسة ..... / ..... / .... وفيها حاول هذا المسكين أن يدافع عن نفسه .. وكان

أن تأجل نظر الدعوى لجلسة ..... / ..... / .... للاطلاع والمذكرات مع استمرار حبس المتهم.

وبجلسة ..... / ..... / ....

حرر هذا المظلوم مذكرة بدفاعه وحاول أن يشرحها للسيد. المستشار رئيس الدائرة باسمه الصحيح وأنه طالب بكالوريوس تربية قسم إنجليزى جامعة عين شمس وأنه برىء براءة الذئب من دم ابن يعقوب وكان أن صدر الحكم.

حضورياً بحبسه سنة مع الشغل والنفاذ والمصاريف

فطعن على هذا الحكم بالاستئناف لجلسة ..... / ..... / .... ثم تشرفت بحضور والده موكلاً إياى للدفاع عنه في تلك الجلسة.. فكيف يجرى الله العدل والقضاء لهذا المظلوم؟

وقفة لابد منها :

من يوم خروج هذا المسكين من منزل والده في ٩/١٢/ .... وحتى ١٠/٢٤/ ١٠ .... لم تذق العائلة طعم النوم ولو لساعة واحدة بحثاً عنه في جميع الأقسام والمستشفيات وثلاجات الجثث المتوفاة في حوادث ولم يتم التعرف عليها وكل هذا معلوم لأن الجنحة مقيدة باسم غير اسمه.

ع . ف . عبد الله

وليس

ر.ج.ع. الطالب ببكالوريوس تربية قسم إنجليزى جامعة عين شمس

١ ـ والسؤال الذى يطرح نفسه: هل يكون دفاعى المدعم والمؤيد بشهادة رسمية بذلك من كلية التربية جامعة عين شمس وأنه بالبكالوريوس !!

٢ ـ ونتحمل تبعة ذلك من انتحال اسم آخر وتزوير في محاضر رسمية باقرارات كتبها كنصيحة أمين شرطة بقسم الدقى ظناً أن هذا خدمة له!

٣ ـ لا أثير هذه الجزئية ومرور الكرام باللغو من الكلام والاكتفاء بأن أحداً لم يراه سارقاً.

٤ ـ لا المجنى عليه ولا أحداً ممن ضربوه بل أوسعوه ضرباً ففقد وعيه... وفي ذهول مما حدث لطالب ببكالوريوس تربية قسم إنجليزى يُهان من جهله لا يعرفون حقيقة الأمر ولا يريدون أن يعرفوا مَنْ المجنى عليه.... أنه ليس هذا هو السارق كما قرر لى والوالده عندما ذهبنا إليه عند سؤاله: هل رأيته يسرق؟.. هذا السؤال الذى أجاب عنه بحزم لقد قررت:

أ ـ أمام قائد الحرس الجامعى أن هذا ليس الحرامى.

ب ـ وأمام نقيب النجدة.

ج ـ وأمام النقيب بقسم الدقى.

د ـ وأمام السيد وكيل النيابة بأنى لم أراه وهو يسرق وأضاف.

ولم أتسلم الجهاز منه بل وجدته على الشارع .. ولم يقرر أحد من مَنْ أمسكوه أنه كان في حوزته.

تلك الأقوال هى ما سيحاسب عنها أمام الله وهو يخافه تماماً ولا يرضى له سوءاً بعد أن عرف أنه طالب ببكالوريوس تربية جامعة عين شمس قسم إنجليزى.

٥ ـ وهل اكتفى بأن هذا يوفر الشك الذى يجب أن يفسر لصالح المتهم فالأحكام لا يجب أن تبنى على الظن والاحتمال أو التخمين... وإنما الجزم واليقين... إلخ.

٦ ـ وهل الواقعة سرقة كاملة جدلاً (مادة ٣١٨ عقوبات) أم هى مجرد شروع تعاقب عليه المادة ٣٢١ من قانون العقوبات.

٧ ـ ولا يجب الوقوف عند كلمات أثبتها أمام ضابط الواقعة أو المباحث أو حتى النيابة على أنها اعتراف لأنه اعتراف منسوب لشخص غير المتهم كما هو ثابت بالأوراق الرسمية من بطاقة تحقيق الشخصية وشهادة الكلية... إلخ.

وفق نص المادة ٣٠٢ إجراءات جنائية والتى تنص على (يحكم القاضى في الدعوى بحسب العقيدة التي تكونت لديه بحسب حريته... وكل قول يثبت أنه صدر من أحد المتهمين أو الشهود تحت وطأة الاكراه أو التهديد يهدر ولا يعول عليه).. وعلى العدالة نعم العدالة وجوب مراعاة وقع الصدمة التى يمكن أن تحدث لى لو كنت مكان هذا المسكين الذى كل كارثته أنه جرى على أتوبيس كان يشاركه في الجرى للحاق به السارق الحقيقى... الذى شاءت العناية الإلهية أن تعطيه فرصة للنجاة والهرب ربما يتوب... وإن أحداً من عملهم سدنه للحق، وكشفاً عن الحقيقة، وإقامة القسط والعدل بين الناس بدءاً من ضابط حرس الجامعة وحتى ضابط النجدة وضابط قسم الدقى ومعاون مباحثها بل ووكيل نيابتها وخبير الصم والبكم... بل وقاضى المحكمة الجزئية... الجميع نفضوا أيديهم من تحقيق العدل ولم يقيموه وإذ بالسيد/ المستشار رئيس الدائرة الاستئنافية يقول: كفى.. كفى.. نحن أباء ولدينا أولاد مثله إلغاء الحكم براءة وشكرنا الله الذي يجرى العدل والقضاء لجميع المظلومين. ألا تقولوا معى: نعم، رأيت الله في هذه الكلمات على لسان هذا القاضى العادل !!.

الفصل السابع

أبو اليتامى وقاضى الأرامل

"اللّٰه في مسكن قدسه" (مز ٦٨: ٥)

جاءت إلى مكتبى أرملة فقدت وحيدها شاكية... باكية... فقد دهمه أتوبيس هيئة نقل عام أثناء عبوره أمامه وأخذت البيانات المطلوبة وأهمها اسمه، سنة عمله، مَنْ هى بالنسبة له، تاريخ الحادث، رقم الجنحة... قالت لا أعرف وإنما أعرف اسم المتهم وأنه نقل لمستشفى الساحل ومن هناك خرج جثة إلى مشرحة النيابة... إلخ.

كتبت ملف باسمها وأرسلت للقسم، أحضرت الرقم وتابعت في جدول النيابة... حدد له جلسة وفي الجلسة حضرت لأدعى مدنياً فإذ بالمتهم يحضر معه شهود بأنه مجرد ناقل للمصاب لاسعافه له وأكد الشهود للعدالة ذلك وكان أن قضى بالبراءة فأرسلت للموكلة خطاباً أخبرها فيه بكل ذلك وكلى أسف على غير العادة لأنه ماذا تنتظر منى أو يحتمه الواجب على في موضوع كهذا سوى أن أحفظ الملف ولا أكلف نفسى عناء كتابة خبر شىء كهذا ومصاريف ورسوم تسجيل.. وعلم وصول.. وأموال في موضوع المفروض أنه انتهى ولشدة دهشتى أن حضرت الأرملة وتبدى تعجبها من قاتل ابنها الذي ترك الشارع وسار علي خطوط الترام ولم يرحم فلذة كبدها بسرعة شاكية كيف يحصل علي البراءة؟ كيف يعطيه القضاء براءة؟ وتبكى!

ولقد تحطم قلبى لبكائها، لكن لفت نظرى عبارات أخذت كل مجامع فكرى ترك نهر الشارع سار على خط الترام بسرعة جنونية كيف يقضى القضاء ببراءة مثل هذا؟

قلت لها: يا ماما الموضوع غير كده.

قالت: كيف؟

قلت لها: لقد حضرت والمتهم قائد سيارة ملاكى.

قالت: أتوبيس.

قلت: جنح الساحل.

قالت: جنح الأزبكية.

قلت: لم تقولى هذا من قبل أين رقم الجنحة؟

قالــت: معى وأدخلــت يدها في صدرها وأخرجت لــي ورقة لا أعرف كيف تبينت منها رقم الجنحة فعلاً لنيابة الأزبكية المتهم اسم يختلف عن الذي أمامى رقم السيارة أتوبيس نقل عام رقم   و ا . ع رقم وليست الملاكى كما هو كاتب أمامى.

قلـت لها: الله يدافـع عنكِ يا ماما لأنه قاضى الأرامل.. أعطنى أســبوع وتعالــى مثل هذا اليوم.. وتابعت الســير في الدعوى بالرقــم الجديد وهكذا أجابت عدالة الســماء ببــراءة لفاعل الخير الذي نقل جثــة ابنها لكن أدانت ســائق الأتوبيــس بعد الحكــم بعدم قبــول الدعــوى لرفعها بغيــر الطريق القانونى... وكان ذلك من الســماء أيضــاً حتى يعطينى الله الفرصة لأخطر الأم وتصحــح الرقــم ويكــون وصولنا بعد الحصــول على إذن رئيــس النيابة طبقاً للقانون وادعى مدنى وبحكم فيها لصالحها... بتأييد في الاستئناف... وتصــرف الأرملة التعويضات.. نعم، يوجــد الله أبو اليتامى قاض في الأرض. شكراً لك وحمداً ومجداً.

الفصل الثامن

شياطين المهنة

"اصحوا واسهروا لأن إبليس خصمكم كأسد زائر يجول ملتمساً مَنْ يبتلعه هو فقاوموه راسخين في الإيمان" (١بط ٥:٨)

هل يوجد شيطان محامٍ وآخر طبيب وثالث مهندس ورابع... وهكذا بحسب كل مهنة؟ أقول لكَ نعم، وبكل يقين فإن التخصص أول وأهم أسباب نجاحهم في خداعنا لولا عناية الله ونعمته أن يعلن لنا أفكاره وحيله ومكايده ومؤامراته.. ويسلمنا سلاح الله الكامل القادر بقوة الله على هدم حصونه وإخضاعه تحت أقدامنا.

أولاً ـ شياطين الجنس والإغراء والنجاسة : فهى عاملة لكل الشباب، والمتزوجين، وفي كل الأعمار، وفي جميع المهن والمجالات والأماكن، والبلدان ولها وسائلها وأساليبها التى باتت معروفة وغبى مَنْ يُصرع بها أو ينخدع منها لكنى أضيف ما يلى:

١ ـ رغم أنه شيطان عام، أى تخصصه أوسع وأعم من أن تخصصه للمحامى، لكن بحكم الظروف المساعدة، والمشجعة لوجود هذا الشيطان عند خلو المكتب، أو وجود إمكانيات أكثر من مكتب، والمغريات وغياب خوف الله من القلب.

يصفها الكتاب «المرأة الشريرة.... ملق لسان الأجنبية، لا تشتهين جمالها بقلبك ولا تأخذك بهدبها لأنه بسبب امرأة زانية يفتقر المرء إلى رغيف خبز، وامرأة رجل آخر تقتنص النفس الكريمة، أيأخذ إنسان ناراً في حضنه ولا تحترق ثيابه أو يمشى إنسان على الجمر ولا تكتوى رجلاه.. هكذا مَنْ يدخل على

امرأة صاحبه كل مَنْ يمسها لا يكون بريئاً، لا يستخفون بالسارق ولو سرق ليشبع نفسه وهو جوعان، إن وجد يرد سبعة أضعاف ويعطى كل قنية بيته أما الزانى بامرأة فعديم العقل المهلك نفسه هو يفعله ضرباً وخزياً يجد وعاره لا يُمحى هى حمية الرجل فلا يشفق في يوم الانتقام، لا ينظر إلى فدية ما ولا يرضى ولو أكثرت الرشوة» (أم ٦:٢٤ ـ ٣٥).

«لتنظر عيناك إلى قدامك وأجفانك إلي أمامك مستقيماً» (أم ٤:٢٥).

لذلك أخذ أيوب النبى عهداً على نفسه أن لا يتطلع إلي عذراء (أى ٣١:١).

وأعلن سليمان النبى أن «شفتى المرأة الأجنبية تقطران عسلاً وحنكها أنعم من الزيت، لكن عاقبتها مرة كالأسفنتين حادة كسيف ذى حدين قدماها تنحدران إلى الموت خطواتها تتمسك بالهاوية» (أم ٥:٣، ٤).

لقد خصص سفر الأمثال الأصحاح السابع للغلام عديم الفهم... الذى يذهب وراء زانية.. لوقته كثور يذهب إلى الذبح أو كالغبى إلى قيد القصاص، حتى يشق سهم كبده كطير يسرع إلي الفخ ولا يدرى أنه لنفسه.. ويوصى أن لا يميل القلب إلى طريقها ولا تشرد في مسالكها لأنها طرحت كثيرين جرحى وكل قتلاها أقوياء طرق الهاوية بيتها هابطة إلى خدور الموت» (أم ٧:٢٦، ٢٧).

ويذكر الكتاب المقدس في سفر التكوين قصة امرأة فوطيفار مع الشاب الطاهر والعفيف يوسف الصديق.. وكيف أنها لم تنجح في إسقاطه في براثنها وتأمل معى هذه الأقوال «وحدث بهد هذه الأمور أن امرأة سيده رفعت عينها إلى يوسف وقالت اضطجع معى فأبى وقال لامرأة سيده هوذا سيدى لا يعرف ما في البيت وكل ما له قد دفعه إلى يدى ليس هو في هذا البيت أعظم منى ولم يمسك عنى شيئاً غيرك لأنك امرأته فكيف أصنع هذا الشر

العظيم وأخطىء إلى الله وكان إذ كلمت يوسف يوماً فيوماً أنه لم يسمع لهـا أن يضطجع بجانبها ليكون معهـا ثم حدث نحو هذا الوقت هناك في البيت فأمسكته بثوبه قائلة أضطجع معى فترك ثوبه في يدها وهرب وخرج إلى خارج (تك ٣٩).

أقف أمام كلمة وهرب لتعرف سـر الانتصار نعم لا ولن ينتصر إلا باتباع استراتيجية الكتاب المقدس في الحرب الروحية. فالكتاب يحدد لنا بعضاً من الخطايا لا إنتصار عليها إلا بالهروب.

أ ـ الشهوات الشبابية (٢تى ٣:٢٢).

ب ـ والمباحثات الغبية والسخيفة (٢تى ٢٣، ٢٤).

ج ـ محبة المال «وأما أنت يا إنسان الله فاهرب من هذا واتبع البر والتقوى والإيمـان والمحبة والصبر والوداعة جاهد جهاد الإيمان الحسـن وامسـك بالحياة الأبديـة التى إليهـا دُعيت.....» (اتـى ٦:٦ ـ ١٢). وهذه ثانى شـياطين المهنة وسـأعود إليها مع اتحاد هذا الشـيطان مع شـيطان آخر في التزوير ويكون الجزاء شديداً يومئذ. وأعود إلى ثالث شياطين المهنة أياً كانوا صغاراً أم كباراً أجناداً أم سلاطين، واحداً أم لاجئون لأنهم كثيرون.

وكلمة لاجئون تعنى اثنا عشـر جيشـاً (راجع الكتاب المقدس بشواهد) (مـت ٨، مر ٥، لو ٨). فإذا ظهر لى الشـيطان بمكـره ودهائه وطغيانه وحيله ومكايده لا ولن ينصرنى عليه سوى سلاح الله الكامل (أف ٦) بكامل أجزائه السبعة... وانتبه ليس فقط.

أ ـ حمله. ب ـ بل لبسـه. ج. بل اسـتخدامه معتمداً على قوته فلا شك أنى سأنتصر.

والسـؤال ما الذى يجعلنا لا نسمع لصوت الشيطان؟ لأنه عدو (رؤ ٢:٢٠) ولأننا لا نجهل أفكاره والسؤال ما الذى يؤهلنا للقول له كيف أفعل هذا الشر

العظيم وأخطىء إلى الله (تك ٩:٣٩). إن ؟؟؟؟ الله.... وخوفه... وتقواه نعم المولود من الله لا يخطىء والشرير لا يمسه (ايو ٥:١٨). الخطية لن تسودنا (رو ٦:١٤). وهنا يحسن لنا بأن نسمى الموقف:

أ ـ فضل النعمة.

ب ـ فائدة البر اقرأ (أمثال ١٠) كله واقرأه مائة مرة ... بل مليون مرة..

ج ـ قوة الطبيعة الإلهية التي صرنا شركاء لها في أهم مظاهرها الانتصار على قوة الشر (٢بط ١:١ ـ ١١).

د ـ كيف يتحقق لى ولك النصرة على العدو (اقرأ واستمتع بمزامير ٢٧، ٨٧، ٩١، أف ٦).

هـ ـ لا بل تحس أنك تسير في موكب النصرة في كل حين وتظهر رائحة المسيح في كل مكان (٢كو ١:١٤).

ز ـ وأياً كانت التسمية فهى مسرة... فيها فرحة بل نشوة... بل لذة ... بل بهاء... بل مجد.

ذكرت لك كل ما قاله الكتاب، وكان له أثره العميق في حياتى: طهارة، وحفظاً، وها هو الرب وقد حفظنى لأشهد عنه... أذكر لك أيضاً، وربما هذا ليس يخاف عليك:

١ ـ محام زميل شاب، نجس، صرح لى بأنه لا تنجو امرأة، أرملة، أو متزوجة دخلت مكتبه إلا وعرفها... وأؤكد لك أن الرب اقتحمه بالأمراض ومات وهو في ريعان الصبا، لكى يخلص المجتمع والمهنة من شره وفساده.

٢ ـ وثان ـ كنا نطلق عليه امبراطور التعويضات ـ يسافر خارج البلاد، مع زانية، خائناً لزوجته وأم أولاده، ويقدمه الله للمحاكمة، ويقضى عليه بعشرات السنين، ومن رحمة الله به أن يأخذ روحه وهو في السجن.

٣ ـ وثالث يكتب لك عن سرَ الله معه في بريد الجمعة بجريدة الأهرام الغراء ـ عن مغامراته ... وكيف أن الرب رحمه من الإيدز اللعين عندما اكتشفه في الخليلة الأخيرة.

سلطان المال :

نعم محبة المال أصل لكل الشرور الذى إذا ابتغاه قوم ضلوا عن الإيمان وطعنوا أنفسهم بأوجاع كثيرة. وأما أنت يا إنسان الله فاهرب من هذا واتبع البر والتقوى والإيمان والمحبة والصبر والوداعة... (١تى ٦:١٠، ١١).. وفي عدد ٧ من نفس الأصحاح يعلمنا أن التقوى مع القناعة فهى تجارة عظيمة ويكفى أن المعلم الصالح قد حذرنا «لا يستطيع الإنسان أن يخدم سيدين الله والمال (مت ٦:٢٤).

بل دعنى أذكركم بأقوال الرسول بولس لتلميذه تيطس ولنا «وليتعلم مَنْ لنا أيضاً أن يمارسوا أعمالاً حسنة للحاجات الضرورية حتى لا يكونوا بلا ثمر» (تى ٣:١٤).

لتعرفوا سر عدم الثمر في حياتى وفي حياتكم.

ففى سبيل اشباع شهوة المال والحصول على أتعاب باهظة في الارتفاع بالكذب والنصب والاحتيال أذكر لك:

أنى وكلت في جناية محكوم فيها غيابياً بالسجن خمسة أعوام... وكانت الصعوبة أن جاءت إعادة الاجراءات أمام الدائرة ذاتها.

ولما كلل الله مجهودى ومرافعتى بالبراءة.. فوجئت بشقيق المتهم بأن سر توكيلى أنا... وعدم توكيل غيري من هم أكثر شهرة في الجنائي والقضايا الكبيرة... مَنْ أنا المحامى الذى لا يعرفه أحد... أنى لم أطلب ما طلبه غيرى.

قلت وماذا طلبوا؟

فقالوا أرقاماً وأصفاراً لا حصـر لها للقاضى... أما لهم فملاليم فقط... وهنا شك هذا الشقيق وقال: هذا مستحيل.. وشكرت الله أنى لست من هؤلاء فإيمانى بالله الرازق يجعلنى أرضى بالقليل.. بالصدق.. ولا أضع لنفسى هالة من كذب لابد وأن تنكشف، طال الزمن أو قصر وليس للكذب رجلان.. وبديهى وقبل كل شىء هذا ضد الإيمان بالله ومخالفة لوصاياه وليعلم القارىء بالوصية «كالبخار المطرود لطالبى الموت.

ثالثاً : شيطان متحد مع آخر أو أكثر:

وإذا أردت أن تقرأ عن شيطان متحد مع شيطان الجن والإنس وشياطين أخرى كالمال اقرأ سفر العدد والأصحاحات من ٢٢ إى ٢٥ مع الشواهد (تث ٤:٢٣ ، يش ١٣:٢٢، ٢٤ ، نحو ١:١٣، ٢ ، مى ٥:٦ ، ٢بط ١٥:٢ ، ويه ١١ ، ورؤ ١٤:٢).

وقبل أن أنهى حديثى عن المال دعنى أخبرك:

بأنه قيل لى إن المحاماة هى مهنة الخدمة المجانية والمروءة، والشهامة، والعطاء دون انتظار المقابل... كل هذا في غابر عهدها أيام الرأسمالية والاقطاع والباكورات والبشوات والوزراء من المحامين.

أما جيلى وكان قد قضى على كل هذا... فقد أصبحت كل الصفات هذه من تراثها قديماً وأصبحت المحاماة عمل ينتظر مَنْ يمارسها أو ينتسب لها... المقابل وهو ما يسمى بالأتعاب.

وإن كنا قد سمعنا عن والدة أحد باشوات العصر ما قبل الثورة عندما عرفت اشتغاله بالمحاماة قالت متعضة متعجبة «أتحملون أحزان الناس بالكرى» تقصد الأجر أو المقابل أو الأتعاب.

المهم الأتعاب أصبحت جزءاً... بل ربما هذه بل لا أستطيع أن أعطيه اسماً هل هو أجر أو جعل؟ أم أتعاب؟... ولكن شكراً لله الذى أعطانا وعداً غريباً

بل وعوداً كمحامين سأذكر بعضها لك فارجع لها في سفر أيوب أصحاح ٢٢ الأعداد من ٢١ ـ ٢٩ بأن الله وعدنا بأن يكون هو بشخصه تبرنا أى ذهبنا، وفضة أتعاب لنا وذلك بشروط.

١ ـ تعرف به واسلم.

٢ ـ اقبل الشريعة من فيه.

٣ ـ وضع كلامه في قلبك.

٤ ـ إن رجعت إلى القدير تُبنى.

٥ ـ إن أبعدت ظلماً من خيمتك.

٦ ـ وألقيت التبر على التراب وذهب أوفير بين حصا الأودية.

٧ ـ يكون القدير تبرك.

وفضة أتعاب لك وتحصل على بركات:

١ ـ التلذذ بالقدير.

٢ ـ وترفع إلى الله وجهك.

تصلى له فيستمع لك ونذورك توفيها وتجزم أمراً فيثبت لك وعلى طرقك يضيء نور إذا وضعوا تقول رفع ويخلص المنخفض العينين.

«ينجى غير البرىء وينجى بطهارة يديك» (أى ٢٢:٢١ ـ ٣٠).

الشياطين عارضة التزوير في الأوراق القضائية

«لا يحسدن قلبك الخاطئين بل كن في مخافة الرب اليوم كله» (أم ١٧:٢٣).

«الشرير يكسب أجرة غش والزارع بر أجرة أمانة» (أم ١٨:١١).

عادة ما تحارب الشياطين كل الناس.. لكنى سأحدثك عن شياطين تقابل المحامى كل يوم وللحق والحقيقة أقول لك:

أ ـ إن بعضاً منها صغيرة تافه أسلوبه واضح لكل ذى عينين، وحظة من الشيطنة قليل والله يسمح به فقط لكى تقاومه مجرد مقاومة فيهرب منك (١بط ٥:٨).

ب ـ وحتى لو فارقني يكون إلي حين (لو ٤:١٣).. ولقد زودنا إلهنا بأسلحة راجعها في (أفسس ٦) ومنها سيف الروح الذى هو كلمة الله لكى تحاربه بها.

ج ـ لكن بعضاً من شياطين المهنة ما هو أكبر وأعنى إن كان الأول شبلاً فهذا أسد.. بل حقيقة كأسد (١بط ٥:٨) يعنى ليس أسداً وستدوسه أسداً كان أم كأسد.

ستدرس مز ١٣:٩١ فقط لنتعلق بالرب الذى ينجينا ويرفعنا لأننا عرفنا اسمه ندعوه فيستجيب لنا معنا في الضيق ينقذنا فنمجده من طول الأيام يشبعنا ويرينا خلاصه (مز ٩١) اقرأه بل الهج به مردداً إياه في كل حروبك كما أنصحك أن تقرأ مزمور ٢٧ بل تحفظه وتتخذه دستوراً لحياتك والآن إلى هذه الأنواع من شياطين تخصص تزوير:

١ ـ لقد قبل زملاء تزوير أوراق وأحكام وفضحهم الله وكان خجلهم عظيماً، لأن فضحهم كان في جلسات علنية فلا في ما زوده زميل من قضايا قتل خطأ محكوم فيها بالبراءة زورها الادانة وأحكامها غيابية زورها إلي حضورية وبذلك لا تصلح لرفع قضايا تعويض امتد بالتزوير على تعويضات كبيرة.

٢ ـ وكما قلت لك الفضيحة كانت في جلسة علنية لا ولن أنساها.. فقد حضر وبالزى الرسمى ورتبته كبيرة الجلسة نتيجة إدخال محامى وزير الدفاع الذى يباشر الدعوى عن الوزير ـ للقضاة فوجىء المستشار رئيس الدائرة بأن هذا الخصم المدخل وبأعلى صوته أنا محكوم ببراءتى ومعى صورة من حكم البراءة والتصديق النهائى على هذا الحكم المقدم من

المدعين طلباً للتعويض من وزارة الدفاع ومنه بدعوى الرجوع وبالتالى بطلب بحث طعنه هذا وصولاً لرفض: أ ـ دعوى المضرورين. ب ـ ودعوى الرجوع المقامة ضده من الوزير المتبوع ضده كتابع وأمام هذا الدليل الرسمى على التزوير تأجل نظر الدعوى للطعن بالتزوير ولن أترك للقارىء أن يستنتج بنفسه مدى الخزى والعار اللذان لحقا بهذا الزميل وكيف أنه عبثاً حاول أن يترك هذه الدعوى للشطب فرفضت المحكمة ورفض محامى الحكومة ولولا ترضيه لهذا البرىء الذى زور بإدانته وفيما أعلم أنه دفع له آلافاً مؤلفة تفادياً من الدخول للسجن ما كان تم شطب هذه الدعوى وترك الخصومة فيها نهائياً.

٣ ـ أما أولئك الزملاء الذين تزويراتهم في السر وظنوا أنهم نجحوا في طمرها في طى النسيان بل أخذتهم العزة بالإثم فكرروا وزادوا جاء اليوم النيابة وفضحت النيابة الإدارية ثم النيابة العامة هذه التزويرات وكانت جنايات ضدهم وأحكام بالسجن لهم ومنهم مَنْ انتهت حياتهم في السجن ومنهم مَنْ قضى عقوبات كبيرة ولسنا في حال التشهير بأحد وإنما لازلنا في بيان إظهار فضل نعمة الله علىَّ أولاً فكان من الممكن أن أكون أحد هؤلاء لولا نعمته وعلى كل مَنْ يرعاه فيحمى الله مسلكه.

٤ ـ وفي حملة لضبط الإعلامات الشرعية المزورة المقدمة لدوائر التعويضات من محكمة أو محاكم واحدة لعشرات من محامى هذه القضايا تم ضبط أكثر من ١٥٠٠ إعلام شرعى مزور وقيل هذا الرقم لعدد ٤٩ محامياً وقيل اضعافه أيضاً ولولا إنسانية ورحمة النائب العام يومئذ الذى أمر بحفظ هذه الآلاف من الجنايات لأن العبء في تحقيق كل واحدة على حدة ثقيل جداً. والورثة حقيقيون فيما قد كشفت عنه أغلب التحقيقات والبعض صدر به أحكام ونفذت ... إلخ لكان السجن غنم بهؤلاء المحامين مثلما قضى على زملائهم المزورين لجميع بل كل أوراق هذه القضايا أو بعضها حتى أن مجموع الأحكام بالسجن على أحدهم قد بلغت سبعين عاماً بل ربما أكثر.

٥ ـ بل وللآن تنظر بعض قضايا التزوير هذه فيما نعلم.

٦ ـ لكن دعنى أقول لك وبصدق الله هو الله والشيطان سيظل محارباً وأنا وأنت هو مكان المعركة فإما أن أسمع لصوت الشيطان أو لنداء نعمة وقداسة الله من عمل روحه داخلى فأرفض اقتراحات وإغراءات وغواية هذا العدو الماكر الحية التى أسقطت أبوينا الأولين والآن تمارس بدهاء وحيلٍ ما باشرته على مدى قرون قديمة الأيام مع أولادهما أو أحفادهما ذات الأساليب بل وأشد وأنكى إلى اليوم الذى سيتم «القبض على التنين الحية القديمة الذى هو إبليس والشيطان وقيده ألف سنة وطرحه في الهاوية ويغلق عليه وختم عليه لكى لا يضل الأمم في ما بعد... إلخ» (رؤ ٢٠:٢) وهذا اليوم قريب جداً جداً كما تظهر كل علامات ذلك التى أوضحها الرب يسوع المسيح.

٧ ـ ودعنى أختم بالقول بأن الشيطان لا يملك أن يجبرنى على السقوط في حبائل إغراءاته ولكن كل واحد يجرب إذا انجذب وانخدع من شهوته ثم الشهوة إذا حبلت تلد خطية والخطية إذا كملت تنتج موتاً» (يع ١:١٥، ١٦).

ولن يسقط سوى الذى لم تنفتح عيناه على خوف الله ويأخذ نعمة وقدرة من الله الحافظة لأولاده الهاربين من الفساد الذى في العالم بالشهوة وجاهد حتى أنه:

١ ـ قدم في إيمانه فضيلة.

٢ ـ وفي الفضيلة معرفة.

٣ ـ وفي المعرفة تعففاً أى ضبط النفس في كل شئ

٤ ـ وفي التعفف صبراً.

٥ ـ وفي الصبر تقوى.

٦ ـ وفي التقوى مودة أخوية.

٧ ـ وفي المودة الأخوية محبة.

لذلك «اجتهدوا أيها الإخوة أن تجعلوا دعوتكم واختياركم ثابتين لأنكم إذا فعلتم ذلك لن تزلوا أبداً» (٢بط ١:٥ ـ ١٠).

وردد معى هذه العبارة لن أذل أبداً وقلها ثانية وثالثة وأشهر سيف الروح الذى هو كلمة الله أمام عدونا الذى يحاربنا ٢٤ ساعة في الأربع والعشرين ساعة.. وتأكد أن النصرة لك «... شكراً لله الذى يقودنا في موكب نصرته في المسيح.

أ ـ كل حين (الزمان).

ب ـ ويظهر بنا رائحة معرفته في كل مكان (المكان) ٢كو ٢:١٤

نعم أنا من أولاد الله وهو الأقوى وصحيح أن عدوى إبليس الشيطان قوى لكن متى جاء مَنْ هو أقوى منه فإنه يغلب وينزع سلاحه الكامل الذى اتكل عليه ويوزع غنائمه (لو ١١:٢١، ٢٢) تعال معى أحكى لك إحدى قصص هؤلاء الشياطين بعد حرب ضروس مع العدو ومن بلاوى عصرنا كثرة ما يتعرض له من نكبات وحوادث أخطرها وأكثرها شيوعاً القتل والإصابة الخطأ من عربة طائشة أو سائق مخمور أو طريق غير سوى.... إلخ.. وعملاء من المحامين في هذه القضايا مساكين غلابة لا تملك أيديهم أتعاب ورسوم ومصاريف المطالبة بحقوقهم وهو ما استغلها ويستغلها من أشرار المهنة مَنْ ظنوا أن الكون بلا خالق يحمى هؤلاء المنكوبين ويحافظ على حقوق الأرملة واليتيم فإنه لا يرعون الله في ضمائرهم وسلوكهم ولا خوف للقانون في قلوبهم رغم أن ما يروعهم لا نهاية لمطامعهم وطمعهم... حتى أن حملات التشهير بهم في الصحف والجرائد لم تفلح معهم... وهكذا تتفاقم وتتزايد هذه الثلة شراً على شر.. إلى أن تعلن الأحكام الصادرة ضدهم وهى لم تقل عن السجن مع الأشغال الشاقة لعشرات السنين... إلخ بما في ذلك من موت أدبى لهم وموت حقيقى ونهاية لنشاطهم ومن بين ما هو مطلوب لهذه القضايا من مستندات قد قطعوا شوطاً بعيداً... وطويلاً في تزويره.

أ ـ بـدءاً من المحاضر التى تُحرر عن هذه الحـوادث فيزورنها (الميت كلب والزميل غيره إلى شخص أعطاه اسماً وأحضر له إعلاماً شرعياً مزوراً وتوكيلات مزورة.... إلخ

ب ـ ومـا يدعونه من صدور أحكام فيها على غير الواقع براءة وبالتزوير حكم إدانة ثم طعن على الحكم بالتزوير... بلوى... في بلاوى..

ج ـ وثالثـاً شـهـادات التأمين على هذه السيارات ثم رفض لأنها لا تخص الحادث ... إلخ.

د ـ رابعـاً الاعلامات الشرعية المثبتة لصفة هـؤلاء الضحايا المجنى عليهم، فقـد ضبط في يوم واحد ٤٥٠٠ اعلام شرعى مزورا!! وجـداول النيابات زاخرة.. عامرة بوفرة الأدلة على صدق كل حرف قلناه وقالته معنا ملفات الجنايات بالجمع من كثرة ما حررته النيابة العامة لهؤلاء المزورين وصدرت فيها أحكام كثيرة بالسجن مع الأشغال الشاقة مع ما تبع ذلك من آثار غلق المكتب ومحو الاسم من النقابة الخ ما هو معروف عن نهاية طريق الشـر والخطية والشـيطان في كل صورة... الذى ربما يصرخ أنا برىء من كل هذه الاتهامات بداهة المهم: لقد كان لى زميل صديق له باع عريضة عميقة طويلة في هذا التزوير وتعطل الفصل في سبع قضايا لنا تحتج إلـى إعلامات شـرعية وأعيتنا السـبل مع أصحابها سـواء بإعطائهم المساعدة المادية أو الفنية أو يحضروا ما يلى:

أ ـ شهادة الوفاة.

ب ـ أو اثنين من الشهود بجلسة الإعلام.... الخ المهم لقد عرفت منه أسلوب التزوير والشـخص الذى يقوم بذلك فاستدعيت هذا الشخص من ورائه وقلت له ألا يمكن أن تساعدنى في استخراج هذه الاعلامات وتتعهد أمام الله أن لا تكون مزورة بل:

١ ـ تسدد الرسوم.

٢ ـ وتحدد الجلسات أمام عينى.

٣ ـ تحضر الشاهدين وأحضر معهم الجلسة.

٤ ـ ويتم كل شيء رسمياً وصحيحاً وأجر إحضار الشاهدين في كل إعلام على حدة فوعدنى ثم أحضرها لى مزورة متفبركة ونسى الله ونسى ما تعهدنا عليه وكان علىّ إما أن أستخدمها مع علمى بذلك فأنضم إلى قائمة هؤلاء أو أضحى بما دفعت وبمصير القضايا وعوضى على الله وانتصر في الله ولم أستعمل منها واحداً بل أعدمتها.

٥ ـ قبض علي هذا الشخص بعد قليل من الوقت.

٦ ـ وتم ضبط الأختام المسروقة من الحاكم لديه.

٧ ـ لم ينقذه من الأحكام الغلاظ التى كانت تنتظره سوى أن وافته المنية فانتقل إلى رحمة مولاه حيث سيقوم في اليوم الأخير لمصيره الأبدى المعروف للمزورين رفضت وقلت مهما كلفنى الأمر لا ولن أشترك في أعمال الظلمة هذه بل أن يوبخها (أف ٥:١١) وبقيت هذه الدعاوى تترنح في ردهات المحاكم بلا اهتمام من أصحابها بها ولا مساهمة منهم في أمر مستنداتها أو تقديم أى مساعدة لى من قريب أو من بعيد بتقديم أى مستند لها وما أسهل ذلك كما قلت وفي صيف إحدى السنوات جلست مهموماً على الشاطيء مع صاحبنا الزميل في حر أغسطس وقال لى عملت إيه مع عمنا الجحش (هكذا كنا نسمى هذا المحتال لا بل تسميته جاءت منه شخصياً فقد كان يطلب له باسم الجحش عاوز يعيش عاوز برسيم وكان البرسيم وقتها لا يتعدى عشر جنيهات ومثلها لجحشين كان يحضرهما شهوداً بجانب خمسة جنيهات للرسوم والمصاريف... إلخ).

قلت أخذ ولم يعمل شيئاً. قال عند عودتنا بإذن الله سأحضره وسآمره بحزم أن ينهى هذه السبعة اعلامات واتصلت به في سبتمبر وأمليته المطلوب ومن أسماء الورثة بحسب الملفات التى لدى وشددت على طلبها حقيقية بلا تزوير فيها تسدد لها رسوم وتحدد لها جلسات ونحضر وأستلمهم بشخصى من المضبطة بالمحكمة ثم فوجئت بعد أقل من شهر بارسال وكيله لى ومعه السبعة إعلامات.

١ ـ بخط واحد.

٢ ـ من محكمة واحدة.

٣ ـ بتواريخ تعود إلى شهر مايو فمزقتها على مرمى وسمع جميع العاملين بالمكتب وهنا تدخل الزميل المختص بمباشرة هذه النوعية من القضايا وهو أخ مؤمن وابن قسيس مشهور معترضاً أعطنى هذه الاعلامات وأنا المسئول عنها أمام الله وليس أنت وخذ على ما تشاء من اقرارات فرفضت.

١ ـ ليس فقط كقدوة له.

٢ ـ واثر ذلك في مسلكه مستقبلاً لو تهاونت... إلخ.

والكتاب يمنعنى عن شبه الشر. نعم الوصية امتنعوا عن شبه الشر وانتهت المحاولة بل أعادوا المحاولة بل قل الكمين الذى أعده لى عدو كل بر وبعد ذلك بأيام قليلة أم كثيرة لا يهم وجدت مفتشين يجلسون في مكاتب أمناء سر هذه القضايا فقضايا التعويض والدوائر التى تنظرها تسمى دوائر التعويضات مفتشون قضائيين طالبين هذه المستندات المزورة.

١ ـ ينزعونها من حوافظها.

٢ ـ ويجمعونها.

٣ ـ ويكتبون عنها تقارير.

٤ ـ ويعرضونها للنائب العام.

٥ ـ تمهيداً لتقديم المحامين بعد للتحقيق.

٦ ـ ثم المحاكمة.. يالذل والعار والازدراء والخجل معاً.

٧ ـ ثم الأحكام وياللهول.

وعددهم أمامى زاد على ٤٩ محامياً كما قلت لقد نجحت شياطين المهنة وهنا أدركت فضل النعمة وفائدة البر وامتياز مخافة الله عملياً نتيجة السلوك في الخفاءمع الرب وتصورت لو أن لى مستنداً واحداً من هذه السبعة أو اثنين = جنايتى تزوير واستعمال محرر مزور رغم علمى بذلك أو السبعة = سبع جنايات مثلها وقال لى أحد المفتشين وعرفت اسمك وسألت عنك فأجابوا لا ليس هذا منهم إنه بتاع ربنا.. هل هذا صحيح؟. قلت له: الملفات أمامك وبين يديك وهى تجيب هل لي اسم عندك؟. قال: لا.. قلت: ومليون لا. شكراً لك يارب أنى عرفتك. لا بل بالحرى عُرفت منك.. فأعطيتنى أن أمجد اسمك وأن يعود المجد إليك.. لكى يروا أعمالنا الحسنة فيمجدوا أبانا الذى في السماوات (مت ٥:١٦).

وأضيف أنى قلت للمفتشين لو أن الشيطان وكلنى في هذه الجنايات لحصلت على براءة وقضى عليهم وحدهم بالأحكام القاسية بداهة.. ألا تتفق معى أيها القارىء الفاضل أن تسمى كل ما سبق من اختبارات تمجد عمل نعمة الله في حياة أولاده.

لم أكن محتاجاً للتزوير

١ ـ لأن الرب معى... عينه علىّ... ولقد كنت دائم الاحساس بوجوده ورؤياه.. ومادام الله معى فمَنْ علىّ.. إذن فأنا به قوى..

وأنا أعرف جيداً أن الذى يرضخ ويذعن للتزوير هو الضعيف أما القوى... فلا حاجة لى إلى هذا الأسلوب الغاش أو المغير للحقيقة في أية صورة.

حتى ولو أني انتصرت على شيطان التزوير مرة... ومرات فإنه لا يقنع بالهزيمة بل يظل في عناد يطاردني ويضغط على إرادتي لعله بذلك يفلح أن يخدعني ولو تحت مسميات أخرى غير التزوير فأسقط في براثنه والنتيجة واحدة هي انتصاري للشيطان.

هزيمتي أنا

فأنا دائماً أرض المعركة... وبإرادتي... نعم وباختياري أذعن لصوت الشيطان... أو أعرف حيلته ودهاءه... وفخاخه ومكايده فأفضحه وأسخر به وفي النهاية كل ذلك بمعونة عمل نعمة الله التي لا شك تؤازر مَنْ ينتصر لجانب عمل الله فيه ويرفض إيجابات العدو ولا يدخل معه حتى في مناقشة إغراءاته... ومكاسبها واضعاً نصب عينيه كيف أفعل هذا الشر العظيم وأخطىء إلى الله.

والحق يُقال إن رأس الحكمة مخافة الله وأن تلك المخافة يجب أن تكون في الخفاء قبل العلانية وفي أقل الأمور وأصغرها قبل أكبر الأمور وأجسمها فيعيش الإنسان في قداسة ومخافة الله فكراً وقولاً وعملاً ... والله المستعان فبه أحيا وأتحرك وأوجد وأنا عمله مخلوقاً في المسيح يسوع لأعمال صالحة قد سبق الله فأعدها لأسلك فيها (أف ٢:١٠).

والله هو العامل فينا أن نريد وأن نعمل من أجل المسرة (في ٢:١٣).

١ - ربما قرأت كيف زور أحدهم شهادة نهائية حكم جنائي في جنحة ليحصل على تعويض والأمر بسيط بدل - غيابي - ٦ أشهر أو ٢٠٠ ج غرامة - حضوري - ٦ أشهر أو ٢٠٠ ج ولم يستأنف وباهمال الخصم لا سيما شركات القطاع العام فهي لا تبحث ولا تراجع ولا تكشف ولا تتحرى... إلخ.. تصادق ويكون المصير أن تدفع الملايين ويكون مصير الجنح في وادي والشركات في وادي.. فقد ارتكب أحدهم تزويراً كهذا وحُكم له بناء على الشهادة المزورة.

٢ ـ ولكن لأن عين الله ساهرة لتفضح شيطان التزوير.. ومَنْ يطيعه.. حدث حادث آخر لذات السيارة أداة الحادث ذاتها جنحة قتل خطأ أخرى ولما أراد قسم السيارات في الشركة التأشير على الوثيقة بالحادثة الجديدة هالها هذه الحالة النادرة... ما دعى أحدهم للتشكك وجاء شكه صحيحاً وتأكد أن الحكم غ غرامة ٢٠٠ ج وليس كما تقول الشهادة المزورة ولم يستأنف المتهم... وإنما غرامة ٢٠٠ ج وقد عارض وبراءة ورفض الدعوى المدنية ومن ثم فالشهادة بالنهائية مزورة.... والحكم بالتعويض بنى على هذه الشهادة وكان أن رد المحامى ما قبضه خشية تبليغ النيابة.

٣ ـ صورة من صور التزوير التى شكلت جناية لصاحبها وسأضع لها عنواناً (جلا .... جلا.... وثلاث ورقات... إلخ) لا أعرف عن هذه العبارة سوى تحذير والذى رحمه الله من حتى الوقوف أمام منضدة صاحب الثلاث ورقات وقد كانوا كثيرين أسفل كوبرى أو نفق شبرا يوم كان عمله بأول جزيرة بدران... فقد أقام المحامى دعوى تعويض.. وقضى له بطريق أو آخر لن تدخل في تفصيله بمبلغ ٥٧٠٠٠ ج سبعة وخمون ألف جنيه وقانون التأمين الاجبارى لا يغطى راكب الملاكى فقد طعنت شركة التأمين على هذا الحكم.

وفعلاً في الاستئناف ألغى هذا الحكم وإذ بالنيابة تتلقى بلاغاً من الشركة أن هذا الحكم الذى قضى بمبلغ ٥٧٠٠٠ ج ورسومه ٤٤٠٠ ج أى بالمجموع ٦١٤٠٠ وقد تم صرفه في ١١ أحدى عشر يوماً بالمستندات المزورة هى تحديداً حكم المحكمة الاستئنافية القبول والالغاء ورفض الدعوى والزام رافعها بالمصاريف عن الدرجتين تزورت إلى قبول ورفض وتأييد.

نعم من العجب أيها القارىء أنك تقف عند هذه الحقائق أن قلم صور محكمة الاستئناف أعطى صورتين رسميتين من حكم المحكمة الاستئنافية.

أ ـ أحدهما صحيحة (الغاد هذا الحكم).

ب ـ والثانية مزورة (تأييد).

وقلم صور المحكمة الابتدائية أعطى الصورة التنفيذية عن الحكم استناداً إلى الصورة الثانية بداهة وهكذا تم التنفيذ.. وقد تسأل أيها القارىء وما هو لزوم الصورة الأولى؟

أقول لك لزومها للرد علي تساؤلات أصحاب الشأن أنتم تسألون على الـ ٥٧٠٠٠ ج يقول لهم المحامى المسكين في عقله... والذى روحه غير أمينة لعمله... ولأسرته وبطقم مكتبه... لأنه لم يسجل وحده بل وأكثر من خمسة أشخاص معاونيه... من بينهم وكيله وجميعهم أبرياء براءة الذئب من دم ابن يعقوب لا لشىء سوى جهلهم ونعم بقبول لهم هذه صورة الحكم بالالغاء خذوا صورته الضوئية... ولا تعودوا تسألون عليها ووقعوا على الأصل... وإذا كثروا السؤال كيف ولما...؟ يقول المحكمة... وهو صادق مليون في المئة بداهة.

وأما كيف تم التنفيذ لهذا الحكم؟ يقول ملف النيابة بتوكيلات مزورة أما كيف انطلى الأمر على محامى هذه الشركة ولن أتعرض لهم... وسأترك لفطنة القارىء أن يستنتج أسباب اهدار مبلغ ٦١٤٠٠ ج وأحد وستون ألف وأربعمائه جنيه من المال العام... تحت سمع وبصر المحامى الذى باشر هذا الاستئناف والذى لابد وأن له حافزاً أو مكافأة يوم صدر هذا الحكم الالغاء لمصلحته أو الحافز والمكافأة لكاتب صحيفة الاستئناف إن كان غيره ثم ابن أين رئيس هذا وذاك لست أدرى ثم أين قسم التنفيذ من ما يجب أن يدون على ملف هذه الشركة من كسبها للاستئناف بواسطة كاتب أو وكيل الأعمال القضائية بواسطة المحامى مباشر هذا الاستئناف... إلخ.. أقول لقد سُجن محامو المضرورين... ووملاؤهم أما محامو هذه الشركة فلم يصيبهم سوء هنيئاً لهم على إهدارهم المال العام.

نعــم لقد ســجل هذا الزميل... لا بل نســب إليه وهــذه الوكيلة التزوير وقضى عليهما معاً... أما حرر هذه التأشيرة بتأييد هذا الحكم استئنافياً في الاســتئنافية... س ... ق إمضاء أمين سر الدائرة الاستئنافية ومَنْ اعتمد هذه التأشــيرة ببصمة خاتم محكمة اســتئناف على القاهرة وربما هو الذى أدخل عليها هذا الغش لم يصيبها شىء من السجن... ولم يكن هذه واقعة تزوير واحدة بل عشرات من دائرة واحدة!!

وربمــا قرأت في الجرائد وأخبــار الحوادث وتقرأ كل يوم عــن تزوير محاضر... وأحكام شــهادات مرور ـ أعلامات وراثة بل بلغ الأمر بمساعدة بعض موظفى المحاكم إلى العبث بمســودات الأحكام... ويجرى تحقيق ساعة كتابة هذا الجزء مــن الحديث عن كيف رأيت الله في عملى... لــم أكن محتاجاً لكل هذا كان هــذا يوم ١٩٩٣/٢/١٨ تحقيقاً في أكثر من ســت جنايات مع أكثر من ســتين شخصاً حول هذا الموضوع وصدرت أحكام غليظة لأكثرهم.

والحقيقــة أن القانــون يعطى لمَنْ يتقنــه لا انحداراً إلى مثــل هذا الدرك الأســفل مــن الجريمة والجناية الذى يكفى أن مصيره الســجن مع الأشــغال الشــاقة وضياع اسمه وسمعته وأســرة المحامى بل يعطيه عظمة وكرامة وسمو وعلم وبحث وبتوفيق الله أن يدرس تأصيلاً لأحكام البراءة الجنائية فلا يزور أحكاماً ولا شهادات نهائية وأن يصبر ويعطه الله صبر أيوب على الأحكام الغيابية ثلاثة أعوام بعــد آخر إجراء يصدر في الجنحة.. ولذا فقد كنا ننتظر عاماً وأعواماً تمر ثقيلة علينا باهظة التكلفة مادياً وعصبياً ونفســياً ونحن نرد على أسئلة الموكلين ونمهلهم وهم ليس لهم إلا أن يشهدوا في وجوهنا أن جارهم فلان الذى وكل المحامى علان في حادثة بعدهم بعشر سنين وصرفوا التعويض قبل منهم وقضيتهــم طرفنا لم تنته فما بالك وأمامها الطريق الطويل أحاطتهــم الأمور حتى أن أحد قضايا التعويــض للوالد عبد الغنى إبراهيم عامر قضى فيها بعد ٢١ عاماً وبعد أن صعدت إلى محكمة النقض

لثالــث مرة وهـى بمحكـمـة هـذا النقـض لثالث مـرة ويوم صرفت مـوكـل حقوقه لم يكـن يصـــدق وقالـهـا أنـا قلـت أمـا أن حضرتك (يقصـد أنـا) أو (الحاكـم قفلت علـى حظـى) أعـود فأقرر يزورن... متخـتصـرون الوقت، يزورون... فيتحـصلـون علـى الآلاف بـدل الملاليم التى يقضـى بها لأمثالنا، يزورون... فلا يعرفوا من ألف باء القانون شـــيئاً شـــيئاً.. بل هـم جهلاء لا علـم لـهـم ولا مـن ووقائـع هـذه الجنحـة يحكيهـــا ملفاتـــى رقمـى ٢٠١٧ ، ٢٠١٨ وهـمـا دعـوتـــان تعـويض عـن حادث قتل خطأ علـى طريق القاهرة الإسكندرية الزراعـى كما يحكـيه ملف الجنحة رقم ٧٨/٤٤٣٠ جنح طوخ وللأســف لم يتمكـن الزميل المحامـى المرسل من المكتب من الحضور لجلسة ١٩٧٨/٣/٢٧ لوصوله متأخراً ولن ندخل في تفاصيل عذره فلم تقبله المحكمة وكل أن حجزت الجنحة للحكم ١٩٧٨/٥/١٥ وأسرعت إلى تقديم طلـــب فتح باب المرافعة للقيام بواجبى والادعـــاء مدنياً وكان إن رفض سيادة القاضى الطلب لا بل ووقعت المصيبة أو الصاعقة على نفسى... أنه قضى فيها بالبــراءة... وهكذا أضاع فرصة الادعاء بالحـــق المدنى فيها **وأيضاً الادعـــاء مدنياً ليس من نصيب تجار الدماء** فهـــم لا يحتاجون إليه... لأنهم بالتزويـــر كلـه محكـــوم فيه لصالحهم طبعاً أما الإنســـان الأمـــين فعليه أن يشرب المر والمرار معاً في سبيل الادعاء والاعلان والمتابعة ابتدائى واستئنافى ونقض جنائى... ثم مدنى... واســـتئناف ومدنى ونقض مدنى... وكل هذا بعيد كل البعد عن عالم تجار دماء كما كان يصفهم الســـادة المستشـــارون وكان يقولها علناً في الجلسة العلنية.

المهـــم أعود فأقرر أنـــه لا يهمنى أن يقضى في الجنحـــة بالبراءة أو الإدانة بحكم غيابى أم حضورى أم حضورى اعتبارى... فلكل دعوى تكييفها ووقتها بـــل وقـــت الله لها متـــى تنتهى تماماً كما لـــه إرادة متى بدأت وأســـفا لهذه المقدمـــة الطويلة التى اعتدرها لأية لهذه العطية فما أســـهل على المحامى أن يكتـــب صحيفة دعوى يســـتند فيها إلى حكم جنائـــى نهائى وبات إما أن

يقضى في الجنحة بالبراءة فالقليلون هم الذين يعرفون كيف يؤسسون دعواهم ورغم أن في القانون المدنى ما يسعفهم في مثل هذه الصورة... والقليلون القادرون الذين يكافحون في إلغاء هذا القضاء وهو القضاء غيابياً بالبراءة وهكذا فزعت إلى النيابة الجزئية ألتمس أن تطعن بالاستئناف ورفضت النيابة الجزئية رغم أن ملف الجنحة يشهد اهتمام النيابة بتحقيق الواقعة وسماع شهود الاثبات على خلاف ما أدلوا به أمام قسم الشرطة تحت ضغط ولتدخل أيدى خفية وباختصار ولأن ركن الخطأ والاهمال والرعونة ثابتاً وثبوت الجبال فقد حرصت النيابة على تحقيقها بنفسها ولم يشفع كل ذلك أن تستأنف وهكذا أسرعت إلى الرئاسة.. وباختصار رفضت الرئاسة ولكن لإيمانى بأنه إذا رأيت نزع الحق والعدل في البلاد فلا أرتاع بل فوق العالى أعلى والأعلى فوق الكل يراقب.

أسرعت للمستشار المحامى العام لنيابة طنطا بالتظلم الذى فزع.. إنه يستطيع أن يعرضه... ويتابعه... وكانت يد الله معى وطعن مكتب سيادة المستشار على الحكم قبل مضى المدة بالاستئناف وحدد للاستئناف جلسة ١٩٧٨/١١/١٢ ثم تأجل لجلسة ١٩٧٩/١/٧ ورغم أنه عيد الميلاد المجيد إلا أنى توجهت إلي دائرة الجنح المستأنفة ـ رغم عدم أحقيتى في هذا قانوناً ـ أحمل على كاهلى ثقل المسئولية عن دماء رب أسرتين فقدا ربان سفينة حياتهما وسط عواصف هذه الحياة الهوجاء أسرعت إلى التوجه للجلسة فيها وحضرت وادعيت مدنياً قبل المتهم الغائب الذى لم يحضر وسددت الرسم وتأجل نظر الاستئناف لجلسة ١٩٧٩/٣/٤ رغم أنى أعرف نصوص قانون الاجراءات جنائية تمنع هذا، كما قلت وهنا لابد وأن أذكر فضل الله علىّ فلم ألق كلمة تجريح من رئيس الدائرة الذى كان علمه وأدبه الجم ومعاملته الرقيقة لى فقد شاءت عناية الله أن يتمتع بذاكرة وقادة معها أدرك أنى غريب على المحكمة ... أى ضيف فلم يجرحنى... وربما ظن أنى حديث عهد

بالمهنة فبادرني بالقول وهل ده جائز يا أستاذ؟. قلت: لا يا سيادة المستشار، لكني ظلمت ولم تمكني المحكمة الجزئية وطلب إعادة المرافعة أمام عدلكم يوم حجزت للحكم ولم يتمكن زميلي من الحضور عني لعذر ولا النيابة الجزئية في يوم البراءة فيما بعد مَنْ أقوم بواجبي ودماء المجني عليهما وهي بعد لم تجف في عروقها تستصرخكم أن تقرأوا الملف نعم تقرأوه بعناية فالخطأ واضح وضوح الشمس في رابعة النهار ويقضي بالبراءة هذا ما لا ولم ولن يرضاه ضميركم ولكي ما تخلص المحكمة قالت وطلباتك. قلت: وباجماع الآراء قلت لا يا أفندم دن القانون هو اللي بيقول كده المهم كان قرار المحكمة بعد طول بال وسعة صدر مكني من شرح ظروف خطأ المتهم بكل ما أوتيت من قوة وعلم بدقائق قانون المرور ولائحته.... إلخ.

وكان أن حجزت المحكمة الدعوى للحكم لجلسة ١٩٧٩/٣/٢٥ وهكذا هدأ ضميري وارتاح بالي من عري وخزلاني ونسيه عدم قيامي بواجبي إلى على غير ما ذنب أو جريمة ارتكبها.. وكانت يد الله معي ،أصدرت العدالة حكمها بقبول الاستئناف ـ استئناف النيابة شكلاً وفي الموضوع وباجماع الآراء غيابياً بتغريم المتهم ٢٠٠ جم وطبعاً وعدم قبول ادعائي بالحق المدني استئنافياً والزامي بالمصاريف وأتعاب المحاماة.

أعلن هذا للمتهم في ١٩٧٩/٤/٢٢ فعارض لجلسة ١٩٧٩/٦/١٧ وبتلك الجلسة لم يحضر واعتبرت معارضته كأن لم تكن عملاً بمواد قانون الإجراءات الجنائية وهكذا قضت المحكمة: وبقيت أعد الساعات والأيام والأسابيع حتى اكتملت الأربعون يوماً مدة الطعن بالنقض على هذا الحكم وأسرعت للحصول على الشهادة المؤكدة لكل ذلك وأقمت دعوى التعويض وكان أن قضي فيها لصالح الأسرتين المنكوبتين بفضل يد الله التي كانت معي وأردد ما دائماً أردده: «بسمع الأذن سمعت عنك أما الآن فقد رأتك عيناي» من كلمات أيوب النبي أصحاح ٤٢ عدد ٥.

الفصل التاسع

الرب يقاتل عنى وينجح طريقى رغم تقصير الموظفين

قلت إن شيطان التزوير فنان في اقناع فرائسه وضحاياه وعند فضح أمر أحدهم لا يجد نفسه إلا مكبلاً بحديد الاتهام الذى لا براءة فيه.

وكم وكم يكون الجرم الجسيم والعقوبة أكبر.. عندما يقدم المزور علي تزويره مع علمه بذلك.. فيكون بذلك مسئولاً مسئولية أكبر وأجسم بداهة مما لم يكن يعلم.

ولا يوجد ورقة في جمهورية مصر العربية لم ينجح شيطان التزوير في تزويرها.. بل لقد وجدت نفسى أحياناً عاجزاً عن يد العون أو النصيحة لأناس أو طريق التزوير وأرادوا الرجوع فوجد باب الرجوع موصداً بالضبة والمفتاح بل ووجدوه موصداً من الفولاذ فعلى سبيل المثال:

١ ـ لم تخطر المعاشات لمدة كبيرة جداً ولما أرادت رد ما تحصلت عليه بدون وجه حق دون محاكمة لم أعرف كيف أجيبها. أو أعالج هذه المشكلة!

٢ ـ عين بشهادة عن مؤهل عالى لم يحصل عليه والشهادة مزورة؟

٣ ـ بل أحدهم التحق بخدمة القوات المسلحة بأوراق مزورة وظل حتى هرب في ١٩٦٧ فماذا أفعل معه واستصرخ سيادة رئيس الجمهورية ووزير الدفاع ومجلس الشعب معاً لبحث تشريع لمثل هذه الحالات الهروب بعد ٦٧ في نصر الله الثانى ٧٣.... إلخ وعلمت ـ والله أعلم ـ أنه قد صدر رفع الدعوى بأوراق مزورة وقضى بها على هذا الأساس فكيف يتم تصحيح

هذا التزوير.. وكيف يتم معالجة هذه الأمور وأنا أكتب هذا اليوم في ١٩٩٣ بعد الحضور في جنايات زميل ووكلائه وأمناء خزينة أحد شركات التأمين الكبرى وغيرهم ممن زوروا.

١ ـ أرقام جنح.

٢ ـ محاضر جنح.

٣ ـ مضمون تلك المحاضر.

٤ ـ أحكامها.

٥ ـ نهائيتها.

٦ ـ الاعلام الشرعى.

٧ ـ شهادة المرور.

٨ ـ بل والأحكام الصادرة في محاكم ابتدائى واستئناف ونقض... إلخ.

فقد رأيت وسمعت في هذه القضايا ما لا يمكن لأى خيال شيطانى مهما انحدر إلى أبالسة هذا الجحيم أن يفهمها أو يعرفها أو يدركها بحق لقد كان إبليس نفسه تلميذاً لدى هؤلاء في تزويرهم للأحكام وللأوراق التى يثبت عليها الأحكام... إلخ.

وستتابع معى كيف يضحك الشيطان على الناس ـ بمثل هذه الطرق ـ وكيف يبطل الله خططه.. أى الله يضحك عليه أو «الساكن في السموات يضحك» (مز ٢).

«وإله كل نعمة الذى دعانا إلى مجده الأبدى في المسيح يسوع بعدما تألمتم يسيراً هو يكملكم ويثبتكم ويقويكم ويمكنكم له المجد والسلطان إلى أبد الآبدين. آمين» (١بط ٥:١٠, ١١).

كيف يضحك الشيطان على الموكلين
وكيف يضحك الرب عليه !!

أولاً : ما معنى كلمة موكل.

١ ـ إنــه العميل الذى يلجأ للمحامى يسـمى طبقاً للقانون واللغة العربية أيضاً موكل.

٢ ـ والمحامى وكيل.

٣ ـ وللعلـم يطلق الكتاب المقدس علـى كـل من أولاد الله أنه وكيل (راجع لا ١:١٠ ، دا ١٢:٣ ، تك ٣٤:٤١ ، امل ٧:٤ ، مت ٨:٢٠ ، لو ٤٢:١٢ ، ١:١٦ ، اكو ١:٤ ، ابط ١٠:٤) وغيرها الكثير.

٤ ـ أى أن الأصل هو الله أبونا وما نحن إلا وكلاء.

ثانياً : موضوع هذا الموكل.

١ ـ توجه السـيد المحضر إلـى مقر عمله، موقعاً الحجز علـى ربع راتبه نفاذاً لحكم نفقة، لا يعلم عنه شىء.

٢ ـ وكم كانت فضيحته بجلاجل، أمام زملائه.

٣ ـ وهنا تدخل أحدهم ـ بشهامة واعداً إياه بانهاء الأمر في ٢٤ ساعة.

٤ ـ وافـق هـذا الموظف ـ المثالى للشـركة على مسـتوى العالم ـ وقد جرح بهذه الفضيحة أمام اسـتهزاء البعض واشـفاق البعض الآخر ومنهم هذا الزميل الذى شاركه الألم والحزن.

٥ ـ وفي ثان يوم كوعده له أحضر له الورقة التى ستنهى عذابه وللأبد.

ثالثاً : تشريف هذا الزوج التعيس المتألم للمكتب.

١ ـ جـاء إلـىّ هذا الموكل وهـو زوج يطلب توكيلى في رفـع دعوى طلاق ضد

زوجته، لأنه قد احتدم الخلاف وأصبح مستحيل الصلح ... لا سيما وقد عرفت أنها لجأت للسحر... وعملت له أعمال وأحجبة، وكان لهذه الأمور الأثر الرهيب عليه ليلاً لا نوم ونهاراً نكد وهم وضيق ونرفزة... إلخ.

٢ ـ وعبثاً حاولت تهدئته... واقناعه بأن الرب يسوع قد جاء لينقض أعمال إبليس (١يو ٣:٨) سواء كانت أعمال سحر أو شقاق وانقسام في الأسرة المسيحية فالذى جمعه الله لا يفرقه إنسان (مت ١٩:٦ ، مز ١٠:٩).

٣ ـ وهنا استشاط غضباً وفي هياج.. قال يسوع بتاعك لا أعرفه وأن دعواه مضمونة لأن هذه الزوجة بأعمالها السحرية هذه قد خرجت بى من الكنيسة ومن الإيمان وأنا الآن مسلم الديانة وهذا هو الاشهاد... ولا عليك إلا أن تنفذ رغبتى وتقيم دعواى.

٤ ـ لقد أنكر الإيمان وترك الكنيسة رغم أنه شماس وبالفعل فماذا أقدم له... وأخرج لى عدداً من الأحجبة وقال هذا ما عملته لى وأخذ يشرح لى كيف حصل عليها عن طريق ساحر عرفه بالسر.

رابعاً : أسلوب الشيطان كيف يضحك على الناس.

١ ـ وشرح لى كيف قد وضعت أولي هذه الأحجبة على ايريال تليفزيون فلان فلانى شارع ..... رقم .... على السطوح لكى مع هبوب الرياح تحركه.... فينقلب مزاجى ويحل الضيق والزهق والقرف محل الهدوء الذى تعرفه عنى.

٢ ـ وثانيها تحت رأس أحد الموتى في مقابر الغفير بالدراسة... ومعه لا يكون لي نوم ولا سلام ولا هدوء ولا راحة... إلخ.

وثالثها لكذا ورابعها لكذا... وقد حاولت أن لا يستطرد في سرد هذه الأضرار وأن أطرد الفكرة من عقله وكيانه فلم أستطع إذا خرج من جيبه هذه الأحجبة... التى قال عنها أنه متأكد مما قال هذا الساحر لعدة أسباب أولها:

لأنه توجه إلى أحد السحرة هو الآخر محاولة لفهم ما ألم به... وليرد لها الصاع صاعين. قرر له هذا الساحر اذهب إلى بيتك وانظر رجل بنطلونك الأسود الصيفي الشمال وستجد أن التنيه لهذه الرجل مقصوص منها بمقص ٤ × ٤ سم٢ وأن هذا الجزء معمول به عمل موضوع تحت رأس الميت في ترب الغفير اسمه.... كذا.... ومكانه... والتربى عارف المكان اذهب له.... وأكرمه... يذهب إلى الحوش.. ثم انزل معه السلالم إلى الروح الخاص به فكل تربة لها روحين، أحدهما للرجال، والآخر للسيدات. ولا تعلم كم عانيت نفسياً وعقلياً وعاطفياً ومادياً ومن كل جهة حتى حصلت عليه وثاني هذه وها هو الحجاب الذي به هذه القطعة من رجل البنطلون الأسود الصيفي الخاص بي الشمال.. قمت بفتحه وتأكدت من وجود هذه القطعة المنزوعة من بنطلوني.. ثم أكمل حديثه.

وقد توجهت إلى إيريال تليفزيون فلان في المكان رقم .... شارع .... أعلى سطوح هذا العقار .... وصعدت بعد التفاهم مع البواب وأحضرت الحجاب الذي به أثر من قميصي الفلاني... إلخ.. الأثر هو ما يطلبه الساحر من متعلقات المطلوب عمل العمل له لكي ما يضعه في حجاب يعطيه لطالب هذا العمل الشيطاني.. كما هو معروف وتأكد من أنه خاص بي بالرجوع إلى الجزء الناقص من هذا القميص الذي لما بحثت عنه وجدته مختفياً أعلى دولاب الملابس بين حقائب السفر... إلخ وهذا كان أعلى دولاب حجرة كما أخبرني بها هذا الساحر........ و .... و .... وهذه عي الأحجبة.. وأخرج من حقيبته كمية منها لا أذكر عددها.

خامساً : أبي ينقض أعمال إبليس (يضحك عليه).

١ ـ حاولت أن أثبت له أن الله يحمي أولاده ولا سلطان لقوى السحر عليهم وعليه أن يكون من أولاده حتى يكون له هذه الحماية... فنهرني خلينا في الموضوع أنا عاوز دعوى طلاق.. فوعدته وأخذت الأحجبة... وطلبت عقد الزواج واشهار الاسلام وتوكيل... إلخ.. واتصلت بوالد الزوجة..

٢ ـ وبعد جهد وصلاة.... وجلسات للصلح وأزيلت كل أسباب الخلاف عمل الله في قلوب الجميع وتم الصلح... وتنازلت عن حكم النفقة، وعادت لمنزل الزوجة.

٣ ـ ورجع الزوج للرب تائباً.... وقد ملأه ذلك بالفرح والبهجة.... وبعد المواظبة على الكنيسة... والتناول... ملأه الله من روحه.... وأعطاه من مواهب إخراج الشياطين وشفاء المرضى ولا يزال الرب يستخدمه لليوم شكراً لله وتحقق القول **"الساكن في السموات يضحك الرب يستهزىء بهم"** (مز ٢:٤).

أما الأحجبة: فقد نسيتها بأحد أدراج مكتبى.... ولما رأى الشيطان أنه مقيد داخل هذا الدرج أخذ يخبط الكراس ويحطم الأطباق والأكواب ويهدد ويتوعد لى بسوء المصير وأنه سيقتلنى.... لكن إلهى لم يرفع سياجه عنى ولا عن كل ما أملك من كل ناحية (أيوب ١:١٠).

وأقرر لك أمام الله وفي حضرته أنه لم يستطع أن يفعل كل هذه المظاهر في حضورى... وإنما في غيابى.... وبعد نزولى من المكتب مساءً كما علمت من زميلى الذى له حجرة معى في ذات المكتب حتى أنه لما لاحظ أن ذلك لا يحدث إلا بعد نزولى فالتمس... في اصرار... أن لا أغادر المكتب إلا بعد اخباره بذلك واعطائه قبل ميعاد ذلك بنصف ساعة يعد نفسه فيها للنزول معى مؤكداً لى بالحرف الواحد أصل أنت ابن الله فلا يقدر هؤلاء العفاريت أن يعملوا معاك حاجة أو حتى معايا حاجة وأنت موجود لكن ما أن تنزل حتى يستفردوا بى.

فكنت أقول له طيب ما هى تاهت ولقيناها اقبل الرب يسوع وكل الذين قبلوه أعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله أي المؤمنون باسمه (يو ١:١٢). فتصير ابن لله ويسيج حولك فلا تتعرض لهذه المحاربات يقول باذن الله...

ولا يفعل وهكذا أجبرتني الزمالة والمحبة والخدمة معاً أن التزام باخباره بميعاد نزولى كل يوم وقبلها بنصف ساعة علياالأقل حتى ينزل معى هو وموظفيه.

إلى أن جاء اليوم الذى اكتشفت فيه وجود هذه الأحجبة بالمكتب وعلمت من أحداالآباء الذين لهم خبرة في إخراج الشياطين أنه للتخلص من هذه الأحجبة:

أ ـ أما احراقها.

ب ـ أو القائها في مياه نهر النيل.

وقد اخترت الأسلوب الأخير وبعد أن ثقلت هذه الأحجبة بالحجر الثقيل ألقيتها في نهر النيل... فصار للمكتب هدوء عظيم معه لم أعد بحاجة لابلاغ زميلى بميعاد نزولى شكراً لله... لأنه هو أيضاً أحس بذلك.... وهو مع إحساسه هذا طلب منى ذلك..

«شكراً لله الذى يقودنا في موكب نصرته في المسيح كل حين ويظهر بنا رائحة معرفته في كل مكان» (٢كو ٢:١٤).

لكن الموضوع كله ـ في رأيى حرب وانتقام عدو كل بر الذى رأى نفسه محبوساً، مقيداً أمامى ـ فهو يريد أن يقتلنى، ويقتلك بى... ولكنه لم يستطع، فلم يأذن له إلهى.... فقط سمح له.... بهذه الحروب، لينتصر عليه في النهاية كما سترى في مواجهته لى وجهاً لوجه.

الفصل العاشر

مقابلة مع إبليس وجهاً لوجه

«فإن مصارعتنا ليست مع دم ولحم بل مع الرؤساء مع السلاطين مع ولاة هذا العالم على ظلمة هذا الدهر مع أجناد الشر الروحية في السماويات. من أجل ذلك احملوا سلاح الله الكامل لكى تقدروا أن تقاوموا في اليوم الشرير وبعد أن تتمموا كل شيء أن تثبتوا» (أف ٦:١٠ ـ ١٨).

«ولما أكمل إبليس كل تجربة ـ للرب يسوع ـ فارقه إلى حين» (لو ٤:١٣).

في أقوى ملاحقة شرسة غير متوقعة لشيطان التزوير مستعيناً بأحد جنوده.. تقابلت معه وجهاً لوجه.

١ ـ ولا شك أن هذا يوضح لنا صفة فيه أصبحت غير خافية على ذى فهم ألا وهى أنه لحوح لا يمل ولا ولن ييأس. يضغط. يعاود التجربة ولو في صورة أخرى، أو صور أخرى.

٢ ـ فقد تسلمت شيكاً من القوات الجوية صيغته «ادفعوا إلى مَنْ يمثل القصر أولاد المرحوم..... مبلغ......» وضعت هذا الشيك أمامى على المكتب وانتظرت حضور أصحاب الشأن لأسألهم عن الممثل القانونى لورثة المرحوم المذكور وهل هو وليهم الشرعى ـ أى جدهم لأبيهم ـ أو وصى معين من المحكمة الحسبية... إلخ. فعلمت أنه لا يوجد هذا ولا ذاك لخلافات بين الاثنين!!

٣ ـ فوجئت بحضور شخص يعرض خدمته إحضار قرار مزور بتحديد هذا الممثل وتوكيل مرور من هذا الممثل لى بالصرف... وبديهى قرار من المجلس الحسبى مزور بكل هذا!!

ويعرض خدمته لى أو لِمَنْ يختاره أصحاب الشأن.

٤ ـ وأخبرته بحسم أنى أشكره لخدماته وعليه أن يرحل عن مكتبى وللأبد.

٥ ـ وبعد أيام بحثت عن الشيك فلم أجد... علماً بأنه كان داخل كراس خاص وحجرة مكتبى لا تُفتح حتى للتنظيف إلا في وجودى!! واحترت ؟!

٦ ـ وزاد من حيرتى شكوى زميل لى في المكتب بوجود ظواهر تدل على وجود روح شرير في المكتب لا يستطيع معها أن يحتمل وجوده ولو لدقيقه واحدة بعد مغادرتى للمكتب.. وأضاف أنه طالما أنا موجود فلا شىء يحدث وعند نزولى تبدأ الكراسى تتشاجر وأمور أخرى لا داعى لذكرها.

وطلب منى ـ لأجل الرب ـ قبل نزولى بنصف ساعة أخبره حتي يستعد وننزل سوياً.. أما أن أنزل تاركاً إياه بمفرده فقد رجانى أن لا يحدث فوعدته بذلك لا سيما أنه أضاف أصل أنت ابن ربنا يا عم ما يقدروش يقربوا ناحيتك.

٧ ـ وهنا تأكدت أن هذا الروح الشرير هو الذى أخفى هذا الشيك.

٨ ـ ولكى لا يتشتت فكر القارىء بظواهر أخرى حدثت معى نؤكد أن روحاً شريراً يطاردنى بل ربما أرواح لكنى لأنى تحت حماية دم ربنا يسوع المسيح لا تستطيع أن تقترب إلىّ أو تلمسنى.

لكن كللت مضايقاتهم بأن رأيت في رؤية واضحة للعيان وأنا مستلقى على فراشى في غرفة نومى والباب مُغلق ولا أحد معى، شاباً أشقر جميل يلبس قميصاً فستقى وبنطلون أخضر ويخاطبنى بلهجة المنتصر قائلاً «أنا الذى أخذت الشيك».

٩ ـ وأعطانى أبى السماوى الجرأة أن أراه وأتحدث معه بل أنتهره باسمه قائلاً «أنك عدو مهزوم في الصليب وباسم الرب يسوع المسيح الذى هزمك ستحضر الشيك. نعم ستحضره». اختفى واستسلمت لنوم عميق ولما استيقظت لم أعرف ماذا أفعل لكن لدهشتى وستندهش معى أنى لما ذهبت للمكتب وجدت الشيك بداخل ذات الكراس الذى بحثته وفتشته ومعى الوكيل والزملاء والفراش.. واقتنع الجميع أن يداً خفية هى التى أخذته.. فدعوت الجميع ففرحوا وتهللوا معى وأخبرتهم مَنْ هو صاحب اليد الخفية!

١٠ ـ أحضرت على الفور الزميل أ.ن.د المحامى وهو حى يرزق حتي تاريخه وقلت له أن يوجه بهذا الشيك المؤشر عليه لبنك مصر الذى يقبل حسابات القصر لإيداعه لمَنْ يستحقه ويمثل قصر المرحوم قانوناً وذلك بعد أن قبل سيادة المستشار رئيس نيابة الأحوال الشخصية الولاية على المال وأصدر أمره لبنك مصر فرع شبرا بقبوله لحساب مَنْ يمثل قصر المرحوم.

١١ ـ وفي عودة الزميل بهذا الشيك في حقيبة عمله التى تضم أعمالاً وأوراقاً ومستندات أخرى لى وله ولم يكن قد تمكن من إيداعه بالبنك توجه لحضور نهضة بجمعية خلاص النفوس بشارع قطة حيث يزور الجمعية القس صموئيل دكتوريان فتوجه للحضور ولما لم يجد مكاناً في القاعة أشاروا عليه بالصعود للبلكون فترك الحقيبة مع الحارس عم (.....) المسئول عن بيع كتب لجنة خلاص النفوس للنشر والشرائط... الخ يومئذ.

١٢ ـ وعند خروجه طلب الحقيبة فإذ هى قد اختفت بكل ما فيها!! ماذا يفعل؟ وهل في تحرير بلاغ للشرطة جدوى، لا جدوى... والجمعية عليها شرطيان بالخارج كما هو معلوم للكافة وبديهى أنه لا ولن يستطيع اتهام أحداً باسمه وبشخصه تحديداً فسيكون المصير حفظ البلاغ ضد

مجهـول. ولمـا علمت قلت له احضر ولا تعمل شيئاً وأخـذ يعدد لى ما بداخل الحقيبة... وأخفى أمر الشيك بداءة... لحين عودتنا معى بسيارتى، وعنـد توقفـى لينـزل ليتجه إلى منزله، قـال لى بقى لى خبـراً لا أود أن أخبرك بـه إلا إذا أخبرتنى بأنك لا تتضايق، قلت له أعدك بذلك، قال كان بالحقيبة الشيك لأنى لم أتمكن من تسليمه للبنك اليوم.

قلت له هللويا ومجداً للرب ستعود الحقيبة بكل ما فيها لأن الحرب ليست لى وإنما هى للرب وانصرف مسـرعاً لينطلق إلى منزله أما أنا فعدت إلى الصلاة بصراخ إلى أبى الذى في السموات ما هذا الذى يحدث؟

١٣ ـ كان هـذا يوم الأحد ولم تمضى أيام وطلب منى الأولاد أن يقضوا الجمعة في نادى النقابة فوصلتهم وقلـت لهم عقب انتهاء يومكم اتصلوا بى أعـود آخذكم وتوجهت للمكتـب وكان يومئذ ٣٠ عمـاد الدين وأغلقت الباب وسـجدت صارخاً لإلهى أنت لم تعطى حقاً ولا سُـلطة أو سيادة لهذا الروح علىَّ!! وإلا ما كان قد أبقى نظارتى على عينى.. أليس كذلك؟.. ولا يعقل أنه يعطى القدرة على أحداث هذه السـرقة لهذا الشيك تمام مثـل ما تمتد يده الخفية ويأخذ أربـع دواليب ـ كاوتش سـيارتى وأنا في الطريق السـريع وتيقنت في داخلـى أن الله يجيبنى نعم نعم.. فهدأت واستمريت في الصلاة.

١٤ ـ وهنا سمعت جرس التليفون فقمت مسرعاً لأرد فإذا به خادم من خدام كنيسة مارمينا بأول شـبرا يعلن عن إيجاده شنطة بلاستيك بها أوراق قضائية تخص الأستاذ/ أ.ت.د المحامى ومن عنوانه ورقم تليفونه هو يطلب هل هو موجود.. قلت له أنا زميله ومسـتعد للحضور لاستلامها. قال أنا قريب منك لا تتعب نفسـك سـأحضرها لكم وفي أقل مـن دقائق كان يـرن جرس المكتب وفتحت وأسـرعت باحثاً ووجدت الشـيك وكل الأوراق القضائية. نعم اختفت الحقيبة ومعها بعض النقود وهذه أقل خسارة.

١٥ ـ وحاولت مكافأة هذا الخادم ولو بأجرة تاكسى الرجوع فرفض معلناً أنه ابن للرب انقاد بروحه فلم يخشى أن يحمل هذه الأوراق وأن يتصل ويرفض قبول أى مكافأة فقط طلب أن نصلى من أجله.. وهكذا دحر شيطان التزوير الذى لما رفضت الخضوع له أراد ازلالى ولكن إلهى نصرنى عليه وأعطانى سلطانه أن أدوس عليه بحذائى وكان اختباراً يستحق لى ولكم أن تستمعوا به. ألا تقول لى الجد لإلهنا أمين.

١٦ ـ ملاحظة مهمة :

إذا كان لى ـ ولك معى ـ أن تربط بين الأحداث، فلا شك أنك توافق معى على أن هذه المواجهة ـ وغيرها كثير يضيق بها حيز هذه المذكرات، ويعرفها الكثير من شركائى في الصلاة، والخدمة، والمكتب، والبيت، وغيرهم ـ من صُنع ذلك العدو الماكر الذى لم يتركنى إلا يوم نخلصت من هذه الأحجية، التى هى من صناعته، ومن أسلحته، فقد انتهت نهائياً مضايقاته لى بتدخل أبى وإلهى، ونصرته لى عليه، لكن معاركه معى لم تنتهى، ولكن في مجالات أخر، كعادته، وطبيعته كما لا يخفى على فطنة القارىء فقد تركنى ولكن إلى حين (لو ٤:١٣).

الفصل الحادى عشر

أصعب أيام عشتها

(١٩٩٣/٩/٢٠)

«فأجاب نبوخذ نصر وقال: تبارك إله شدرخ وميشخ وعبد ناغو الذى أرسل ملاكه وأنقذ عبيده الذين اتكلوا عليه وغيروا كلمة الملك وأسلموا أجسادهم لكيلا يعبدوا أو يسجدوا لإله غير إلههم فمتى قد صدر أمر بأن كل شعب وأمة ولسان يتكلمون على إله شدرخ وميشخ وعبدنغو فإنهم يصيرون ارباً ارباً وتجعل بيوتهم مزبلة إذ ليس إله آخر يستطيع أن يُنجى هكذا» (دا ٣:٢٨، ٢٩)

كان لى شرف أن أكون عضواً في مجلس إدارة جمعية خلاص النفوس - شبرا وفجأة اتصل بى الأخ الدكتور ج.م وأفهمنى بأن مباحث الأموال العامة طلبتهم هو والأخ .ع.ع رئيس إدارة الجمعية وأخبرنى أنها إحدى شكاوى الأخ م.خ - باختلاس أموال من الجمعية - وسبق تحقيق الشكوى بواسطة الشئون الاجتماعية وحفظتها - لما تأكدت معه من دقة وأمانة الجمعية - لذا لم يعطى الموضوع أهمية ولا أنا بداهة وفجأة اتصلت بى في مكتبى دكتورة أ. حرمه لتخبرنى أنهما في طريقهما إلى قسم روض الفرج، للعرض على النيابة المسائية اليوم. حاولت أن أهدىء من روعها وأن أفهم منها شىء لكنى لم أعلم شىء وتقابلت معهم بالقسم ونزلت للنيابة المسائية وقلت في نفسى أن لا أحضر معهم وأتركهم لزميل من تلاميذى لكى لا يفهم

وكيل النيابة المحقق أن الأمر يستحق شيء... لكن لما طلبت وجه الرب قادني بالأمر منه بالدخول والحضور معهم وشرح الأمر لوكيل النيابةوكان القرار حجز لباكر. آه ياالهول المأساة.. فزع لها الجميع وبقيت أنا و «ص» ابني حتى الثالثة صباحاً نفكر ماذا نفعل وصرخ «ص» أني طالب الاتصال بالأخ م.ز بأمريكا. قلت له: للصباح. قال: لا، بل الآن قلت لا أعرف من الاخوة أو الأصدقاء عنده نداء دولي. قال: نطلبها بالمال من السنترال. قلت: مكلفة جداً وأنا مرهق جداً، لكن المشكلة أنها الآن بكارت يشترى من الموظف وأنا لا أعرف كيف.. المهم أخذت أعد فكرة الفاكس المطلوب وفي الصباح قبل نزولي اتصل م.ل بالأخ ا.ل لسرعة التصرف وأوصلني فوراً بالأخ م.ج وأمليته مسودة الفاكس وقلت له إذا أرسل الفاكس يكون على مركز الألفي الدولي لنختمه بخاتم المركز وأحضره لي على النيابة الدور الرابع بالجلاء لتقديمه وكيل النيابة - نفياً لهذا الاتهام الكاذب - وكيل النيابة اليوم كل نصف ساعة تليفون كل نصف ساعة خروج زائر سائل وهكذا تأخرت في بدء التحقيق وهكذا تأخرت أيضاً في حضوري التحقيق وجاء الفاكس الساعة ٥ر٢ فطلبوني خارج غرفة التحقيق لاستلامه.. يا ليديك يارب وانفجرت دموعي أمام وكيل نيابة الأمس لأن وكيل نيابة اليوم لم يكن له وقت للتحقيق ليصل الفاكس لأنه عماد براءة رئيس الجمعية وأمين صندوقها وأرفقناه وهكذا إجتث هذا الفاكس الاتهام من أساسه. فقد أكد الأخ مرسل المبلغ بأن النقود كانت على سبيل الأمانة وبصفة شخصية لدى دكتور ج أمين الصندوق لحين أمره بإيداعها حيث يريد وكان له هدف بل أهداف إلى أن أمر الدكتور ج بإيداعها في حسابات الجمعية ومن ثم أودعت فلا جريمة ولا اتهام والرب يقاتل عنا ونحن صامتون.. أما كيف ساعدني الرب لنشرح:

١ - أنها ليست جمعية ق.ع

٢ - وأنهم ليسوا موظفين عموميين.

٣ ـ وأعمال رئيس مجلس الادارة.

٤ ـ وصفتى دكتور ج.م أمين الصندوق وكصديق للمتبرع ويجب التفرقة بينهما فالصداقة غير أمانة الصندوق... كل هذا ولم أستطيع أن أمسك دموعى الذى لاحظها وكيل النيابة على محامى لأول مرة في حياته يحضر أمامه تحقيق في جناية باكياً فسألنى أيها الزميل العزيز خلينا برة موضوع الجناية وأنا أثق في دموعك هذه... وما قدمت من أدلة انتفاء الاتهام من وزارة الشئون الاجتماعية وهى رسمية لأنها هى التى تفتش على حسابات الجمعية سنوياً... وستحفظ هذه الجناية فلماذا تبكى؟

قلت له: أنا عضو مجلس إدارة معهم وكلنا أمناء.. نخاف الله.. ونخدمه خدمة تطوعية... بلا أى أهداف مادية.. لذا فوقع الاتهام الكاذب علىَّ لا أستطيع تحمله..

فقال معك حق.. امسح دموعك واهدأ وقلت له: أشكرك وتابعت كلامى أن تأكيد أمانة الأخوة ونقاء ضمائرهم وأمانتهم وأنه لا اختلاس ولا تربح.... الخ ثابت بالأدلة الرسمية ودور الرب الذى يعطى نعمته.. نعم، إنها يد الرب التى عملت في يد وكيل النيابة المحقق فأمر بحفظ الجناية. الرب مجرىء العدل والحق والقضاء فإن رأيت ظلم الفقير ونزع الحق والعدل في البلاد فلا تزتع من الأمر لأن فوق العالى عالياً يلاحظ والأعلى فوقهما ومنفعة الأرض للكل والملك مخدوم من الحق (جا ٥:٨، ٩).

الفصل الثانى عشر

الله يدفع أتعاباً عن الأعمال التى أقوم بها له

«يكون القدير ..... وفضة أتعاب لك» (أى ٢٢:٢٥)

الله لا يسخر أحداً، بل ويدفع أتعاباً، أو أجرة، لمَنْ يخدموه، حتى ولو كانوا ملوكاً، وجيوشاً، برجاء أن تقرأ هذه الآيات التى صدرت بها هذا الفصل من الكتاب عشرات المرات .

«وكان في السنة السابعة والعشرين في الشهر الأول في أول الشهر أن كلام الرب كان إلىّ قائلاً - أى لحزقيال النبى يا ابن آدم إن نبوخذ نصر ملك بابل استخدم جيشه خدمة شديدة على صور. كل رأس قرع وكل كتف تجردت ولم تكن له ولا لجيشه أجرة من صور لأجل خدمته التى خدم بها عليها. لذلك هأنذا أبذل أرض مصر لنبوخذ راصر ملك بابل فيأخذ ثروتها ويغنم غنيمتها وينهب نهبها فتكون أجرة لجيشه قد أعطيته أرض مصر لأجل شغله الذى خدم به لأنهم عملوا لأجلى يقول السيد الرب» (حزقيال ١٧:٢٩ - ٢٠).

ولما كنت محامياً لكثير من الكنائس والجمعيات الخيرية، وبمختلف الطوائف فإنى اختبرت أن الله معى حتى في هذا الأمر.. ويسدد أتعاباً عن عملى له مقدماً.. وأنه ليس كالبشر يأكلون علىّ المؤخر.. بل أحياناً بل دائماً هو يكرمنى ويغدق علىّ وينجح عملى.. ولا يبت مديون لأحد مثلما فعل مع نبوخذ راصر في هذه الأقوال وإليك هذا الاختبار الذى يعلن عن وجوده حتى في أمر الأتعاب.

موضـوع هذا الاختبار يوم توقيع عقد شـراء جمعية خلاص النفوس ١٢ شـارع قطة العقار المجاور ١٠ شـارع قطة البائعـون......... الثمن ...... وكتبت العقد ووقع الجميع البائع قبض الثمن والمشـترى دفـع الثمن والمفروض أنى أنـا كمان آخذ أتعاب.. لكن لأنى قـد وضعت في قلبى أن لا آخذ من الجمعية أتعاب عـن جميع مواضيعها وأعمالها منذ أن تخرجـت عام ١٩٦٣ ومن أول عمل أسند إلىّ منها وحتى اليوم لا بل الرسوم والمصاريف ومصاريف الانتقال وأحياناً الغرامات والنشريات... إلخ وبالجملة كل شـىء فهل يتركنى الرب في هذا الموقف؟ أراد أن يؤكد وكأنى به يقول أنا المشترى وأنت محامى لك أتعاب هذا العقد ورسوم التسجيل وهذا ما حدث فعلاً.. فهل أتركك ترى هذا يدفع وذاك يأخذ وأنت مجرد متفرج؟

أديـان الأرض كلهـا لا يصنع عدلاً لم أطلب من أحد شـىء بل وكأنه يرد علـىّ.. رن جـرس الباب قبل أن ينصـرف الجميع وإذ بالآتـى الأخ الزميل ناجح ناشـد سعيد المحامى بمكتبى علي غير موعد وقال لي حضرت لأنقدك أتعاب قضية. قلت: ألم يكن مسـاء ستحضر للمكتب؟ قال: الناس تركوا الأتعاب بعد الصرف وكمان بقشـيش فحضرت أسـلمها لك قلت قضية مَنْ؟ قال: إنهـا قضية خسـرانة وقد قضـى فيها بالرفض ولما عرضنـا عليك الملف للحفظ باعتبارها خاسرة قلت لا.... حرام... استأنفوها وسأسدد الرسوم وقد كان والـرب نفخ في صورتها وحكم بالغـاء الرفض والقبول وها هى الأتعاب وبقشـيش للوكلاء وهنا سـرح ذهنى في كلمته خسـرانة والـرب نفخ في صورتها وكأن الرب يقول لى كانت خسـرانة وكنت وراء كسـبها استئنافياً وأرسـلت هذه الأتعاب اليوم وفي هذه الساعة لكى يستد فمى فلا أتكلم.. نعم.. قال: كم أتعابك.. قلت: أبوكم السماوى دفع الآن ومن قبل الآن. فهو لا يبات مديون لأحد وهو سيد الأرض كلها.

أعطوا تعطوا كيلاً جيداً ملبداً مهزوزاً يعطون في أحضانكم لأنه بنفس الكيل الذي تكيلون به "كال لكم» (لو ٦:٣٨).

نعم، كم من القضايا رفض وفي الاستئناف تأييد حكم الرفض، لكن هذه القضية الغاء الرفض والقضاء بالقبول وأتعاب يوم التنفيذ وبلا مشقة عاد بها إلىّ بالأتعاب الزميل وفي ذات الساعة التى كان الجميع فرحين وأنا كمان فرحى أنى قبضت من يد الرب.. نعم، رأيته وهو يسدد لى أتعاب فانحنيت شاكراً ممجداً عمله العظيم الذى لا أستحقه. ياريت يا ربى يا أبى تفتح عينى في كل أحداث هذه الحياة لأراك وأنت تمنح وأنت تعطى وأنت تمنع. نعم رأيته شكراً لله «كن راسخاً غير متزعزع مكثراً في عمل الرب كل حين عالمين أن تعبكم ليس باطلاً في الرب ١كو ١٥:٥٨

١ ـ أسهل أتعاب حصلت عليها

ليست نكتة، ولكن هذا حدث معى فعلاً أن حضر لى فارع الطول مفتول العضلات مبرم الشوارب قاسى القسمات حاد الصوت يطلب منى رفع استئناف حكم خسره درست الأوراق بعناية ومن أول وهلة. قلت: لقد تأخرت في الحضور فقد فات قطار المواعيد. قال: ماذا يعنى؟

قلت له: ميعاد الاستئناف ١٥ يوم وأنت اليوم قد حضرت بعد أكثر من شهر. قال: لكن أنا عاوز تعمل لي استئناف. قلت: سيقضى فيها من أول جلسة بعدم قبوله لرفعه بعد الميعاد. قال: أنا أعرف ذلك. قلت: طيب إنت غاوي تخسر رسوم وأتعاب. قال: وأنت مالك. قلت: أنا أعتذر شوف لك محامى آخر. قال: لكن أنت الوحيد موضوع ثقتى. قلت: ولأنى كذلك ثق في كلامى أنه لا فائدة تُرجى من هذا الاستئناف. قال في اصرار وتثبيت: أنا مُصر ترفعه وتأخذ مقدم الأتعاب ومؤخره. قلت: وسمعتى واسمى ومُسئوليتى قال اكتب لك اقرار بأنى حضرت بعد ميعاد الاستئناف وعلمت منك بأنه لا جدوى منه وأصريت عليه. قلت: ما هو الهدف؟. قال: أريد أن أرى خصمى في المحكمة فقط أجرجره على ملى وشه هناك بس.

قلت: هو أنت مش عارف تقابله بره المحكمة ما هو مستأجر في عقارك.

قال: ما هو مزروع في بيتي ليل ونهار لكن عايز أضايقه وبس قلت ربما لا يحضر ويوكل محامي للحضور عنه. قال: لا يهمني يبقى دفع أتعاب وعمل توكيل يعني صرف له قرشين. قلت: ربما يرجع عليك بدعوى تعويض عن هذا العمل. قال: ما يهمكش. وأخذ يبرم شنبه. قلت: أتعابي عالية تخويفاً له فقط ولم أطلب طبعاً أتعاب عالية ولا حاجة. قال: أنا سأدفع المقدم والمؤخر والرسوم.

قلت: اكتب الاقرار. قال: هات الورقة واكتبها كما تريد وسأوقع عليها. قلت: لا بل تكتب الاقرار كله بخطك. قال: خطي بسيط في الكتابة. قلت: اكتب على مهلك. وأخذ مني الورقة وكتب الاقرار وأخرج حافظته ودفع المقدم والرسوم وأقمت الاستئناف وحضر معي أول جلسة وياللرضا والفرح والسعادة بل والسرور الغامر أن خصمه قد حضر معه وحضر معاه محامي جلجل في المحكمة وهو يدفع بعدم قبول الاستئناف شكلاً لرفعه بعد الميعاد وكان مصدر سعادته الوحيد أنه رأى خصمه الجر وحضر وحجز الاستئناف للحكم وقضى بعدم القبول.

وتوقعت أن مؤخر الأتعاب لا يسدد لأنه إذا كنا نبقى كسبانين القضايا وحاصلين على براءة أو محكوم لصالح الموكل أيا كان يتهرب بالأتعاب ولا يسدد الأتعاب إلا مضطر أمام استئناف خصم أو خشية المضي في مطالبتنا أو وقوعه في مصيبة أو مشكلة أخرى تتطلب مساعدتنا له.... إلخ. فكم وكم عندما نخسر مثل هذا الاستئناف.. لكن المفاجأة التي لا يصدقها أحد بشاربه المبروم وصوته الأجش وقوامه المفتول وكلماته وقسمات وجهه الصارمة وما أن قالوا بحضوره حتى قلت استر يارب.. لكن الغريب أنه ما أن جلس أمامي حتى أخرج محفظته وبادرني بالقول: أنا مبسوط منك جداً جداً وسعيد. قلت: إحنا عملنا إيه. قال: ياه.. عملت كتير.. ربنا يوريني فيه

يوم وأشوفه في المحكمة زي ما جرجروني ليها أول مرة ونبقى خالصين. قلت: أنا اعتز جداً بتقديرك ده وربنا يديم عليك السعادة والانتصار. قال: خذ الأتعاب الباقية. وحاولت أعتذر لكنه في اصرار فض وانصرف وأنا وأنت وكل مَنْ يقرأ لا ولم ولن يصدق.

٢ ـ ليش يا خوى خربت بيتى وحبست أنفاسى خذ الله يباركك

قالها بلغته السورية. فقد كان شامى الجنسية صاحب أكبر سوبر ماركت في أكبر ميدان بمصر الجديدة في إحدى الحملات التموينية للمراقبة على الأسعار يوم زن كانت قضايا أمن الدولة ورقابتها عليها شديدة حتى إن القضايا سُميت يومها عسكرية لكثرة الأوامر والقرارات العسكرية والاختصاص أيضاً أمام المحاكم العسكرية لنظرها... وتنعقد كل يوم عدا الجمعة وكانت أيام وأفرج عن أخينا هذا التاجر من سراى النيابة تأكيداً لمدى الظلم الواقع وإلا كان مصيره إما الحبس أربعة أيام أو الكفالة الضخمة.. المهم عندما خرج هذا المسكين المظلوم من سرايا النيابة كان قد ساقتنى إلى أنظاره عناية الله ولا أكثر ولا أقل.

ثم عندما توجه ليسأل على رقم الجنحة فوجئ بأنه قدم لجلسة عاجلة مستعجلة ولم يصله إعلان أو ربما وصل وفي يوم راحة المحل فلم يحضر، لكن الذى جعله يعاود التفكير ثانية في توكيلى أنه قد وصل إعلان للحضور في استئناف النيابة لهذا الحكم فتوجه للمحكمة الاستئنافية قبل ميعاد جلسته وقرر في نفسه أن مَنْ يحوز اعجابه بمرافعته يكون الأمين علي مصيره سيما وقد عرف حساب العقوبة واحتمال الغاء الحكم فيصبح الخطب فادح والمصاب أليم والكارثة أشد وأنكى مما لو تجاهلها بعدم الحضور سيقول يا ربتنى وهى دائماً لا تعمر بيت ومن حظى أني كنت أترافع في هذا

اليوم في الدائرة الاستئنافية التى ستنظر استئناف النيابة لحكم براءته وشأن كل مرافعتى بل وغيرى مَنْ ينالون اعجاب الجمهور رغم أنى وكثير من زملائى لا يترافعون للجمهور وإن كانت قلة قليلة جداً تسعى لذلك لكنه طريق خاطىء آليت على نفسى سماعاً لنصيحة أساتذتى المخلصين منذ شهورى الأولى في المحاماة أن لا ألجأ ولو مرة واحدة عقب انتهائى من هذه المرافعة وخروجنا يتربص بنا أصحاب الهموم ويتعلق بى من أمثال هذا المسكين ويأخذون كروتاً بعنواننا بعد أن يطروننا بالمديح والاعجاب.. بل احداهن قالت: لولا الملامة لأخذتك بالحضن وقبلتك وأخرى قالت معي باكو بسكويت لفطارى وأنا على فكرة معنديش قضية ولا حاجة، لكن أنا جارة لمظلوم خذ انك أحق منى بيه.. وحاولت أعتذر.. أقسمت بأشد الإيمان واضطريت أخذ وأشكرها ولم تطلب كارت وبديهى أخرجت لها أنا في هذه المرة الكارت الأبيض لا هو أصفر ولا أحمر ولكنه لزوم الاضراء. بداهة أعود إلى صاحبنا بادرنى اسمك ايش يسلم بقك وعرفت من لهجته إنه شامى. قلت له: قال كارت من فضلك. قلت: اتفضل. قال: إنت اللى فيهم. قلت: يعنى الباقى ركش. قال: ويعنى!! قلت: لا أعنى شىء كلنا عال العال.. وانصرفت، فقد كنت متعباً جداً جداً وكان الوقت صيف ولمحاكم أمن الدولة لا وقت أجازة.. المهم لم أنتظر أن أحداً ممن يأخذوا هذه الكروت يحضر كما يشهد على ذلك الماضى الطويل فما هى إلا انفعالات وليدة اللحظة يعجب ثم ينصرف لحال سبيله وخسارة الكارت، لكن في هذه المرة فوجئت بأخينا يحضر. ماذا عن موضوعك. قال: براءة يا أخى بالشامى. قلت: بإذن الله براءة. قال: لا بل حصلت على البراءة فعلاً. قلت: طيب ما الخطب إذن. قال: مصيبة. قلت: ربنا يستر. قال: النيابة استأنفت الحكم. قلت: لا تخف، فالأحكام أحكام الله والذى أعطاك البراءة ابتدائياً سيؤيدها نهائياً ودفع مقدم الأتعاب وبقى مؤخرها عند تأييد الحكم باذن الله ولكنه حضر ببساطة ولعدم حكمه مساء اليوم

السابق للجلسة فلم أتمكن بديهياً من الاطلاع وعادة في مثل هذه الأحوال عموماً إما أن أتوجه قبل الجلسة بساعات قليلة سائلاً أمين السر والدعوى فقد تكون من لدى أعضاء الدائرة مثل هذه يحضرونها بحضورهم الجلسة فتكون طلباتى عندئذ:

أ - التأجيل للاطلاع والاستعداد مع حفظ الحق في الدفوع.

ب - وألا تحجزها للحكم مع مذكرة إن كانت مدنياً أما هذه لأنها جنائية والأصل فيه المرافعة الشفوية ولا ينسى القارىء أنها المرافعة التى أعجبت أخينا في قضية أخرى فلا أقل من أن يسمع كلمتين ثم أنها الأمانة والمسئولية وأقل شىء هو أطلع بادى ذى بدء وقبل كل شىء على ملف الدعوى.

ج - أخيراً إذا رفضت المحكمة كل هذا فلا يبقى سوى أن أستأذنها في الملف وأقرأه أمامها أثناء نظر القضايا التى قبلها إلى أن انتهى من ذلك فأسلمها للسيد المستشار/ رئيس الدائرة الذى عادة يعيد نظرها ويكلف حاجب الجلسة بالنداء عليها وفي كل ذلك يبقى القاضى العادل المتهم خارج القفص لأنه بعد لم تنظر دعواه ولم يسمع دفاعه والقلة النادرة تحجز المتهم داخل القفص وتكون الطامة الكبرى لأن المتهم يتشاءم ويحزن ويكتئب سيما إذا لم تكن قد أحطناه علماً بذلك في القضايا الصغيرة كهذه الجنحة عكس الجنايات مثلاً لأنه قبل حضورنا معه في الجناية يكون قد تم التميم على حضور المتهم وادخاله القفص يخرج منه عند المرافعة بأمر القاضى أو يبقى هو ورأى سيادته ولكن تحت حراسة حرس الجلسة بداهة ليدخله بعد تمام المرافعة ولحين ينطق رئيس المحكمة بالحكم أياً كان براءة أو لا يسمح الله غير ذلك.

المهم حضرت الجلسة ونودى على المتهم موكلى فحضرت معه وعند مباشرة حضورى ولصق تابع تمغة المحاماة بمحضر الجلسة صعدت للمنصة

ثم عـدت لمكانى طالبـاً التأجيل للاطلاع والاسـتعداد وإذا بالسـيد/ رئيس المحكمة يتجه بكلامه للسـيد/ أمين السـر مملياً عليه بلغة الأمر وكأن ذلك بلسـانى أنا والحاضر مع المتهم طلب تأييد الحكم المستأنف لصحة أسبابه ووجدت نفسى أقول وبأعلى صوتى لا تكتب شيئاً من هذا يا أخى أمين السر فأنا طلباتى التأجيل للاطلاع والاستعداد ولم أقل حرفاً واحداً مما أملاه عليك سيادة المستشار رئيس المحكمة وفوجئت بقرار المحكمة رفعت الجلسة.

ونطق الحاجب بأعلى صوته فهذه مهام عمله وفي صميمها.

رُفعت الجلسة.

وطبيعى أن حرس الجلسـة يقبض علـى المتهم ويوضع بالقفص وبقيت في حالة من الذعر والخوف واضطراب المشـاعر والقلـق على مصير موكلى بل ومصير القضية بل ومصيرى أنا نفسـه فيما لو عادت الجلسـة للانعقاد واقتحمت رأسـى عشـرات بل مئات من الأفكار أكثرها أسـود رهيب وكنت أود لو أقول وبعضها أبيض هادىء كالنسـيم لكن من أين يوجد بعد خضم هذا السـواد والظلام وحلكته وقطع على كل هذا بل وزاده ضغثا على إبالـه أن سـمعت موكلـى يطلبنى في القفص وبلغته ليش يـا أخوى أجيلك وأنا خارج القفص توضعنى داخـل القفص؟ وبلا مرافعةأين صوتك الذى جلجل يـوم أن اخترتـك محامياً لى ألم يكن هذا هو سـبب اختيـارى لك من آلاف المحامين بالقاهرة ولم أسـتطع الاجابة فقد نادى على حاجب الجلسة لأدخل للدائرة فقد طلبنى رئيسـها وزادت الهواجس في رأسـى وزاد الأمر حرجاً على حرج وضيقاً على ضيق أنى لم أجد محامياً يتفق معى. نعم سوى واحد ممن كانت تمتلىء بهم قاعة الجلسة فما أكثرهم في قضايا التسعيرة والتموين بـل والأكثر والأمر والأشـد والأنكى أن ينقذنى أحدهم قائـلاً: أنا عندى جنح مسـتأنفة الجيزة يعنـى ماحبكش اللى نهاردة ولم أدر مـاذا أقول له والآخر يقول لدى استئناف عالٍ وعاوز ألحقه وكل كان يغنى علي ليلاه أما ما أصابنى

من خلال حرصى على أداء واجبى وبلا تقصير منى فلا يهمهم وتدبرت الأمر بسرعة وأخذت قرارى بعد تردد فقد كنت أفضل عدم الدخول والبقاء في مكانى إلي أن تعود الجلسة إلي الانعقاد وهى علنية وأرد على سيادته إن وجه لى كلاماً أما إذا طلب ما بعدها ورفض أن يطلب قضيتى فسوف أقاوم وأبحث ما يحدث لى مع أنى في هذه الآونة كنت مريضاً أعانى من سرعة ضربات القلب بلا سبب معروف عند الأطباء ١٤٠ أو ١٥٠ دقة في الدقيقة وأعتقد أن العادى ٧٠ ـ ٩٠ لكن وجدت نفسى استجبت لنداء المحكمة والحرص على مصلحة الموكل وتقدير وقوفى وحدى بلا ناصر أو معين أو حتى مَنْ يرثى في موقفى الذى لا أحسد عليه وقد سبق السيف العزل كما يقولون أن الحاجب استعجلنى فدخلت. قال لى السيد المستشار/ رئيس المحكمة أسئلة غاية في الغرابة, لكن سأحاول أن أحكيها كما حدثت. دفعة كام حضرتك؟. قلت: ولماذا هذا السؤال. قال: يبدو أنك حديث العهد بالمهنة. قلت: لا.. بل وقد فهمت ما يرمى إليه.. لقد قيدت بالنقابة صباح الأمس وحلفت اليمين أمام الله وكرسيكم العادل أمس أيضاً. وشرفنى قدرى أن أقف في محرابكم المقدس الآن وسألقى ربى بعد هذه القضية الوحيدة التى سأسأل عنها أمام الله فوراً . قال يبدو أنك شاب عنيد. قلت: وفيما العند إذن. ولم يهملنى لأكمل بل أسرع بالقول جنحة حكمها براءة والاستئناف نيابة وأنا أملى على لسانك طلباتك رفض هذا الاستئناف يبقى أنا هعمل إيه؟

قلت له: أنا لست نبياً أتكهن بما ستفعل ومع شديد احترامى بما ستفعل ولا شأن لى به وإنما كل همى أنى لم أقم بدورى وواجبى في القضية حتى وإن كنتم ستؤيدون حكم البراءة. قال: وما هى طلباتك الآن. قلت: ولو تتكرم وتؤجلها للاطلاع أو حتى ليؤكل المتهم محامى آخر. قال في حدة ولا أكون وبالاً عليك اتفضل يا أستاذ أنت عنيد وانتهت المقابلة وسنرسل لك الملف واطلع كما تريد. ولم أشأ أن أقول طيب ما كان من الأول في الجلسة وكان

لكم حينئذ كل الشكر لكن وجدت نفسي خارج غرفة المداولة إلي قاعة الجلسة ولم تمضِ دقائق كالدهر فقد عاد الموكل للطم خديه وقرع صدره بشدة في القفص وعاد تذمر المحامين وشكواهم منى لا الوقوف معى ولم يبق سوى توجه الجلسة كلها علىَّ وسؤال العضوين من الزملاء اللذين لم ينالا شرف الحضور وسماع ما تم وفجأة قطع كل هذا السكون خروج حاجب المحكمة من غرفة المداولة وأعطانى ملف الجنحة المستأنفة موضوع كل هذا وأشهد الله أنه لم تمضى سوى ثوان معدودة لا تكفى لقراءة قيد ووصف النيابة للقضية، لا بل حتى الوقوف على اسم المتهم موكلى إن كان هو أم هذا الملف آخر وفجأة دوى الصوت العالى الحاجب المحكمة.

أعيدت الجلسة

ولن يتوقع أحد ولا أنا أن يقول سيادة المستشار ولا أعرف ما قد أضمره في نفسه موجهاً كلامه لى في حضور كل الجلسة طبعاً حضرتك اطلعت اتفضل اترافع ووجدت نفسي أملى السيد/ أمين السر ليس لى من طلبات سوى تأييد الحكم المستأنف لصحة أسبابه وآسف أنى أضعت على العدالة بعض الوقت وقهقه سيادته بصوت عالٍ جداً وضحك معه العضوان لا بل الجلسة كلها إلا موكلى الذى بقى في القفص لأن القرار آخر الجلسة ومرت الدقائق دهراً اختفيت فيها عن عينى موكلى وقذائف شتائمه في مرار طبعاً إلى أن خرج أمين السر بعد دهر لا يقدر كيف مر بى إلا الله وحده ليأمر الحرس بإخراج موكلى من القفص لأن الحكم تأييد البراءة وما أن أعدت لموكلى بطاقة أو جواز سفره وخرج خارج القفص ولم يصدق عقله ولا عينيه أن رأى نفسه يسير معى في طرقة المحكمة بباب الخلق متجهين معاً للشارع إلا وأخرج حافظته وأودعنى مؤخر الأتعاب وقال لى نشفت دمى. والباقى يكمله القارىء في سره بالنيابة عن هذا الموكل الذى لا يفهم ولا يعى شيئاً مما جرى.

لكن أسجل له بكل الاحترام والتقدير أنه كان من الموكلين النادرين في سداد مؤخر الأتعاب وبأسرع من البرق فور براءته لا بل تأييد براءته ومعها نسيت كل المرار والمشقة والعناء الذى حدث لكنها ضريبة الأمانة في أداء الواجب.. أعاننا الله لكن أسردها من ناحية أسهل أتعاب دُفعت في حياتى وذلك قلة نادرة حمانا الله.

٣ ـ يا أستاذ إنت نبى نصلى وراك ولازم تأخذ الأتعاب !!

قالتها موكلتى. قلت لها: لا أعرف معنى ما تقولينه. قالت: الله يرحمه مات كنبوتك وهنا أدركت أنه الخصم، وإليك قصته فهى زوجة أب هذا الخصم ولكونه وإخوته لم يعتنوا بوالدهم الشيخ المريض فقد تزوجها لترعاه وتشاركه ما بقى من الحياة إلى أن وافته المنية وقد استكثر هذا الإنسان غير الكريم الخلق على هذه الأرملة كل شىء من تركه أبيه فجردوها منها حتى الشقة التى كانت تقيم فيها مع والده أراد طردها منها برغم أنها وإن كان عقد إيجارها باسم أبيه إلا أنه على غير الواقع والحقيقة هو الذى كان يقيم فيها ونسى أو تناسى أن له شقته التى يقيم فيها مع زوجته وأولاده ومات ضميره وحاول أن يصطنع من المستندات ما يؤكد دفاعه ودفوعه الباطلة ويدحض كل دفاع لهذه الأرملة وفي قلق هذه الأرملة حاولت أن أطمئنها سيما وأنه لا مسكن آخر لها على الاطلاق فقد انتقلت إلى القاهرة لزواجها من والد هذا الجاحد الناكر لجميلها والناس لفضلها أنها حملت عنه أمر العناية بأبيه في مرضه وشيخوخته وآنست وحدته وكانت له الزوجة والممرضة والأخت وكل شىء في الحياة.

وطلبت منى صورة من مذكرة دفاعى وكل ما أعجبها وأخذت تردده بفؤادها سراً ثم أعلنته لى فيما بعد بملء الفم والقلب معاً تلك العبارة

وهى أن هذا الخصم قد سلب كل تركة أبيه ولم يترك لهذه الأرملة سوى ما لا يستطيع أن يستأثر به ألا وهو معاشها كزوجة لهذا الأب ولديه من العقارات والشقق الكثير بعد أن نقل ملكية الكل في حياة والدة باسمه وإخوته مع بقاء حق المنفعة للوالد حال حياته وليس هذا عدلاً ولا إنصافاً ومَنْ يدرى فربما يرحل إلي مولاه ولا يجد له وقتاً لكى يشبع، فتأتيه الساعة عاجلة لمقابلة ربه. ألا يعود إلى بعض الخلق أو جزء من ضمير أو نصيب من خشية الله ومراعاته في زوجة أبيه التى صارت بحكم القانون كوالدته وربما يتحقق ذلك قبل أن يتحقق له غرضه في هذه الدعوى وهذا ما حدث ومات الابن العاق فحضرت هذه الأرملة لتخبرنى بكل ذلك بالعبارة التى أخذتها عنواناً لهذا الفصل «إنت نبى يا أستاذ نصلى وراك.. ربنا يخليك لكل أرملة ومظلوم.... إلخ». وقبل أن أجيب بعد أن عرفت هذا الخبر بأن الدعوى لم تنته وكل ما سيحدث أنه سيقطع فيها سير الخصومة فتقف إلي حين يعجل السير فيها ورثته وقبل أن أكمل باق كلماتى كانت قد أخرجت مؤخر الأتعاب وتقول لى خذ يسلم بقك ومذاكرتك.

حاولت أن أخبرها بأن ليس لى الحق في هذه الأتعاب فإذ بها تقول وخذ بقشيش لعم الوكيل و..... الكاتب و...... سيبها على الله الذى استخدمك هو يأخذهم هما رخرين تقصد الورثة وخرجت ولم تعد ولم يعجل السير في الدعوى أحد ومضت المدة.... وانقضت الدعوى واعتبرت كأن لم تكن بقوة القانون ولا أعرف ما إذا كانت حية ترزق أم قابلت ربها هى الأخرى لكن بقيت أنا لأخبر بهذا وله في خلقه شئون وتلك عاقبة الظالمين.

٤ ـ قصة لها العجب وانتحال صفة واسم زوراً في زور

أتى إلىّ أحد كبار تجار سوق الفاكهة بروض الفرج... ورغم أنه كان ذا شارب غث، له مبرومان إلى أعلى كلتا وجنتيه.. إلا أن الحزن كان قد ملأ قلبه.

قلـت : ما خطبك؟ قال إنها كارثة.. إن زوجتى الجديدة في السـوق قبض عليها وأخذوها ببوكس التموين وحرر لها قضية بيع بأزيد من السعر المقرر. قلـت له اطمئـن يا معلم .. الله لـه مليون حل وحل. قال: مـا هو إنت مش عارف! قلت: إيه خير إن شـاء الله. قال: لم تقل اسـمها الحقيقى... بل ادعت باسـم زوجتى وأملت اسـم أم العيال.. فلو أعلنت لهم الحقيقة.. أنت تعلم المصيبة... ولو سكت.. تبقى مصيبتين.

ورحت أتخيل المنظر.. ونتائجه وتساءلنا وهل هى تقرأ وتكتب؟

قال: لا.. بصمجية يعنى بتبصم.

قلت: وهل سألوها عن بطاقتها؟

قال: هو أصلاً النساء لهن بطاقات.

قلت له: اطمئن يا معلم.. الله يرسل لنا حلاً !!

وحضرت التحقيق وطلبت الافـراج عنها بالضمان المالى. وأكرمنى الرب بـأن أفرج عنهـا بكفالة ـ رغم أن هـذه القضايا في تلك الأيـام كان المتهم يقدم لجلسـة الموضوع محبوساً.. فشـكرت الرب وبقيت المشكلة تؤرقنى.. كما تؤرق هذا التاجر المشهور بسوق روض الفرج. وماذا سأعمل يوم الجلسة.. أمام هاتين المصيبتين !!

وباختصـار تم الاعلان بجلسـة المحكمة فتسـلمته صاحبة الاسـم ـ أم العيال ـ وبصمت عليه.

ويوم الجلسة لم يكن أمامى سوى الطعن بالتزوير على محضر الواقعة. وفي اندهاش قال لى السـيد المستشار رئيس المحكمة. هذا عجيب وأول مرة تحدث أمامى أن التوقيع على محضر ضبط واقعة يكون مزوراً!! يا أستاذ قول كلام غير كده.

قلـت له حملة وبوكس وقبـض على كثير من المتهمين رجال وسـيدات

وانتحلت إحداهن اسم هذه البريئة وها هى أمامكم... والأمر يحتاج إلى خبير بصمات قال لو ثبت عكس ذلك سيكون العقاب شديد. قلت لا يمكن أن يثبت عكس ذلك فهى ليست المتهمة والبصمة التى على المحضر ليست لها... والبصمات لا تتكرر ولا تقلد وأمر سيادته أن ترسل الأوراق لمصلحة الأدلة الجنائية لتتم المضاهاة وتعود في ذات اليوم لسيادته... وتوجهت المتهمة وأخذت بصمتها.. ولم تكن مفاجئة لى لكنها كانت مفاجئة للعدالة أن البصمة المنسوبة للمتهمة على محضر الضبط ليست لها هى بل هى مزورة! وكان أن قضى بالبراءة. ولا تتخيلوا مقدار تأثير هذه البراءة ليس على هذا الرجل الذى هو من كبار تجار السوق.. بل في السمعة التى اشتهرت بها في قضايا التسعير الجبرى آنئذ وبقى سر الزج باسم هذه البريئة في هذا الاتهام حتى اليوم لكنه معلوم عند الله بكل تأكيد.

الفصل الثالث عشر

من قوانين الله
زرع وحصاد هو قانون إلهى

«لا تضلوا الله لا يشمخ عليه فإن الذى
يزرعه الإنسان إياه يحصد أيضاً» (غل ٥:٧)

وهل الله أخضع نفسه - هو أيضاً لقانون؟ - أقول لك نعم ومليون نعم.

ومبادىء الله وقوانينه لا ولم ولن تتغير وأولها قانون الزرع والحصاد. وإن أردت شرحاً لهذا يعلن الله لى ولك «كل شجرة تعرف من ثمرها فإنهم لا يجتنون من الشوك تيناً ولا يقطفون من العليق عنباً» (لو ٦:٤٤).

لكون الناس الظالمين يخرجون الله دائماً من حسابهم ويدوسون على ضمائرهم أسوق تلك القصة الحقيقية التى أنا لها مجرد شاهد عيان ليس إلا فقد طلب منى الموكل «س» أن أجرد امرأة أبيه حال حياة والده من :

١ - نصيبها في العقار وهو عمارة بشارع شبرا.

٢ - ونصيبها من الأطيان الزراعية فيما لو حط أبوه رأسه ومات كما قال.

٣ - حتى المنقولات التى في شقة الزوجية طلب تحرير إقرار باستلامها منه كذباً وافتراءً وظلماً ليس إلا.... إلى غير ذلك من التصرفات وإن لم يتم ذلك رسمياً بالحصول منها على أوراق رسمية وأحكام صحة ونفاذ لعقود البيع له.... وأخوته.... إلخ.

٤ - بالطبع اعتذرت ولكونه موكلاً لدى في أعمال أخرى... كنت أراه كثيراً في

غير ذلك من الأعمال التى أسندت إلىّ ونصحته أن لا يظلم فلم يسمع وله أخ يخاف الله حذره فلم يرتدع وفي أحد الأيام حضر إلىّ أخوه ليخبرنى بعد أن نصب صوان أمام عمارتهم بشارع شبرا وقبل أن أتوجه لأعرف شخص المرحوم وأقوم بواجب العزاء.. أخبرنى شوف انتقام ربنا ماذا؟ قال أكبر أولاد صاحبنا (يعنى أخاه الظالم هذا) وهو في الطريق سمع استغاثة من أحد عمال الصرف الصحى المساكين وهو يغرق في بئر حجرة تفتيش كان يقوم بفتحها لتسليكها نزل وقبل أن يموت خنقاً صرخ ولما نزل له هذا المستغيث صرخ هو الآخر ولم ينجح ابنه في انقاذ مَنْ نزل لإنقاذ الأول ومات الثلاثة بأسفكيا الخنق من الروائح والميكروبات التى أهلكتهم... ولم يتعظ هذا الرجل في أنه ربما يلاقى ربه على غير ما يتوقع اليوم أو الآن فماذا يفعل وقد يبقى أبوه حياً.... وقد تبقى زوجة أبيه... المهم لم يقبل نصيحة وبعد مدة سمعت أصوات عربات الاطفاء تقترب منا وخرجنا وخرج معي عشرات من الجيران لترى رجال المطافىء وهم يطفئون النيران التى أتت على كل منقولات شقة هذا الذى جرد زوجة أبيه من منقولات شقتها قبل أن يموت أبوه المشلول الذى لم يقوى على مقاومته ثم لم يرتدع صاحبنا أمام نصائحى وأخوه الأكبر الذى استغيث به.... وزاد قلبه قسوة وعقله عزه بالاثم وفجأة نصب السرداق وقلت ربما الوالد الكبير لأتوجه لأقدم واجب العزاء في الوالد فإذا السرداق لهذا الابن الظالم وتذكرت ما قالته تلك الموكلة لى «يسلم بقك أهو جه يومه قبل يومى» ورددت الله لا يُشمخ عليه فإن الذى يزرعه الإنسان إياه يحصده أيضاً وذلك القول المقدس للغنى الغبى «اليوم تُطلب نفسك منك فهذه التى أعددتها لمَنْ تكون» وتلك هى نهاية الظالمين وبيت النتاش أبداً ما يعلاش ومَنْ يقدر أن يقف ضد الله الذى يسمع دعوة المظلوم وأنته ويسرع لنجدته وأسجل بكل ضمير صالح أمام الله والناس أن ما ألم بكل ظالم من زملائنا الذين شوهوا صورتنا كمحامين شرفاء أمناء لم ولن نظلم

أحـــداً أرملة أو يتيمـــاً ولا ولم ولن نقوى على الوقوف أمام الله الذى يتشـــدد لهم فقد أخذ على عاتقه أن يكون زوجاً للأرملة وأباً لليتيم في كل ملة ودين وصـــدق قول حكيم الأجيال سـليمان أن ظالم الفقير يعيـر خالقه ويمجده راحـــم الفقيـر (أم ١٤:٣١). وأن مَـــنْ يرحم الفقير يقرض الـــرب وعن معروفه هـــو يجازيـه (أم ١٩:١٧). وطوبى لَمَنْ يطيع هذه الوصايـا ويخاف الله لأن رأس الحكمة مخافة الله: «وهذه هي الديانة الطاهرة النقية عند الله الآب افتقاد اليتامى والأرامل في ضيقتهم وحفظ الإنســـان نفسه بلا دنس من العالم» (يع ١:٢٧) أما أولئك الظالمون فقد قصر الله أعمارهم (أم ١٠:٢٧).

(أ) زرع وحصاد هو قانون إلهى

حكى رئيس محكمـــة بأن كان محامياً وكان لا يؤمن بأن الأحكام من عند الله.. ظناً منه أنها شـــطارة محام أو جهل الخصم... أو حظ... أو نصيب... إلخ. وكان ينظـــر جلســـة جنح وكما جرت العـــادة بأن لا ينطق الأحـــكام قبل نظر الجلســـات وكانت القضية التى ينطق بها الحكم المســـودة بالبراءة ولكن عند نطق الحكم بالجلسة العلنية نطق حكمت المحكمة بحبس المتهم ستة أشهر والنفاذ وإذ نظر إلي السيد الأستاذ وكيل النيابة عن الخطأ الذى حصل بالنطق بالحبس بدل البراءة نبه سيادة المستشار فإذ به يتفق مع السيد الأستاذ وكيل النيابة مقرراً أنه لا يملك تغيير المسودة إلى إدانة بدل البراءة وقام الأستاذ رئيس المحكمة برجاء للســـيد وكيل النيابة بســـرعة عمل استئناف خلال ٢٤ ساعة وأرســـلت إلى الاستئناف وحضر محامى فيها من طرف السيد رئيس المحكمة ونظرت وقررت المحكمة آخر الجلسة صدر الحكم بتأييد الحكم الصادر.

وقـــد تعجب رئيس المحكمة من هذه المفارقات فذهب إلى الســـجن وقابل المتهم فقال له احكى لى هل أنت مظلوم أم برىء.

فقـــال المتهم هذه القضية أنا بـــرىء ولكن توجد قضية أخرى أنا مرتكب الجرم وأخذت براءة فيها وهذا حكم الله والله لا يخطـىء وأنا راض بعدله!!

وهنا أدرك السيد رئيس المحكمة أن «قلب الملك في يد الرب كجداول مياه حيثما شاء يميله» (أم ٢١:١).

(٣) من الآكل يخرج أكل ومن الجافى حلاوة

(قض ١٤:١٤)

إن أردنا أن نعرف هذا الكلام علينا أن نعود إلى سفر القضاة الأصحاح الرابع عشر وإذا قلنا ونحن نعلم أن كل الأشياء تعمل معاً للخير للذين يحبون الله (رو ٢٨:٨) كان علينا أن نشرح ذلك واقعاً.... وعملاً.... واختبارياً.... واكتب هذا اليوم عن قضية الأخ/ ع.س.ت من إخوة جمعية خلاص النفوس سيدى بشر بالإسكندرية والذى حضر إلى القاهرة لنطعن له على حكم خاطىء قضى بطرده وأخيه س.ت من شقته رقم .... بسيدى بشر... وتأيد الحكم استئنافياً... وأقمت له نقض ضمنه شق مستعجل بوقف التنفيذ لحين الفصل في النقض كما أقمت اشكالاً مستعجلاً بطلب بوقف التنفيذ لحين نظر الطعن بالنقض - وكنا نصلى بلجاجة للرب أن يتدخل واستجاب الرب وجاءت بالمفاجأة أن المالك يعرض التنازل عن هذا الحكم إن اشترى موكلى الشقة وبأقل من سعر السوق وبالتقسيط الطويل الأجل وتنتهى الخصومة... وقد كان.. وتعجبت من معاملات الله التى تخرج من الآكل أكلاً ومن الجافى حلاوة.

(٤) أبو اليتامى وقاضى الأرامل الله في مسكن قدسه

(مزمور ٥:٦٨)

لماذا يقضى بعض كبار المحامين في كبرى القضايا نهاية حياتهم في السجن ومعهم وكلاؤهم وكتبة ومحضرون... وفئات أخرى كأمين الخزينة في شركة تأمين أو مراجع حسابات بها.... إلخ.

قال لى الأستاذ/ سعيد الفار المحامي وعضو نقابة المحامين ضدك شكوى

وأنا قلت للشاكية يا ست شوفي حد تاني غير ده أشكيه وأنا عارف أنك مظلوم تعال قل كلمتين نحفظ بيهم الشكوى. قلت له ما موضوعها هل تفتكر؟ قال أرملة توفي زوجها في حادث وترك لها ١١ عيل قلت سددها عنى بالآتى لو أقدر على اللى بيتشدد ليهم كنت بلعتهم أحياء أو أكلت مالهم قال مش فاهم. قلت له: ألا تعلم من زوج هذه الأرملة؟ قال: لا قلت له أنه الله وهل تعلم مَنْ هو ولى أولادها القصر. قال: فهمت هو أبو اليتامى بس برضه تعال وقل هذا الكلام خلينا ننتهى من الشكوى وفي اليوم المحدد توجهت وبيدى شهادة رسمية من النيابة الكلية تفيد ما قمت به:

١ ـ ادعيت في الجنحة.

٢ ـ حكم براءة ورفض الدعوى المدنية.

٣ ـ سعيت لدى النيابة للطعن بالاستئناف فطعنت.

٤ ـ وبديهى استأنفت الشق المدنى.

٥ ـ وذكرت له أن وقبل ميعاد هذه الجلسة بأيام كان معنا الله وقضت المحكمة الاستئنافية بقبول الاستئنافيين وألغت حكم البراءة ورفض الدعوى المدنية وقضت بتغريم المتهم ٢٠٠ ج والتعويض المؤقت ولأن المتهم لم يحضر فالحكم غيابياً.

٦ ـ يبقى فاضل مدة المعارضة وتم حفظ الشكوى والله يسامح اللى زى مثل هذه الأرملة لتدعى أن التعويض صرف لى وأنا بلعته في كرشى.... إلخ.. الكلام والعبارات التى لا تليق قالتها في شكواها ولم أعاتبها بل سامحتها من قلبى. تذكر كل هذا وأنا أسمع هذا السؤال الذى بدأت به وقال هذا ومن خلال إجابتى على رئيس لجنة الشكاوى في نقابة المحامين زميلى أ. سعيد الفار لا شك يفهم القارىء ما أريد أن أقوله... أن كل فكر لنا وكل تصور... ومن ثم كل عمل... يراه الله. ويعرفه وبالتالى... فإن ظلم أحدنا أرملة... أو سلب أو اغتصب... أو أكل حق قاصر كل هؤلاء إنما

يتجهون في أفعالهم الآثمة هذه ضد الله «وظالم الفقير يعير خالقه ويمجده راحم المسكين» (أم ١٤:٣١).ولأن الجزاء من الله علينا أن نعرف كيف أن مخافة الرب تزيد الأيام (أم ١٠:٢٧

١ ـ ولماذا تقصر سنو الأشرار

٢ ـ لماذا يقطعون من الأرض (اقرأ مز ٧٣ ومز ٥٥:٢٣).

٣ ـ الشرير يطرد بشره أما الصديق فواثق عند موته (أم ١٤:٣٢).

٤ ـ البر يرفع شأن الأمة ـ والأفراد بداهة أما عار الشعوب ـ الأفراد ـ الخطية (أم ١٤:٣٢، ٣٤).

وأظهر براءتى ومنع هذا الوارث أو غيره من الشكوى بلا أى سبب وكان هناك ألم الظلم ونكد الرد وتعب المواجهة.... إلخ.

الفصل الرابع عشر

الله هو الذى يحرك الموكلين لسداد الأتعاب

لكل مهنة أسرارها، وقد تشترك مع بعض المهن الأخرى في بعضها، ونمارس أعمالنا في مدرسة الحياة... ولم ندرس الفنون كلها وأهمها كيف تتعامل مع عميلك.. لكنها تدريبات عملية في مدرسة الحياة لتدرك

مريضاً إن كنت دكتوراً أو طبيباً

مشترياً إن كنت صيدلياً

موكلاً إن كنت محامياً

مولاً لمصلحة الضرائب إن كنت محاسباً ..... إلخ

ويقف الإنسان حائراً ماذا يفعل؟ كيف يتعامل مع هذا الوضع أمام الذى يعانى بمركب النقص منذمن طفولته ويظهر أنه متواضع ووديع، ثم لا يلبث أن ينكر عليك حقك... أو ذاك الذى يعيش مهيض الجناح من رئيسه في العمل أو شريكه في العائلة زوجة في البيت أو زوجته وينفش ريشه عليك في حانوتك أو ذاك الذى تفنن في الخداع والإجرام.. نصاباً كان أو مختالاً أو مغتصباً... فتكون أنت أو أنا من ضحاياه.

ولقد نصحنى أحد أساتذتى في مهنة المحاماة بأن موكلىّ هم ألد أعدائى إن كسبت لهم القضايا هربوا بالمؤخر من الأتعاب وإن خسرتها انقلبوا علىّ تشهيراً وإساءة للسمعة.... إلخ. فإن رحمتهم في المقدم وأكلوا عليك المؤخر فقد خسرت كل شىء ولكن الله هو الذى يعلمنى أنه ضامن أتعابنا.

١ ـ لقد حضرت حرم ص . س وسددت عنه بعد صرف الشيك منها رأساً كوكيلة عنه.

٢ ـ حضر موكلى س . ص وقال أنا أعرف أن علىّ دين لسيادتك بالإضافة إلـي أتعابك... وأنا في طريقى للحج.. ولن يقبل منى إلا إذا سددت ما علىّ لك.. قلت له يا ريت كل الناس تحج.

٣ ـ بعد البحث بواسطة الوكيل عن ملفه أخبرنى بأنه بالبحث عن ملف أخينا هذا لم يجده. فقلت أحضره لى.. وللعلم هو في قسم المطالبة بالأتعاب.

دخل ومعه صورة إقرار بدين على والدته لى لم تسدده... وانذارات منى لهـا.... ترى بأنها عزلت... وفعلاً اتضح أنها عزلت.. قلت له وازاى حال ماما وأختك القاصرة.. طبعاً حضرتك بلغت سن الرشد. قال نعم وقال عايز فلوس. قلت طبعاً. قال ما تكملش أنا عارف وحضرتك عاوز فلوسك. قلت: صدقنى يا ابنى إنت راجل جدع طبعاً عارفهم كام. قال: ومعاى صورة من سند الدين على ماما. قلت له: وعندك استعداد تدفعهم؟. قال: أجيب منين. هات فلوس وخذ فلوسك.

شكرت الرب الذى لم يضيع حتي هذا المبلغ التافه ٦٣٣ ج في ١٩٨٦ تسدد وطبعاً سأسير في الإجراءات لرفع الوصاية عنه أولاً ثم بعد ذلك الذى بدأ عملاً سيبقى أميناً سيكمل إلى النهاية. شكراً لله سددهم ١٩٩٦/١٠/٧ في أول أسبوع قضائى لعام ١٩٩٦ «نحن نعلم أن كل الأشياء تعمل معاً للخير للذين يحبون الله» .

٤ ـ حضر لى الأخ لمقابلتى بالمكتب لم يجدنى... لم يشأ أن ينتظر.. فضجر وغضب واندفع للنزول... بعد أن عرف أنى بأجازة.

ما أن وصل إلى السيارة حتي ابتدأ بشكر لله كما قرر لى فيما بعد..

فقد غزى عليها اللصوص بعد أن حطموا وكسروا هويتها... ولمجرد رؤيتهم اتجاهه إليها لاذوا بالفرار ولم يسفر جريه وراءهم عن الامساك بأحدهم قال ثانية شكراً لله أنى لم أجدك لو كنت حضرتك موجوداً كنت انتظرت دورى وطبعاً مقابلتك ستأخذ وقتاً لأنه كان عندى كثير من التساؤلات وسأسأل وأنت ترد وسأستفسر وأنتظر الإيضاح... إلخ.. وبعد قليل أو كثير من الوقت كانت العربية الأجرة بتاعتي تبقى في خبر كان. قال كل هذا بنبرة الشاكر في الزيارة الثانية رداً على استفسارى عن والدة الموكل وأنه وعد بالحضور قبل ذلك ولم يحضر ولا هو ولا الوالد.. قال لا بل حضرت ولم أجدك وأشكر الله أنى لم أجدك قلت نشكره على كل حال بس ليه ستشكره على عدم وجودى. قال موكلى لى ما ذكرته سابقاً بالنص... فشكرت الرب معى ورددنا معاً نحن نعلم أن كل الأشياء تعمل معاً للخير للذين يحبون الله، وقلت له حب الرب أكثر ودعنى معك أحبه أكثر له كل المجد.

الله يحدد ميعاد العمل.

وفوجئت بالموكل ع.أ وقال إحنا خلصنا الموضوع وعاوز أحضر أدفع الأتعاب.

قلت له: أتعاب إيه.. ما انتم موثقين لى حوالة بالشهر العقارى رسمياً.

قال لأ تسلمنا المبلغ اللى لى كما استلمت المبلغ اللى لك.

قل: كيف يا عم.. هو حضرتك عندك توكيل منى؟

قال: لا ، هم سلمونى الكل.

قلت له : كيف إذن استلمت قيمة مبلغ إنت حولته لى من قبل بحوالة حق موثقة بالشهر العقارى.

قال: هذا ما حدث ... وأنا أخاف الله... فهمت الموضوع.

قلت له: يعنى حضرتك ألغيت الحوالة.

قال: لا.. الموظفون هم الذين اتصرفوا وأخذوا منى تخالص.

قلت له : طيب وأرملة المرحوم.

قال : كذلك وقلت له حلو خالص وفلوسى أو أتعابنا بعد ٢٥ سنة خدمة.

قال: معى متى أحضرها لك؟

قلت له: الآن لأنى بكره الأحد لا مكتب والاثنين مسافر الغردقة في شغل.

قال: حاضر.

وحضر وفهمت منه كيف أحضر الأرملة وألغوا الحوالة في مكتب التأمينات. وهى للعلم غير قابلة للالغاء ومنصوص فيها على ذلك. يعنى هذا التصرف يجر وبال ودعوى تعويض على هذه الجهة التى تصرفت برعونة وتسرع ولم تحسب حساب العاقبة.

قلت له : الحوالة بمبلغ ١٣٠٠ ج.

قال: أنت محول من الأرملة ١٠٠٠ ج فقط والباقي منى أنا.

يقصد شخصه لن أدفع لك مليم واحد أعتقد أنك توافقنى على ذلك.

قلت: كيف أوافق بعد هذا الجهد... الجهيد.

قال: أنا حبيبك أحضر وأعمل صيانة لمكيفاتك أنا وأولادى بيهم يا عم.

قلت له: العمل شيء والصيانة شيء آخر وأنت مش كنت بتأخذ أتعابك والأولاد أيضاً.

قال: نعم. قلت له طيب أنا محول من الأرملة ١١٠٠ ج قل إزاى.

قلت له: هذه هى الصورة وأريته إياها.

قال: ادفعهم.

قلت له: أعطنى إيصال ومش عاوز فلوس ومع السلامة طالما أنت قبلت أكل حقوق الذى خدمك ٢٥ سنة.

قال: أنا معترف بفضلك وهذه هى الفلوس.

قلت: وادى الايصال.

استلمت أنا جرجس إسحق مبلغ ١٠٠٠ ج من الأرملة وعم ع.أ عن الدعوة رقم لسنة ١٩٧٤ عمال جزئى القاهرة وذلك من حساب المصاريف والرسوم والأتعاب ومسامح بالباقى.

تحريراً في ١٩٩٧

مبسوط يا عم ....؟

قال: أنا مش دافع غير الـ ١٠٠٠ ج.

قلت له: لا، بل ١١٠٠ ج.

قال: حاضر وأخرج ٥٠ ج كمان.

وقال: سامح يا أستاذ.

قلت: مسامح يا عم ومع السلامة.

فقلت له: احكى لى كيف وأين قبضت المبلغ.

قال له: في مكتب تأمينات محافظة .... وشرفك.

قلت له: كيف هذا؟

قال: مكتب تأمينات بولاق أرسلنى للسيدة زينب ومنها لبولاق ومنها لمحافظة .... بالصعيد.. وأخذت أرملة المرحوم والدى وتوجهنا.

قلت له: حمد الله علي السلامة وشكراً لك يارب وشكراً لحضرتك.

وحمـدت الله الذى حرك قلـب الرجل للحضور وأعطانـى المبلغ الذى لا أعلـم حتى الآن كيف يجرؤ موظف حســابات أو شـئون قانونية على الغاء حوالــة حق موثقة أعلنت لهم وقبلوها طبقـاً للمادة ٣٠٥ مدنى، لكن هذا مـا حـدث ومع ذلك فالذى يبقى لى هو الرب إلهـى وأبى الذي حفظ أتعابى وأن وصلت

١٣٠٠

١٠٥٠

خسارة ٢٥٠ + رسوم الحوالة + رسوم اعلانها

لا يهم، فكيف كنت سـأقاضى التأمينات والموكلـين ... وكم من الوقت والجهـد والرســوم والمصاريف ومثـل غيرها لكن الرب عـارف وضامن ومرتب وحامى.. شـكراً له مــن كل القلب ومرة أخرى شـكراً ولا أعـرف غير كلمة شكراً وأنحنى عند قدميك وأقول مليون شكراً بعد ٢٥ سنة خدمة في هذه القضية أنت تعلم من ٧٤ حتى ١٩٩٧.

٥ ـ رغـم حقد، وغل، وحسـد، وخطـأ الموظفين حصلـت على قيمة حوالة حـق الموكل لجزء من ماله لدى الجهة الحكوميـة... ولم أقاضِ هذه الجهة... ولم أشك.

ولكـى يفهم القارىء العزيز معنى كلمة حوالة حق تصور أن لك ١٠٠٠ ج ألف جنيه لدي جهة حكومية. عليك لى أتعاباً ١٠٠ ج.. فلك أن تحضرها وتأخذ صورة الحكم التنفيذية التي قضت لك بهذه الألف جنيه أو أن تتوجه للشهر العقـارى وتحرر حوالة حق لــى بمبلغ ١٠٠ ج من هذه الألــف جنيه وتأمر الجهة الحكومية بصرف ٩٠٠ ج لك و١٠٠ ج لى وعادة نكتب أن هذه الحوالة:

(أ) نهائية.

(ب) ولا رجوع فيها تحت أى عذر أو سبب.

والجهـة الحكـومية متى قبلت هـذه الحوالة الموثقة بالشـهر العقارى أو المعلنة لها ليس لها أن تجادل أو تناقش أو تعترض على صرفها.

لكن في موضوعى هذا بكل الاسـتهتار، والحقد، والحسد، والغل معاً.... لم يعتـدوا بالحوالة ـ وقاموا بصرف قيمة المبالغ للمسـتحقين له بموجب الحكم ـ رغـم إعلانهم بالحوالة الموثقة قانونـاً وبطريق المحضرين وقبولهم لهـا ضمـن أوراق التنفيـذ... وهذا كاف جـداً لمقاضاة المسـئول من أصغر موظـف لأكبر قائد له، في هذه الجهة الصارفة... المهم هذا حدث بلا تقدير لا للمسـئولية... بل وكما قلت حقداً، وحسـداً، ونكاية بى ليس إلا... وذلك من محافظة تبعد عن القاهرة مئات الكيلوات... وبعد عشرات المرات أتوجه وأسـلمها الأوراق... «أما أنـا فقلت عبثاً تعبت باطلاً وفارغـاً أفنيت قدرتى لكن حقى عند الرب وعملى عند إلهى (إش ٤٩:٤).

ولـم أفكر حتى في إقامـة دعوى ضد هذه الجهة ـ رغم مسـئوليتها خطئهـا وضمـان كسـبى للدعوى مـع الفوائـد والتعويضات والرسـوم والمصاريف.... إلخ.

الفصل الخامس عشر

من قوانين الله
تحويل الشر إلى خير
كيمياء إلهية

«فقال لهم يوسف ـ أى لإخوته ـ لا تخافوا هل أنا مكان الله أنتم قصدتم لى شراً أما الله فقصد به خيراً لكى يفعل كما اليوم ليحيى شعباً كثيراً. فالآن لا تخافوا أنا أعولكم وأولادكم فعزاهم وطيب قلوبهم» (تك ٥٠ :١٩ ـ ٢١)

في حادث أليم وربما يكون هذا اليوم بلغة العصر شيئاً عادياً فحوادث الطريق مع كل دقة قلب أو حركة لعقرب الثوانى تسجل حادثاً يذهب ضحيته آلاف من البشر نتيجة الرعونة وعدم الاحتياط وكل صور مخالفة القوانين والقرارات واللوائح المنظمة لآداب المرور وقواعده.... إلخ. لكن الذى مات لم يكن في الطريق بل هو ميكانيكى بجراج بهيئة النقل العام وأثناء عمله في أتوبيس انزلق الذى خلفه عليه ودهسه ومات مفعوصاً هكذا بين الأتوبيس.. قلت اجرى اشكرى سلمى للرب. قالت: كيف وفي رقبتى أولاد صغار بعد في سن الإبتدائى والإعدادى والذى كبر وتخرج لا يعمل والذى يعمل لا يسأل فىّ ولا في إخوته.... إلخ. لكن الذى يؤلمنى قلت ماذا؟.. قالت: إنهم تستروا علي القاتل قلت: كيف؟ قالوا أخفوا اسمه. قلت: نعرفه من كشوف اليومية بالجراج. قالت: أخفوها. قلت: من رؤسائه في العمل. قالت: جاملوه وكأنه فص ملح وداب. قلت في ضجر: اتركى هذا على الرب أولاً وعلىّ ثانياً وسأعمل ما في وسعى وسأخرج لك هذا القاتل ولو كان دبوس إبرة وقع في محيط هذه الهيئة أو جرن موظفيه. قالت: إذن أشكر الرب أنه

قادنى إليك وقاد القس و.ب لأن يرسلنى لك ثم عادت تشكى لكنى فقيرة ولا رسوم عندى ولا أتعاب وبكت. قلت: لا تشكى ولا تبكى سيتولى الرب الإنفاق عليها لحين الفصل النهائى فيها والتنفيذ كما يفعل في مثل هذه الحالات محامو التعويضات فقط سيخصم الذى ينفق كل مليم مما ينفق فيما بعد بجانب حق الرب. قالت: موافقة واتفاقاً بذلك وأرسلت أحضرت الاطلاع وإذ بكل كلمة قالتها هذه الأرملة صحيحة الجنحة جنحة قتل خطأ قيدت في / / برقم جنحة ثم صدر قرار في / / بحفظها لعدم معرفة الفاعل وكان أمامى الطريق القانونى تظلم للرئاسة واتهام الجرج بكل عملية التزوير في كشوف العمل والعمال والتستر على قاتل.... إلخ.

فإن رفض اتظلم لجهة أعلى هى المحامى العام الأول ثم إذا بقى الحال على ما هو عليه للسيد / المستشار النائب العام. لكن المعمل الإلهى ابتدأ يصدر توجيهاته أن أترك هذا الطريق الذى:

أ ـ إذا نجح يستغرق من شهر إلى سنة.

ب ـ فإذا تحركت الأوراق خارجة من التحفظ في طريقها لمحاكمة القاتل جنائياً أما حكم غيابى أو هذه عادة يكون تحريك الدعوى من وكيل نيابة منفعل نسى أن يأخذ إذن رئيس النيابة ثم حكم عدم قبول الدعوى الجنائية ثم تتبع إعادة الأوراق وإعلانات ورسوم ثم غيابى ثانية ثم إعلان أو محاولة الإعلان بالحكم ولا أمل لا عن طريق المباحث العامة ولا عن طريق مباحث هيئة النقل العام والأمر بسيط هل نحضر لك سائق هيئة النقل بالانتربول من ليبيا أو الكويت هو ليس موجود في مصر وكل يوم يأخذ أتوبيس المهم انتظار أكثر من ٣ سنوات لحين الدعوى الجنائية قد انقضت يعنى أمامنا من ٣ إلى ٥ إلى ٧ سنوات... بل ولدينا قضية الستة عشر عاماً جنائياً ومدنياً.

ج ـ هذا فيما لو نجح تظلمنا لا بل وهنا تذكرت دور محامى المتهم ومحامى

للهيئة المسئولة عن الحقوق المدنية ومحامى الشركة التى لديها التأمين ثم استنفاذاً جميع طرق الطعن معارضة استئناف نقض ثم معارضة ثانية ثم النقض الثانى مرة ثم المدنى ثم الاستئناف ثم النقض ثانية ثم العودة للاستئناف ثم النقض ثالث كما حدث في دعوى أخرى لدينا قضت ٢٤ سنة تترنح في ردهات جميع درجات التقاضى وهذه سيأتى الحديث عنها فيما بعد رحلة ٢٤ سنة ولم تنتهِ بعد وثلاث مرات نقض.

عدت إلي حيث قلت فيما لو نجح تظلمى قلت يارب لا ينجح وهذا الأفضل وليت القارىء لا سيما إذا كان من رجالات القانون أن يردد معى «كل خطأ جنائى خطأ مدنى وليس كل خطأ مدنى خطأ جنائى» وأقمت الدعوى استناداً إلى توافر الخطأ المدنى فقط وفق مواد ١٦٣، ١٦٩، ١٧٠، ١٧٤، ١٧٨، ٢٢١، ٢٢٦، ٢٨٥ مدنى ونصوص قانون التأمين الاجبارى مواد ٥ وما بعدها من قانون ٤٦٢ لسنة ١٩٥٥ ويطلب سبعين ألف جنيه تعويض موروث ومادى وأدبى وجلسة والثانية والثالثة حجزت للحكم وكان أن قضى بأعلى قضى به لنا منذ أن مارست المحاماة ٢٦٠٠٠ ج (ستة وعشرين ألف جنيه موروث ومادى وأدبى) وإذ بأكبر الأبناء يتصل بى معاتباً أهذا مبلغ؟ ثم تحضر لى الأرملة باكية وشاكية كطبيعتها. أقنعتها بأن تشكر الله. قال: أشكره على إيه.. هل تم صدور حكم إعدام على القاتل؟ قلت: لو أحضرت لكِ رأس القاتل كرأس يوحنا المعمدان على طبق هل عادت الحياة إلى زوجك وعاد معك إلي منزلكم؟ قالت: نارى تبرد بس. قلت: ليست هذه مهنتى التى كلفتينى بها. قالت: أمال إيه؟ قلت: أن أحضر لكِ تعويضاً. قالت: يا خرابى.. وقامت تزعق بالصوت. قلت: أنتِ في مكتب محام في عمارة تضم عشرات المكاتب.. ماذا أنتِ فاعلة؟ قالت وكام بإذن الله قلت لها ٢٦٠٠٠ ويبدو أنها لم تفهم شيئاً بدليل الحديث القادم الذى أحكيه فوراً.

عادت كعادتها شاكية باكية وأضفت لها أنى قد طعنت لها على

الحكم بالاستئناف. قالت: وطبعاً هم كمان طعنوا. قلت الحمد لله أكثر من طعن سواء هيئة النقل العام أو شركة مصر للتأمين. قالت: ما أنت السبب يا أستاذ. قلت: كيف؟ قالت: حد يطلب لى ـ يبدو أن أحدهم قال هذا من جهابزة وعلماء الكلام السفسطائى أو أحد الجهلة ـ قلت ماذا طلبت ٣٠٠٠٠ ج أو ٤٠٠٠٠ ج علشان كده قضوا لك بـ ١٧٠٠٠ ج فقط. قلت لها: مَنْ قال لكِ هذه الأرقام؟ قالت في كبرياء كاذب إنت قلت لى. فقلت لها: لم يحدث بل قضى لكِ بـ ٢٦٠٠٠ جنيه. قال: وكم طلبت. وهنا أحسست بأن كبريائى أو عملى وخبرتى كلها قد جُرحت أمام هذه الأرملة النكدية. فقلت: مَنْ معكِ بالخارج. قال: ابنتى بالإعدادية. قلت: أحضريها.. وطلبت من الوكيل إحضار الملف واطلعت الابنة.. اقرأى يا ابنتي ملف مَنْ هذا؟ أجابت: ماما. قلت: هل يوجد كلمة ماما هنا. قالت لا. قلت: اقرأى الاسم. فقرأت فلانة ابنة فلان ابن فلان ثلاثياً. قلت: هذه صحيفة الدعوى بجانبها الأيسر دعوى مطالبة بمبلغ. قالت: سبعون ألف جنيه. قلت: وهذا هو الحكم اقرأيه لماما. قالت: حكمت المحكمة بـ ٢٦٠٠٠ ج.

قلت للمرأة: خذى ملفك واذهبى لحالك وقلت لها إن هذا أكبر تعويض لرجل متوفى بحادث ومن يوم عملي بالمحاماة حتي هذا التاريخ لذا اذهبى لزميل آخر. فلم أعد أحتمل نكدك في كل زيارة.

قالت: لا، بل سامحنى إن سألت ثانية علي الملف والله يسامح اللي كانوا السبب..

غفرت لها هذا النكد وذلك الهم الذى سببته للوكيل ولى عبر أكثر من زيارة وانتهى الاستئناف بتأييد الحكم المستأنف أى هذا المبلغ ٢٦٠٠٠ج ورفض الاستئنافات الثلاث استئناف هيئة النقل بطلب النقصان واستئناف شركة مصر للتأمين بطلب النقصان واستئنافنا بطلب الزيادة لـ ٧٠٠٠٠ ج وحُسم الأمر واستغرقت رحلة الملف منذ وقع الحادث أقل من عامين قضائيين

إلي تاريخ الحكم الاستئنافى والتنفيذ وعدت أتذكر بالرحمة التى قادتهم من وراء بالتستر على القاتل شراً بهذه الأرملة وأولادها الذين تلطموا وتيتموا بفقد الأب والرب قصد من وراء تسترهم خير نعم خير هو سرعة الفصل في هذه الدعوى فلدى غيرها تلك القضية عم ع.أ التي استغرقت ٢٤ عاماً قضائياً وللآن لم يفصل فيها بعد وبمحكمة النقض لثالث مرة تلك هى كيمياء المعمل الإلهى وتلك هى إحدي مواد قانون هذا المعمل أن يقصد الناس بنا شراً كما قصد إخوة يوسف به شراً بادعاء أن وحش ردى قد افترسه ورميه في البئر وبيع كعبد ثم أكملت الشر والجحيم المسلسل فاتهم كذباً وظلماً وحكم عليه خطأ وظلماً أيضاً وحبس كمداً وظلماً ولكن إلهى كان معه وبسط له لطفاً ونطق أمامهم بهذا القانون لهم ولنا عبر الأجيال إلي يوم مجيئه «أنتم قصدتم لى شراً أما الله فقصد به (أى الشر) خيراً» (تك ٥٠:٢٠). أما كيف فعد لقراءة اختباراتك من جديد. أما الآن فإلى رحلة الربع قرن مع قضية أخرى مثل هذه لندرك فعلاً قيمة أن كل الأشياء تعمل معاً للخير للذين يحبون الرب (رو ٨:٢٨).

هذه القضية مشهورة عندنا في مكتبى بأنها قضية الحاج/ عبد الغني إبراهيم عامر وقد أخذت من الأعوام ١٩٦٩ حتى ١٩٩٤ ولم تنتهِ بعد وقد أقيم ثلاثة نقوض:

١ ـ ١٠٧٢ س ٤٥ ق وهو منا عن عم عبد الغنى.

٢ ـ والطعن ١٠٤٣ س ٥٠ ق وهو منا عنه وكان من المفروض أن يقضى من محكمة النقض في الموضوع طبقاً للقانون ولكنها نقضت الحكم وأعادته لمحكمة الاستئناف حيث قضى.

٣ ـ فأنصفتنا محكمة الاستئناف.

٤ ـ إلا أنه لم يرتضِ أحد الأخصام هذا الحكم وهو شركة التأمين فطعنت

عليـه بالنقـض رقم   س   ق الذى حتى عـام ١٩٩٤ لم يفصل فيه بعد أى ٢٥ عاماً.

٥ ـ ولما كـان أحـد الأخـصام قد أقام طعناً ثالثاً.

٦ ـ ولما كـان النقض لا يوقف تنفيذ الحكم قانوناً.

٧ ـ ولما كنا قد نجحنا في تنفيذ الحكم لم ولن يتابع أياً منا الموكل وأنا ما تم أو يتم في النقض الثالث هنا... فالله يتولاه.

قضية مشـهورة في مكتبنا الـكل يعرفها ويرسـمها ليتعلم الصبر، والنفس الطويل في المحاماة وأن نضبط ساعاتنا على ساعة الله.

وأضيف أن قضية سـقوط قطار منفلوط بتاريخ ١٩٧٧/٧/١٢ لم يقضى فيها ضد سـائق القطار إلا بعد ٢٤ سـنة من محكمـة النقض ولم يقضِ لأسـرتين من المنكوبتين واثنين من المصابين إلا بعد انتهاء النقض ولم ينفذ هـذا الحكم إلا فـي ٢٠٠٦/٧/١٢ أى بعد ٢٩ عاماً!! من لديه هذا الصبر؟! أقول لك إلهى كان معي في الأولى كما في الثانية وغيرهما لا سيما تلك القضايا التى كان يطول أمر التقاضى لا لسـنة ولا عشر بل ولثلاثة عقود من الزمان ولم تنته. كان الله يعلن لى:

١ ـ «السـالك طريقاً كاملاً هو يخدمنى». اعمـل اللى عليك واصبر وأنا معك تشدد وتشجع.

٢ ـ بالعاميـة أو بالبلدى شـد حيلـك ومن صوته الواضـح من الكلمة المقدسة «أما أمرتك تشدد وتشجع لا ترهب ولا ترتعب لأن الرب معك حيثما تذهب» (يش ١:٩).

أ ـ تقوَّ يا ابنى. ب ـ بكل قوة. ج ـ لكل صبر.

د ـ وطول أناة. هـ ـ بفرح. و ـ واشكر الآب الذى أهلك.

ز ـ لشركة ميراث القديسين في النور (كولوسى ١:١١، ١٢).

٣ ـ نعم. لقد علمونى الصبر لذا كنت أتأنى «.... هوذا الفلاح ينتظر ثمر الأرض الثمين متأنياً عليه حتى ينال المطر المبكر والمتأخر .... ها نحن نطوب الصابرين قد سمعتم بصبر أيوب ورأيتم عاقبة الرب لأن الرب كثير الرحمة ورؤوف» (رسالة يعقوب ٥:٧ ـ ١١).

نعم رأيته حتى وإن كان لا يراه غيرى سائراً معى وكنت أتشدد كأنى أرى ما لا يُرى (عب ١١:٢٧). فليتك تبحث عنه وحتماً ستجده وسط ظروفك يقول لك أنا هو لا تخاف (مرقس ٦:٥٠).

الفصل السادس عشر

من قوانين الله
أنه المهيمن علي كل شىء

«تــوكــل عـلـى الـرب بـكـل قـلـبــك وعـلـى فـهـمـك لا تـعـتـمـد في كل طرقك اعرفه وهو يقوم سبلك» (أم ٣:٥، ٦)

الله يتدخل في منع ماكينة التصوير من العمل ثم يشرح لى السبب

نعم الله يتكلم عنى لمنع حماقة الإنسان أياً كان مؤمناً كيونان في بطن الحوت والطبيعة.... إلخ.. أو شريراً عرافاً كبلعام بحماره.

أردت تصوير قانون الإيجار الجديد.. صورت الوجه الأول ٧ نسخ ثم قلبت السبعة وأردت التصوير.. أول صورة لم تخرج.. وثانى صورة لم تخرج... وثالث صورة لم تخرج !!

وهنا أشارت لى أصبع الله أنى لم أقلب الورقة المطلوب تصويرها وبالتالى سأعدم السبع نسخ وأشكر الله سمعت للصوت وأسرعت لقلب الورقة إلى ص ٢ الله يعلم... أن الماكينة لم تقف ولا مرة واحدة... وتم تصوير الباقى من الأربعة نسخ الوجه الثانى دون ما يتم تخشير ورقة واحدة. كما تدخل الله عن طريق حمار أعجم ليمنع حماقة العراف أو عطل ماكينة لكى ما أصحح وضع الورقة.

نعم يارب لك في عطل الماكينة يد... وكلمة.... وحل.... وسلطان... وهنا تذكرت ماكينة أخرى عطلانة وموضوع دعوى بينى وبين الشركة البائعة

لها من عشـــر سنين وهى لا تعمل والعداد لا يسجل إلا ما حاولت الشركة إصلاحه... ولكن لم تفلح المحاولات وكانت الصلاة للرب أن يرســل المهندس المؤمــن الذى أرســله الله لاصلاحهـا.... ومعه الكتالــوج وحضر فقلت له: تســمح يا باشــمهندس نصلى الأول... فقال: بكل ترحـاب... وأصلح الرب الماكينة بيد هذا المهندس ولن أذكر العيب... فهو سر.. قال لى لا تقل فقلت وتركت الدعوى للشطب وهم لا يعلمون السبب بداهة أنها يد الله.

الفصل السابع عشر

حتى وإن أخطأت
الله يحمى ظهرى

«من قِبَل الرب تتثبت خطوات الإنسان
وفي طريقه يسر إذا سقط لا ينطرح لأن
الرب مسند يده» (مز ٣٧:٢٣، ٢٤).

الله يحمى ظهرى (أ)

هل تعلم أن الرب «رجل الحرب» (خروج ١٥:٣).

وهل تعلم أنه في تسليحنا لا يوجد سلاح لظهورنا (أف ٦).

ودعنى أكرر أنه لا يوجد سلاح لظهورنا، فأسلحة الله لنا سبعة هى:

١ ـ منطقة الحق.

٢ ـ درع البر.

٣ ـ أحذية استعداد إنجيل السلام.

٤ ـ ترس الإيمان.

٥ ـ خوذة الخلاص.

٦ ـ سيف الروح الذى هو كلمة الله.

٧ ـ الصـــــلاة.

وهكذا يتضح لك أنه لا يوجد سلاح للظهر وذلك لتأكيد أمرين:

١ ـ لست جباناً يهرب بل عدوى هو الذى يهرب منى (يع ٤:٧).

٢ ـ الله هو الذى يحمى ظهرى كما كان في القديم بأسلوب منظور في ذات الأصحاح خروج ١٥ الأعداد ٩، ١٠ ..... إلخ الأصحاح.

فماذا حدث؟

كان لى وكيل شاركنى العمل وترك بصماته في كل عملى انتقل إلى رحمة مولاه ليضمه الله بواسع رحمته وفي محبة إلهى ورحمته آمل أن أراه عن قريب معى في لقاء الحبيب في الفردوس فهذا ليس ببعيد على عمل نعمته في قبول والدنا الحبيب الراحل عم داود نصيف جرس المهم كانت مهمته المحاكم عدا العُليا فهى اختصاص زميله عم لطفى ومن بين النقوض الجنائية نقض ضد موكلنا ص.ب أقيم بدون أوجه وحكم فيه بالتالى في ١٩٩٣/٢/١٧ ولما كان هذا عن واقعة قتل خطأ فإن الميعاد لرفع الدعوى التعويض استناداً إلى هذا الحكم يكون ١٩٩٦/٢/١٧ وأفاجأ بعم لطفييقول لى سائلاً ما هو ميعاد سقوط الحق المدنى؟

قلت له لسؤالك سبب ضرورى ومهم فما هو؟

قال لا .... سبب هل هو ١٠ أيام أم ثلاث أعوام أم ماذا؟

قلت شارحاً له لا يوجد ميعاد سقوط للحق المدنى ١٠ أيام... لكن ثلاث أعوام هذا بشرط أن يكون الحكم الجنائى نهائى وبات .... وطبعاً شرحت له الأمر فقال لى طيب أنا مش عارف التأشيرة دى معناها إيه. قلت: ملف مَنْ؟. قال: ملف ص.ب. قلت:: اعرضه علىّ وجدته جلسة ١٩٩٣/٢/١٧ وبخط يده نقض بدون أوجه وأفهمته بديهى أنه يكون قد حكم به وحتماً بعدم قبوله شكلاً وتبقى المواعيد قاربت على الانتهاء قال كم يبقى من الوقت.

قلت له: عشرة أيام ليس إلا. ففزع وقال ما أنا قلت إن دى من تركة المرحوم داود.

قلت له: دع عم داود في واسع رحمة الله. ماذا عنك أنت ومن انتقال العمل إليك واختصاص لكل القضايا قال لم أعرف فحوى التأشيرة.

قلت: إذاً تحضر شهادة رسمية عاجلة من محكمة النقض بما تم في هذه

الجلسة ١٩٩٣/٢/١٧ هو ما تأكد ثانى يوم أن الطعن قضى فيه لمصلحتنا بعدم قبوله شكلاً لعدم إيداع أواجه الطعن وهذا شىء بديهى.

يعني كان لازم تترفع الدعوى من ١٩٩٣/٢/١٧ وإلى ما قبل ١٩٩٦/٢/١٧ ونظراً لكثرة مشغولياتى أحضرت أخوانا يوحنا وسلمته الملف وقلت له لا نزول من المكتب الليلة قبل كتابة هذه الصحيفة وفعلاً تم ذلك.

ورفعت الدعوى في الميعاد ونشكر الله لولا حماية الله لظهرى لمر الوقت وسقط الحق وكنت مقصراً أنا يارب ساعدنى حتى أدرك تلك الحماية فأطمئن وأهدأ... واجعل لى سلاماً لأنك كل أعمالى قد صنعتها لى (إش ٢٦:١٢).

ومرة أخرى أُقبّل القدمين المثقوبتين لأجلى أنك لم تجعل عدوى يهتف علىَّ بل دحرته الفرس وراكبه طرحتهما في البحر عندما يجيء العدو كنهر فنفخة الرب تبيده هللويا مجداً لك يا أبويا السماوى فقط أذكر باقى جميع أمثال هذه واكتب أمامك سفر تذكرة وساعدنى حتى يكون الفرس مُعداً ليوم الحرب أما النصرة فمن عندك وأعطني أن لا أعطى مكاناً لعدوى في صغيرة أو كبيرة. آمين فآمين.

الله يحمى ظهرى (٢)

للسيد/ الزميل ع.أ.أ المحامى أو قل لبعض أقاربه طرفى بعض القضايا أباشرها باسمينا كلينا ابتدائياً... واستئنافياً... وحتي النقض ثم طلب التعويض الكامل وذلك ونظراً لأدبيات كثيرة لا داعى للخوص فيها واشكر الله بعد صدور حكمين في دعوتين لأقاربه هؤلاء قام باستلام الحصيلة ويسلمها لهم في أحداهما لكون التوكيل الخاص اللاحق على صدور حكمها باسمه وحده أما الثانية فقد كان لى وسيادته منفردين... فأخطرته بالسيد/ المحضر متولي التنفيذ بتحصيله لحكم إلا أنه لم يتوجه لاستلامه من السيد/ المحضر شأن الحكم الأول... وكان من بين المستحقين قصر... سيتم

إيداع نصيبهم خزينة المحكمة لحين صدور قرار من المحكمة الحسبية لتحويله لبنك مصر الفرع القريب منهم وقد أخطأ السيد/ المحضر في إيداع أنصبة الجميع ظناً منه أنهم كلهم قصر... في حين أن اثنتين منهما قد بلغتا سن الرشد ورفعت عنهما الوصاية وهو ما كان يتحتم أن يعرفه:

١ ـ سواء من تحريرهم شخصياً التوكيل الخاص لنا بالاستلام بالغين.

٢ ـ أو صدور قرارات رفع الوصايا عنهما والاذن للوصية والدتهم بتسليم كل أموالهما لهما كنص القرار المرفق بالأوراق... مع الحكم ولقد كان قيمة الحكم ١٤٠٠٠ ج أربعة عشر ألف جنيهاً مصرياً فوجئت بأن كل الذى تسليمه ٥٥٠٠ ج فقط خمسة آلاف وخمسمائة جنيه والباقي أودع خزينة محكمة عابدين الجزئية وأصبح من المستحيل استلام الكل لشىء بدون إجراءات كثيرة ومعقدة فبدلاً من أن تكون هذه الاجراءات حماية لهم أصبحت عبئاً ثقيلاً عليهم فالشركة تدفع عند إعلان الحكم وتطلب شهادات من الضرائب أو خلافه أما إجراءات صرف هذا المبلغ الذى أودع بمحكمة عابدين.

٣ ـ والتعليمات بدون رسوم يأخذون رسوماً.

٤ ـ ثم محكمة جنوب قلم الحسابات تحال كل الأوراق.

٥ ـ وتخطر الإدارة المركزية لتجميع البيانات بوزارة المالية من أجل الضرائب.

٦ ـ التى تتولى إخطار المأموريات التابع لها كل مستحق على حدة عل وعسى أن يكون على أحدهم ضرائب... أو تتشابه الأسماء فلا يكون صرف... كما هو معلوم.

٧ ـ وأحياناً شهادة أيلولة أو عدم استحقاق هذا الرسم عن الجزء الموروث لولا أن الله ألغى هذه الضريبة التى لا أساس لها.

٨ ـ ثم متابعة المأموريات هذه كلها.

٩ ـ ويزيد الأمر ضغثاً على إباله أنه يتحتم ارفاق أصل التوكيل الخاص اللاحق على صدور الحكم والذى به تسلمنا الصورة التنفيذية من الحكم.... فتحل العقد محل التيسير ويصر قلم الودائع أو الحسابات للصرف توكيل آخر وإن كان القائم بذلك مرنا أو إنسان قبل صورة التوكيل.

١٠ ـ الذى يكون قد أرفق عند التنفيذ في المحضرين فيصبح وهو بالدور الأرضى أسفل قلم ودائع محكمة عابدين فإن رفض فيصبح إصدار ثالث وهكذا فيما قصدوا الرحمة باليتامى والأرامل يكونون قد عقدوا الأمور أمامهم. المهم تسلمت المبلغ ٥٥٠٠ ج وأخطرت الزميل وإذ به ولأسباب ترجع إليهم معاً فهموا بأنه هو شخصياً تسلم المبلغ كله أى الـ ١٤٠٠٠ ولكن لن يصل القصر لاستحقاقهم إلا بعد إبلاغ النيابة الحسبية والافراج... (فكرة مشوشة عما سبق وغيره كثير من الإجراءات) وهكذا قرر أحد الورثة وهو صحفى بجريدة اللواء الاسلامى أن يتقدم بشكوى للنيابة العامة والتشهير به في الجريدة والجرائد الأخرى وقبل أن يفعل ذلك اتجه للمحضرين وأخذ صورة ضوئية من محضر تحصيل المحضر للمبلغ فأعطوه الصفحة الأولى فقط أي استلام الـ ١٤٠٠٠ ج أما الصفحة الثانية أنه سيودع مبلغ ٥٥٠٠ ج لحساب القصر ومرفق بالأوراق أصل محضر الايداع لهذا المبلغ فلم يهتم بأن يأخذ صورة منها ...

وفي طريقه للنيابة سأل نفسه هذا المحضر لم يدل على تسلم الزميل للمبلغ بل محامٍ آخر هو أنا فرجع للمحضرين وسأل؟ أجابوه جرجس إسحق المحامى. قال لهم: أليس الزميل أ.م.ع.أ. المحامى هو الذى تسلم؟ قالوا له؟ لا. فقال: إذن الشكوى ضد شخص لا تربطه به صلة ففكر في أن الطيب أحسن فقرر أن يتصل بهذا المحامي الذى هو أنا وأخبره بأنى سأبلغ ضده

النيابة لعله يرى حلاً وقد كان فاتصل بى أنت فلان؟. نعم. عندك قضيتنا باسم..... نعم. مَنْ أنت.. إذا أنت واحد من الورثة. اسم حضرتك. قال فلان. قلت له: وإخوتك؟ قال: س ص، ص ع، ع، د ..... إلخ. فتأكدت من أن له حق وقلت بعد أن تأكدت أنه صاحب مصلحة وله حق السؤال: تحت أمرك.. خير اللهم اجعله خير.. قال: أنت الذى تسلمت ١٤٠٠٠ ج... ولم يهملنى للاجابة بل أردف يضف لا تنكر فقد حصلت على صورة من محضر استلامك ١٤٠٠٠ ج قلت لم أستلم سوى ٥٥٠٠ ج قال: وهل تحت يدك دليل علي قولك؟ وهل هو رسمى. قلت: طبعاً. قال: أنا سأحضر الآن قبل التوجه للنيابة.

لم أشأ أن أعلق لحين وصوله فقط رحبت بتشريفه وفوراً وصل لأنه كان يتكلم من مقر الجريدة بشارع رمسيس وأنا في أول شبرا وبسرعة البرق حضر وأفهمته كل شىء وأعلمته أنى مظلوم فيما يتهمنى واطلع على أصل المحضر... أطلعته علي ما هو ثابت بتوقيعى خلف هذا المحضر أخرج الصورة التى معه قارنها فهى طبق الأصل فيما يتعلق بالوجه رقم ١ من أصل المحضر وهو استلام المحضر لمبلغ ١٤٠٠٠ ج قيمة الحكم وثبت فيه أنه سيودع ٨٥٠٠ ج نصيب القصر ويظهره استلامى فقط مبلغ ٥٥٠٠ ج وتأكد بنفسه فأبدى أسفه للهجته في التليفون وزاد في أسفه أنه كان سيكون متسرعاً فيما لو تقدم بهذه الشكوى بلا أى أساس.... إلخ.

الفصل الثامن عشر

الله يحثك على الاسراع في إنجاز عملك ويحدد وقته

«اذهب إلى النملة أيها الكسلان وتأمل طرقها وكن حكيماً» (أم ٦:٦).

١ ـ جيد أن توزع تركتك وأنت بعد حى (تك ٢٥:٦) فلا تترك نزاعاً أو خصومة بين ورثتك.

٢ ـ لذا فقد حضر لى صديق عزيز هو الأخ د. أ التاجر حبيبى وصديقى وأخى في الرب كان حضوره لى في ١٩٩٦/٥/٢٨ وطلب منى تحرير عقود بيع منه لأولاده الذكور الذين يعملون معه بالمحل والذين يقفون فيه معه فهو والولدان تجار وله عقار الذى يقيمون فيه فهو المالك أما البنات فسيرضيهم بطريقة عادلة ولم يحضر ثانية لأخذ العقود إلا في ١٩٩٦/٦/١٨ وسدد الأتعاب وسافر ليوقع البنات في محافظة أخرى على ما أعتقد وإذ بى أقرأ نعيه في ١٩٩٦/١٠/٣ هل كان يحس بقرب المنية؟ عندما كان يتعجلنى كتابة هذه العقود هل كان يحس بقرب الأجل.... لا يهمنى.... الذى يهمنى أنى شعرت بحتمية إتمام ذلك بالتوقيع عليها منه ولأولاده والبنات شهوداً وهو الضمير وقمت بالعمل للموكل وبتسليمه ثم توافيه المنية أما أن لا أقوم بمثل هذا العمل وتوافيه المنية كنت سأكون مجرماً في حقه شخصياً مجرماً في حق زوجته لأنى كتبت لها حق المنفعة العقار مدى الحياة كطلبة مجرماً في حق أولاده الذكور وربما تنشأ خصومات مع أزواج البنات ومع البنات لأنه أخذ العقد وتوجه لإرضائهم بطريقته كما قرر.. يبقى أنا السبب.. المهم أشكر

الله الــذى جعــل أمر كتابة العقود عاجلة وأمر تســلم الموكل لها وســفره وتوقيعها من بناته ومن أزواجهن شهوداً ومنه شخصياً ثم انتقاله للأمجاد الســماوية مرتــاح الضمير.... فقد أراحنــى أنا أيضاً لأنى لم أؤجــل أو أتوانَ.. شــكراً لله. وردد معى هذا الشــاهد «يارب تجعل لنا سلاماً لأنك كل أعمالنا قد صنعتها لنا» (إش ٢٦:١٢).

الفصل التاسع عشر

هل يمكن أن الله القاضى في الأرض يكـون متهمـاً ؟

«أنه يوجد إله قاض فـي الأرض» (مز ٥٨: ١١)

وقلت بأعلى صوتى هل تقبلون أن تقلب الأوضاع فيكون الله الذى مكانه قـاض فـي الأرض أن يكـون فيها متهماً برول جلسـة اليـوم محكوم عليه ومستأنف أتركه لكم؟

احكموا عليه يا قضاة الأرض باعتباركم الدائرة الاستئنافية فابتسم السـيد المستشـار ثم فزع للقول وانصرفت إلى خارج الجلسة بين نظرات المؤيديـن لهـذا الدفـاع... ومَـنْ ضاقـت صدورهم بـه ولم تطـق الدائرة الاسـتئنافية أن يكـون الله متهماً وعليه أن يدفع غرامـة ٣٥٠٠ ج قيمة الأعمال المخالفـة والتصحيح على نفقة المتهم والمصاريف ولكى ما تقف علـى الموضوع من أوله دعنى أذكـر لك الواقعات أولاً ومـا ذكرته في دفاع شـفوى وهو ذاته ما كنت قد سطرته في مذكرة كتابية ثانياً وثالثاً حكم المحكمة بالدائرة الاستئنافية.

الله ... متهماً

يحضر لى كموكل... وأكون أنا محاميه :

١ ـ قلـت إن مهنـة الله إن جاز التعبير على الأقل الآن أو قبـل أن يأتى زمن القضاء... أو الدينونة هو أنه محام أي المحامى بتاعى أنا ـ فأصرخ إليه مع داود «أصرخ إلى الله العلى إلى الله المحامى عنى».

٢ ـ نعم قل معى «**الله المحامى عنى**».

٣ ـ أمـا أن تقـرأ هـذا العنـوان ... أن أكـون أنا المحامـى عن الله فهـذا قلب للأوضاع.

٤ ـ وربما كنت تقبل منى هذا العنوان لو أن حقه المهضوم أو الذى سأطلب له به يجعله مدعياً.. أو ما شابه من الألفاظ القانونية المقبولة (طاعن، مدع، متظلم، مدعى مدنى، متظلم ضده، مستأنف.... إلخ).

٥ ـ أمـا أن تكون القضية جنائية، ووصفه فيهـا متهماً فهذا مرفوض لغة، وأدباً، وأخلاقاً.... إلخ.

٦ ـ أى المطلوب من حاجب المحكمة أن ينده اسمه وبأعلى صوته.... ثم يخبر الدائرة التى تجلس على كرسى القضاء عن حضوره أو عدمه.

ولهذا الموضوع وقفة مع سؤالك: هل تعنى ما تقول؟

فإن قلت لك نعم كل حرف !!

ستقول لى قص لى التفاصيل فقد قلت فعلاً عقب نداء حاجب الجلسة على د.س.ر.م المتهم المقيد باسمه استئناف حكم تغريمه ٣٥٠٠ ج قيمة الأعمال المخالفة والإزالة والتصحيح على نفقة المتهم والمصاريف الجنائية.... إلخ.

قلت صارخاً وبأعلى صوتى ليس المتهم د.س.ر.م بل الله الخالق العظيم... قاضى قضـاة الأرض المجرى العـدل... والقضاء لجميع المظلومين... فابتسم السيد الأستاذ المستشار/ رئيس الدائرة الاستئنافية التى تنظر الاستئناف... وأظهـر لى فزعه وأنـه معى فيما أقول أنه ما كان يجب أن يكون هذا الاتهام من البداية... مضيفاً.... سامحهم الله... اتفضل يا أستاذ قلت وأقول:

أ ـ الواقعـــات.

ب ـ وما ذكرته في دفاعى الشفوى.

ج ـ وأنى كنت قد سطرته في مذكرة مكتوبة.

د ـ وأخيراً حكم المحكمة الاستئنافية بالبراءة .... لله !!!

الواقعــــات

أولاً : بالتعصــب الأعمى وغياب تعاليم الله عن الضمائر تظلم العيون... فتندفع القلوب في غل وحقد لمثل هذه الشكوى التى وصلت للسيد/ معاون مباحث من أحد أبناء كنيسة ضد كنيسة أخرى.

ونكرر القول إنها من مسيحى تابع لطائفة
لها كنيسة مرخص بها
ضد كنيسة تابعة لطائفة غير طائفته

ثانيـاً : ولو تمهــل هذا الضابط الهمــام وأعمل عقله وتحرياته... وســؤال الجهات الرسمية من:

١ ـ مصلحة المساحة والإدارة الهندسية بالحى ولديها اسم حائز ومالك كل شبر أرض بالمدينة.

٢ ـ ومصلحة الضرائب العقارية بالمدينة.

٣ ـ وأمن دولة بالمحافظة.

٤ ـ ومديرية أمن القاهرة وهذه المحافظة.

٥ ـ وإدارة الشئون الدينية بالمحافظتين.

٦ ـ وحتى أحد مصادره السرية الموثوق بها كما يدعى بالمدينة.

٧ ـ أو حتى ذات الطائفة التى تنتمى إليها هذه الكنيسة وكيف أنها قائمة منذ عشــرات السـنين بمســتندات رســمية وبعلم هذه الجهات رسمياً وليســت في الخفاء والمفروض بعلمه أيضاً وأحد رجالاته حارســاً أمامها ليل نهار كما يعلم كل عابر.

٨ ـ أو حتى لو اكتفى بأن يترجل معايناً ولن يكلفه ذلك سوى دقائق ويومها سيقذف بهذه الشكوى عرض الحائط... وتبقى الأمور كما هى في سلام وهدوء... يتعبد فيها أبناء الطائفة ومنذ عشرات السنين... ولما تعرض دار حضانة أطفالهم لمهانة ما قد تم من إجراءات معاينة بوليسية ومعاينة نيابية ومعاينات الإدارة الهندسية بالحى لأكثر من مرة.... **وإنكار الحقائق لا يمنع ولا يغير من وجودها سامح الله مقدم هذه الشكوى ولكنه أعطانا القول أمام العدالة** ويوجد إله قاض في الأرض وفي مصر قضاة.

ثالثاً : ويتم القبض على الأخ د.س.ر.م

رابعاً : ولكى ما تطمئن النيابة إلى دفاع هذا المسكين من أن المبنى ملك الكنيسة بجمهورية مصر العربية بموجب العقد المسجل والمشهر برقم ١٩٩٥/٢١/١٨٠ وبتفويض من مديرية أمن القاهرة في ١٩٩١/١٢/٨ ويمثلها د.و.م.ت وليس المتهم د.س.ر.م «مستند رقم ٤ دوسيه ملف هذه الجلسة» تنتقل للمعاينة.

خامساً : ولكونها قد اطمأنت لكل ذلك أفرجت عن المستأنف من سراى النيابة.

سادساً : ورأت أن الأمر لا شبهة جنائية فيه فيما يتعلق ببناء كنيسة حيث لا توجد أعمال ولا مبانى حديثة .. وأنها كذلك من عشرات السنين ... إلخ.

سابعاً : وذلك بعد أن استوقفت وتأكدت وارتاح ضميرها ووجدانها وسألت كل من:

١ ـ السيد/ م.ع.ع مدير الإدارة الهندسية برئاسة حى المدينة.

٢ ـ السيد المهندس/ م.ع.ش مدير تنظيم بالحى.

٣ ـ السيد/ ج.ع المشرف الفنى مبانى بالحى بعدم وجود مبانى حديثة بل هى منذ عشرات السنين.

ثامناً : ولا يمكن أن يوافق ضمير العدالة ووجدانها أن يعاد قيد الأوراق برقم جنحة أمن دولة طوارىء.

ويكون القيد بعد عشرات السنين ضد المستأنف الذى لا صفة له.

تاسعاً : وعن أمور مخالفة لشروط التراخيص:

١ ـ ٩٦ لسنة ١٩٩٩١

٢ ـ ٧٠ لسنة ١٩٩١

٣ ـ ٥١ لسنة ١٩٩٩ وأن يقضى عليه بغرامة فيه الأعمال المخالفة ٣٥٠٠ ج والتصحيح على نفقة المتهم والمصاريف.

عاشراً : ونكرر القول ضد مَنْ:

ضد د.س.ر.م

حادى عشر : ومن ثم نكتفى بهذا ونحيل إلى الدفاع

الدفاع

أولاً : عن الدفع بعدم القبول لرفعها على غير ذى صفة:

١ ـ العقار باعتراف إدارات ومجلس مدينة بجمهورية مصر العربية.

٢ ـ ويمثلها سواء في هذه الملكية بالعقد المسجل والمشهر عنه برقم ١٨٠ في ١٩٩٥/١/٢١

٣ ـ أو في اعتراف مديرية أمن القاهرة بالتفويض لمثل هذه الكنائس وهو و.م.ت مستند رقم ٤ دوسيه ملف الجنحة وليس المتهم المستأنف.

٤ ـ أو بتقرير الإدارة الهندسية والتنظيم برئاسة حى المدينة أن ملكية هذا المبنى قد آلت ملكيته إلى كنائس الإخوة بجمهورية مصر العربية التى يمثلها د.و.و.ت

٥ ـ وأن المتهم المستأنف ليس إلا وكيلاً عنه وبهذه الصفة سألته النيابة العامة (ص ١١ من التحقيق) وتسأل؟

٦ ـ فهل يجوز أن تُقام ضد الوكيل الدعوى أم إلى الأصيل بداهة. وقد أنكر أنه قام بأى شيء من هذه الأعمال وأنها كما هى من عشرات السنين.

٧ ـ وأحكامهم مستقرة على «لما كان الطاعن قد دفع أمام محكمة الموضوع بانقطاع صلته بالمبنى كلية وقدم ما يشهد لذلك من المستندات وطلب تحقيقه بضم «ملف البلدية» وندب خبير هندسى لاثبات وتحقيق ملكية هذا العقار واسم مالكه إلا أن المحكمة سكتت عن هذا الدفاع الجوهرى إيراداً له ورداً عليه مع كونه جوهرياً لأن من شأنه إن صح أن تندفع به تهم المسندة إليه وأن يتغير وجه الرأى في الدعوى ومن ثم يكون حكمها قاصراً البيان واجب النقض.

(الطعن رقم ٣٤ لسنة ٣٩ ق جلسة ١٩٦٩/٢/٤ س ٢٠ ص ٥١٧)

ثانياً : الدفع بانقضاء الدعوى بمضى أكثر من عشرة أعوام على المخالفة إن وُجدت جدلاً:

١ ـ اندهشت النيابة في معاينتها أنه لا توجد مبانى حديثة رجاء مراجعة هذه المعاينة ٣ دوسيه.

٢ ـ بل ووقفت في البحث حتى أنها انتقلت للمعاينة بنفسها ولم تجد.

٣ ـ فزاد اندهاشها حتى سألت هذا السؤال لجميع مَنْ استدعتهم من رجالات حى المدينة.

س : منذ متى والمبنى قائم بتلك المخالفات ص ١١ ، ١٤

وكانت الإجابة: منذ حوالى عشر سنوات

س : ولماذا لم يتخذ اجراء قانونى حيال مالكه من قبل؟

ج : تلك المخالفات داخلية بالمبنى ولا يمكننا حال المرور لتفقد حال المبنى بالمدينة معرفتها لكونها داخل المبنى وأنه فور أن وردت لنا مكاتبة من النيابة العامة بشأن إجراء معاينة وهذا مكننا من الدخول واثبات هذه المخالفات.

٤ ـ ولما كان هذا إلغاء لوظيفته كمأمور ضبط قضائية له الحق في هذه المعاينة.

٥ ـ لا بل نقول إنه معاين لها منذ عشرات السنين ولديه رسومات هندسية بها وإلا ما صدر لها الترخيص التى أثبتها ص ١٣ :

١ ـ ترخيص التعلية دور ثانٍ علوى برقم ٩٦ لسنة ٩١ في ١٩٩١/٩/٢٥ .... إلخ

٢ ـ كما لم يستجد من الجهة الشرقية مبنى مستقل بترخيص رقم ٧٠ لسنة ١٩٩١ لإقامة دور أرضى وأول علوى وثانى علوى وأصبح المبنيان الغربى والشرقى مشتركين في السلم.

كما يتبين عدم وجود أى أعمال مبانى حديثة أو أى أعمال تُقام حالياً وسنتناول ما أضافه زرا للرماد في العيون عن مسئوليته في عدم المعاينة أو علمه بذلك من عشرات السنين.

ج ـ ترخيص رقم ٥١ لسنة ١٩٩٢ والسؤال الذى يفرض نفسه لكل ذى عقل:

ـ عقارين.

ـ مشتركين في سلم واحد.

- أليس بالضرورة والحتمية أن يكون لها فتحة دخول لكليهما معاً.
- وألا ما تحقق هدف شرائهما معاً متجاورين.
- وألا يتعطل استخدامها ككنيسة وإقامة شعائرها الدينية.
- وهل دورة المياه مفروض وجودها أم لا؟ أى لا مخالفة للتراخيص.

٦ - المهم أننا نكرر القول أن جميع الجهات الرسمية بالقاهرة وهذه المحافظة ومدينة تؤكد أن هذا العقار مستخدم ككنيسة الإخوة ومنذ عشرات السنين.

٧ - وفي ذلك تقول أحكامكم : إذا كانت الواقعة هى أن المتهم قد أقام بدون ترخيص ومبنى خارجاً عن خط التنظيم فإن الفعل المسند إليه يكون قد تم وانتهي من جهته بإقامة هذا البناء مما لا يمكن معه تصور حصول تدخل جديد جدلاً من جانبه في هذا الفعل ذاته فتكون الجريمة التى تكونها هذه الواقعة وقتية ولا يؤثر في هذا النظر ما قد تسفر عنه الجريمة من آثار تبقى وتستمر إذ لا يعتد بأثر الفعل في تكييفه القانونى وإذن فإذا كان قد انقضى على تاريخ تلك الواقعة قبل رفع الدعوى بها ثلاث سنوات فيكون الحق في إقامة الدعوى قد سقط.

(نقض ١٩٥٠/٣/١٤ مجموعة أحكام النقض س ١ رقم ١٣٤ ص ٤٠٠)

ثالثاً : في كنيسة تعلم الناس مخافة الله والحكام فهل تخالف هى الله؟ واضح أن دورات المياه بالمبنى هو من صميم هذا المبنى ولا يمكن أن يخالف أى قانون أو ترخيص؟ سواء احتوى هذا العقار على شقة واحدة أو أكثر لابد وأن يكون لكل دورة مياه كما لا يختلف اثنان واترك هذا لضمير ووجدان العدالة ليجيب عليه أو لتقدره.

رابعاً : وهل تحويل جزء من هذا العقار المرخص بانشائه من شقة سكنية إلى دار حضانة أو العكس مخالف لترخيص إقامة هذه الشقة؟

إن حاولت الإدرارات الهندسية أن تسكن ضمائرها بالقول إن «هذه المخالفات ليست جوهرية وإنما هى تنظيمية ولا تؤثر على سلامة المبنى انشائياً».

ونثق أن ضمير العدالة سيتأذى من كل هذه الإتهامات الباطلة لمثل هذه المخالفات التى من تاريخ نشأة العقارين.

١ ـ ولغير المتهم المستأنف فهو مجرد وكيل.

٢ ـ وحتى للأصل مثل كنائس بالجمهورية العربية المتحدة.

٣ ـ ولا سيما إذا وقفت العدالة على:

أ ـ معاينة النيابة أن ذلك ليس حديثاً ولا يوجد بناء حديث.

ب ـ وكذا اقرار الإدارة الهندسية.

ج ـ وكافة إدارات المدينة بل هو من عشرات السنين.

خامساً : واختم مرافعتى بأن تسمحوا لى بأن أقول هل يصح أن الله خالق السموات والأرض صاحب، ورب هذه الكنيسة يقدم متهماً في رول جلسة اليوم؟

أترك ذلك لضمير العدالة وأشكركم.

سادساً : وانصرفت.

سابعاً : وكان الحكم قبول الاستئناف شكلاً وفي الموضوع بانقضاء الدعوى الجنائية بمضى المدة وبراءة المتهم بلا مصاريف.

الفصل العشرون

هذه ضريبة المهنة أن أكون متهماً وتقضى المحكمة ببراءتى

«المبطل أفكار المحتالين فلا
تجرى أيديهم قصداً» (أى ٥:١٢)

طرق السيد المحضر الباب، وعندما فتحت له قال إعلان جنحة.

ولما كان هذا الأمر قد اعتدنا عليه كمحامين.. يعتبر مكتبنا عنواناً، أو محلاً، أو موطناً مختاراً لموكلينا.. فإنه يصح إعلانهم عليه، وليس على محال أو موطن إقامتهم.. ولما سألته عن موضوع الإعلان؟ قال حضرتك شخصياً.

قلت: ليس لى قضايا شخصياً مع أحد.

قال: تسلم... ثم إبحث... فتسلمته شاكراً بعد التأكد أنه يخصنى فعلاً شخصياً.. وانصرف سيادته.. لكن ما أن قرأته حتى وجدتها جنحة مباشرة من خصم لموكل لى:. يدعى فيه أنه نصاب .. فقلت: وما شأنى؟... لكن بمتابعة القراءة وقفت على أنه يدعى علىّ أنا أيضاً بأنى شاركته النصب... وزاد لى اتهاماً على اتهام موكلى أنى خنت الأمانة... يعنى أنا:

(أ) نصاب.

(ب) خائن للأمانة.

وانتهى بطلب توقيع أقصى العقاب التى تنص عليه المادتين ٣٣٧ ، ٣٤١ من قانون العقوبات على كلينا، هذا بالإضافة إلى التعويض المؤقت لجنابه!!

عجب في عجب وارتفع ضغط الدم في عروقى... وعلا ضغط الدم... وزاد

السكر.. إلخ.. ما يحدثه الشعور بالظلم، والكذب، والاتهامات الباطلة.. التى لا أساس لها..

ولم أهدأ ورحت أقرأ، وأعيد القراءة لعلى أجد سبباً واحداً ربما يكون قد فات علىّ، أو ارتكبته في حق هذا المدعى المدنى... أصبح معه متهماً هكذا.. فلم أجد..

بل بالعكس وجدت نفسى أتذكر إحسانى عليه يوم طلب التأجيل ـ في معارضة استئنافية لحكم حبس في شيك بدون رصيد مقضى عليه فيها بثلاث سنين والتعويض المؤقت لموكلى للسداد... فسألنى القاضى: هل توافق على التأجيل لأنها معارضة وأنا لا أؤجل للسداد والمبلغ كبير ذى ست أرقام.

قلت له: السداد يا سيادة الرئيس.

قال: أسبوعين للسداد المهم أليس هذا إحساناً يقابله بالإساءة؟ ولكى أحيطكم بأصل الحكاية تعالوا نعود للموضوع.

١ ـ موكلى يداين هذا الخصم بملايين الجنيهات في تجارتهما ـ قطع غيار السيارات.

٢ ـ وهذه المديونية ثابتة بشيكات هذه عددها حررها الخصم لموكلى.

٣ ـ ولما لم يقم بالسداد أقام موكلى ضد هذا الخصم جنحة مباشرة بأحد هذه الشيكات ومبلغه كبير ـ كما قلت من ذوى الستة الأرقام.

٤ ـ ونظراً لظروف هذا الخصم التى لا يعلمها إلا الله ـ وشأن كل تجار اليوم ـ ترك الأمر ليحكم عليه غيابياً فقضى عليه بثلاث سنين سجن مع الشغل وكفالة وتعويض مؤقت.... إلخ.

٥ ـ ثم عارض... واستأنف... ثم ترك الاستئناف ليقضى فيه غيابياً... ثم مع

رجـالات التنفيذ في المرحلتين.... يؤجل... ويسـوف... ويتهرب.... ويماطل... إلى أن سـقط في أيديهـم... فيلـوذ بالمعارضة الاسـتئنافية وتلك آخر مراوغاتـه فـي التأجيل والمماطلة والتسـويف ويعلم أنه يومئذ يسـدد ويكـون الحكم مع الإيقاف يتاجر بهذه الملايـين... وخصمه يعض أنيابه... ويلعـن يوم دخوله معه في هذا التأجيل لثمن ما اشـتراه منه من قطع غيـار... فلا ثمن البضاعة دفع، ولا الجمارك ترحمـه، ولا الضرائب... وتبدل الربح إلى خسارة... وقد استشاط موكلى غضباً...

٦ ـ ولمـا كانـت المديونية ضخمـة... وثابتة بعدة شـكيات هذا مـا اتخذ به موكلى من إجراءات... وتعب، وكافح، واشتكى عدم تنفيذ الحكم الصادر بالسـجن لهذا الخصم.

وقد طلب هذا الموكل قبل جلسـة المعارضة الاستئنافية أن يتصالح مع موكلى... رفض موكلى الصلح قبل سداد ما عليه من مبالغ بشيكات أخرى مسـتحقة لم يتخذ بشـأنها موكلى أى إجراء... فرفض الخصم... وجلسا... واستعانا بكبار التجار من أصدقاء الطرفين... وأخيراً اتفقا على جدولة الدين وإعطاء ضمانات للسداد... كما هى العادة.

٧ ـ لكن أضمر هذا الخصم لموكلى ـ مؤامرة قانونية ـ لم يفهمها موكلى... ومـا أن نبهته إليها حتى ثار الخصم علىّ في السـر، ولم يجاهر... ولكن لكونـه ماكراً خبيثـاً فقد خطط لتلك الجنحة التـى أعلنت بها، وأعلن بها موكلى... على أنى شـريك لموكلى كما قلت جنحة نصب بل وخيانة أمانة؟... كيف هذا ولماذا أدخل أنا في الموضوع فلتلك قصة أخرى.

١ ـ في جلسات الصلح التى تمت بعضها بمكتبى وبعضها بينهما وثالثهما فـي مكاتبهما أو محال تجارتهما في السـوق ولم أكـن حاضراً... حذرت موكلى مـن أن يعطى أى ورقة تربط بين هذا الشـيك موضوع المعارضة الاستئنافية وباقي الشيكات.

٢ ـ والسبب غير خاف على فطنة أحد ـ أنه في القضاء في هذه الجنحة بإيقاف تنفيذ عقوبة السجن بالتصالح تكون مانعاً من نظر أي جنحة أخرى عن أيٍ من الشيكات التى حررت بخصوص هذه الصفقة.

٣ ـ وتضيع هذه السنين هدراً وهو ما يُعرف لدى رجالات القانون بأنه دفع بعدم جواز نظر أى جنحة جديدة لسابقة الفصل فيها.. في هذه الجنحة... كما هو معلوم بداهة وقضاءً.

٤ ـ وتوجد عشرات... بل مئات... بل ألوف الأحكام بذلك من كافة درجات التقاضى وأهمها النقض.

٥ ـ وتفقد تأثير هذه الجنحة ـ بداهة ـ على الخصم في إرغامه علي السداد لما لم يتخذ بشأنه جنحة أو اعطاء الضمانات بداهة.

٦ ـ قلت خطط هذا الخصم ليحصل على تلك الورقة من الموكل فلم يفلح.

٧ ـ وتصور أنه إذا حضر لي من وراء موكلى عارضاً أن يتم الصلح بمكتبى... ربما نجح في شراء ذمتى بأن أعطى له مثل هذه الورقة... ويكون قد كسب المعركة علي موكلي.

٨ ـ ولما كنت قد التزمت بمبدأ أراحنى من كل هذه المحاولات... تعلمته من أساتذتى الذين يخافون الله وحده... ويرعونه في عملهم... ولا يفرطون في إبعاد الشبهة عن أنفسهم بغالٍ أو رخيص.

٩ ـ فقد علمونى بأن لا أقيل حتى هذه الزيارة أو الحضور لخصم إلا بأن يخطر هو موكلى وإن قَبِلَ يحضر معه..... ويكون الكلام مع موكلى وبحضوره... وهذا بحق وصدق قد حمانى بل أنقذنى من بلاوى، وشبهات، وظنون لك أن تدركها عندما تكون موكلاً لدى زميل... وفي زيارة مفاجئة له تجد خصمك معه... أو في انتظار أن يقابله... هواجس، وأفكار، وشكوك له

كل الحق فيها.... بل ربما انتهت بإلغاء توكيل هذا الزميل وأخذ ملف دعواك من مكتبه ولك كل الحق... ولا ولن يلومك لائم لأى سبب كان.

وصدق مَنْ قال الوقاية خير من العلاج في كل شيء.

١٠ ـ نعود إلي موضوعنا خسر هذا الخصم الجولة مع موكلى لما استفرد به وحده... لما أظهره موكلى من رفض خططه بناء على اتصال هاتفى معه... فكشف له المخطط.

١١ ـ وفشل هذا الخصم في جولة أخرى عندما راح يوسط بعضاً من كبار التجار وأيضاً أحبط له مخططه بتذكيرى موكلى خذ حذرك من ربط هذه الجدولة بأوراق تربط بين الشيكات وبعضها وتوفر وحده النشاط الإجرامى لهذا الاخطبوط الملولب الذى يلف ويدور... وكن يقظاً وخذ ضمانات أو كفيلاً يضمن لك السداد... إلخ.

١٢ ـ المهم كانت هذه الجولة الثالثة بمكتبى ـ ولا تتضايق أخى من التفاصيل فستعرف السر فيما بعد قليل ـ فقد عاود الخصم أسلوبه وطلب بدلاً من عقد الصلح في المعارضة الاستئنافية ـ كما ذكرت أن تتم الجدولة للدين الأكبر ـ الذى معه لابد من تغير الشيكات بأخرى.... إلخ.

١٣ ـ وادعى أخطاء في الحسابات... وطلب مراجعات واستجاب له موكلى... وفي صبر أيوب بل أكثر احتملت... وبطول أناة ـ يارب تدخل... لا سيما أنى أمام مطالبة الخصم كتابة كل هذا في أوراق... انتظرت فاقداً هذا الكشف... ثم مظهراً عيب هذا الحساب... ثم موضحاً خطأ جمع الثالث ورابعاً عدم وضوح عبارات الخامس في أن الصلح خاص بالشيك موضوع الجنحة وحده ولا علاقة له بباقى علاقات الطرفين.... إلخ وهما من كبار التجار لقطع غيار السيارات.. موكلي مستورد والخصم تاجر جملة أو نصف جملة لست أدرى.

١٤ ـ المهم نسى موكلى نصيحتى له في السر عبر الهاتف في أولى الجولات، وثانيها وبالشرح المستفيض له شخصياً في فترة الراحة بين مصارعات الخصم الخبيث الماكر... وراح يقول طول بالك على الخصم لأنه لا يجيد الكتابة بالعربى لأنه خريج المدارس الفرنسية أو الألمانية لست أذكر... المهم أمام تعدد هذه الأوراق وإدخال التصحيح عليها لأكثر من مرة كما أوضحت... عثرت على مسودات لا تصلح... وأرفضها تماماً... جميعها مكتوبة بخط هذا الموكل عن أصل الدين... والشيكات القديمة... وسداد قيمة الشيك موضوع المعارضة الاستئنافية... وجدد له الدين... وتحرير شيكات جديدة... إلخ.

١٥ ـ ثم أخيراً وليس آخراً تم تحرير عقد الصلح في الجنحة موضوع المعارضة الاستئنافية منفرداً وبلا أدنى إحالة أو تلويح بالإشارة أو الذكر لعلاقة هذا الصلح في هذه الجنحة بباقى الشيكات، قديمها وحديثها.... إلخ.

١٦ ـ ولما باءت محاولات الخصم بالفشل وقع هذا الصلح وقد أسقط في يده توقياً للسجن حماية لنفسه أمام فضح مخططه الذى غلفه بكثير من اللف والدوران والزيغ والخبث والمكر والدهاء.... إلخ.

١٧ ـ ولم أقذف بهذه الأوراق إلى الزبالة... بل حفظها وجميعها بخط هذا الذى لا يجيد اللغة العربية وتعليمه أجنبى أياً كان ـ مكرشة ... مقطعة... مشطوبة.... مصححة.... مهلهلة... قل ما شئت في آخر صفحات ملفى وشكرت الله أن كلل كل جهودنا بالصلح والصلح خير.. وطوبى لصانعى السلام لأنهم أبناء الله يدعون (مت ٩:٥). فقط قف طويلاً أمام مصنع السلام... ولتكن من صانعى السلام.

١٨ ـ انتهت معارضة الخصم بحضورى معه ـ حيث يلزم حضوره لأن الحكم بالسجن ولم يكن قانون الإجراءات قد تعدل بالسماح بحضور وكيل

عنه ـ وقبلت العدالة التأجيل لأكثر من مرة للسداد أمام مبلغ الشيك الكبير ولحين سداد باقى الشيكات كما خططت مع موكلى.

١٩ ـ وأخيراً قدمنا عقد الصلح وتركت دعوانا المدنية وأمرت المحكمة بإيقاف تنفيذ عقوبة السجن.... إلخ.

٢٠ ـ ولم يعد موكلى لتوكيلى في جنحة أخرى مما يستفاد منه أو يستنتج أنه قد حصل على كل حقوقه تالت ومتلت كما يقولون... إلى أن فوجئت بهذا الإعلان بالجنحة المباشرة ضدى وضده.

٢١ ـ وكما قلت ضدنا كلينا بزعم كاذب هو أننا حصلنا من هذا الخصم على شيكات بالملايين من الجنيهات بأساليب الاحتيال والنصب.

٢٢ ـ وأن هذه الشيكات ولكونها محررة لصالح هذا الخصم ـ هكذا قال وادعى زوراً وبهتاناً وكذباً ليس إلا ـ وسلمها لى على سبيل الأمانة... وكان أن خنت الأمانة وسلمتها لموكلى ولم أسلمها له.... إلخ وبهذا أكون شريكاً مع موكلى في النصب خائناً للأمانة وحدى في الإدعاء الثانى.

٢٣ ـ اتصلت بموكلى ووجدته لا يكترث ولا يهتم... فقد أعلن، وعلى علم تام بالجلسة وسيقابلنى بقاعة الجلسة... وللعلم ـ وأخبرنى سر هذه الجنحة التى لا أساس لها... أنى ـ أى موكلى سب هذا الموكل وشتمه وأمثاله من أكله حقوقه... واستغلالهم حق التقاضى في مطالبته، وتركها لحكم غيابى، ومعارضتهم، ثم الاستئناف وسداد كفالة لإيقاف التنفيذ. وترك الاستئناف ليحكم فيه غيابياً... ثم السيطرة على هذا الحكم بالهروب منه مرة بالسفر خارج البلاد ومرة بتغيير محل الإقامة وثالثة ورابعة... المهم وأنا أجرى وراءه للحصول علي هذه المبالغ التى ليست بالآلاف بل بالملايين... كم أرباح خسرت، وكم أتعاب دفعت، وكم

مصاريف وانتقالات أنفقت وكم من محاميين وكلت.... إلخ. وبعبارات ربما جرحت هذا الخصم... فظل يوقع صاغراً أمام تأجيلات المعارضة الاستئنافية... حتى يقى نفسه من عقوبة السجن وهذه آخر فرصة له.... الخلاصة ـ قال موكلى اترك الأمر لى وأنا كفيل به.

٢٤ ـ لم أنم، ولم أهدأ، ولم أقبل لاسمى أن يكون في رول جلسة متهماً لنظر هذا الاتهام الباطل... كما لم أقبل توكيل زميل للحضور عنى... وتوجهت للمحكمة... وطلبت حضور هذا الخصم لمناقشته وتأجل نظر الجنحة... ولما حضر ناقشته عن صفته بالنسبة لموكلى.

قال: كنت متهماً وموكلك مدع مدنى والاتهام جنحة شيك بدون رصيد محكوم عليه بالسجن ثلاث سنوات... إلخ قلت وماذا تم بعد ذلك.

ادعى ما قاله بالصحيفة في مكابدة أنى وبالحيلة والدهاء وأساليب إحتيالية حصلت وموكلى على شيكات بثلاث أضعاف المديونية التى عليه لموكلى... إلخ.

٢٥ ـ ولما سألته عن أساس هذه المديونية قبل وبعد تحرير هذه الشيكات لم يجب سوى أنها إحدى الصفقات مع موكلى.

٢٦ ـ وهنا نفذ صبرى وخرجت عن هدوئى... وقلت بأعلى صوتى... مظهر المسودات السابق لف ودوران هذا الماكر في تحريرها أليس هذه بخطك... المؤكدة أن الشيكات التى حررتها لصالح خصمك الذى هو موكلى.

٢٧ ـ فأين خيانة الأمانة... وقد سلمتها لموكلى بل... أخذها موكلى فور تحريرك لها واضعاً إياها في حقيبته... وبعد سدادها له.... تتهمنى بهذا البلاغ الكاذب.

٢٨ ـ وكان قرار العدالة آخر الجلسة.... فتوجهت للقفص لأدخله... فإذ بسيادة القاضى وفي أدب جم، وانصاف لا مثل له.... صرخ وبأعلى صوته.... رايح فين يا أستاذ.

قلـت لـه إلـى مـكـان انتظار من قراراتهم آخر الجلسـة.... إلى القفص... قـال: لا ومليون لا.. هات الكرنيه بتاعـك.. اجلس على منضدة المحامين.. ووجـه كلامه للحرس... خذ الكارنيه واترك الأسـتاذ فـي حريته... نادى اللى بعدها.

٢٩ ـ وبديهـى لـك أن تعـرف أنه لا ناقة لـى، ولا موكلـى، ولا جمل في هذه الاتهامات الباطلة... وقد تشرفت بتقديم الأدلة وبخط هذا الخصم العنيد الـذى لم يزل ينفث تهديداً وظلماً وعدواناً لموكلى... ولى لكونى فضحت مؤامراتـه... وكان الحكم بالبراءة ـ لكلينا ـ ورفض دعواه المدنية.. شـكراً لله ولم يفلح استئنافه في أن يغير هذا الحكم وتحملت بصبر وطول أناة دفاع إلهى عنى... هللويا لكنها ضريبة هذه المهنة.. سامحه الله.

الفصل الحادى والعشرون

شكر وعرفان بالجميل

«الـرب راعـىّ فلا يعـوزنـى شـىء.... أيضاً إذا سـرت في وادى ظل الموت لا أخاف شراً لأنك أنت معى» (مز ٢٣:١، ٤).

الله الـذى رعانى منذ وجـودى إلى هذا اليوم الملاك الذى خلصنى من كل شر...» (أى ٥:١٢).

«هذا قد علمته لأن الله لى» (مز ٩:٥٦).

نعم، ونجوت من موت محقق أيضاً في حرب يونيو ١٩٦٧

«منحتنى حياة ورحمة وحفظت عنايتك روحى» (أى ١٠:١٢).

كلنا يعلم نكسة ١٩٦٧/٦/٥ التى مرت بها بلادنا العزيزة.

ولما كان تجنيدى في نوفمبر ١٩٦٦، فإنه لو كان قد تم، لكنت أثراً بعد عين، أو قل لم يكن أثر على الإطلاق.

والأمر العزيز يرجع للرب أولاً وأخيراً، لذا أردد بروح الشكر والتقدير، والعرفان والامتنان، وبكلمات عاجزة، قاصرة ـ لولا استعارتى من بنى البلايا أيوب تلك الكلمات «منحتنى حياة ورحمة وحفظت عنايتك روحى» (أى ١٠:١٢).

فقد كنت قد أخذت الوعد الذى أعطاه الرب ليعقوب في (تكوين ٢٨:١٥) أن لا يتم تجنيدى على الإطلاق كإعلان خاص لى. فقد كنت المسئول عن العائلة بعد وفاة الوالد.

ثم أنى أعانى من مرض قصر النظر لأكثر مما تحدده القرارات والقوانين كحد أدنى للكشف الطبى لمَنْ يتم تجنيده يومئذ.

ولكن زاد الأمر ضغثاً على إباله، أن ثقبت أذني الوسطى، وأصبت بالتهاب صديدي مزمن بالأذن اليسرى.

، وكانت المفاجئة بل الكارثة - دون دخول التفاصيل أنه صدر قرار تجنيدي لائق طبياً للخدمة العسكرية.

وإذ نزل هذا القرار كالصاعقة عليّ بعد أن كنت قد عملت بالمحاماة، وصار لي مكتب، بل وتزوجت، وكان ابني البكر في الطريق للوصول - لم يكن أمامي سوى التظلم أمام اللجنة الطبية العُليا.

ويوم نظر هذا التظلم لم أكن سوى متشبث بعيون قاصرة النظر هي والعمى صنوان.

وإذ باللواء طبيب الآذان قد وصل قبل طبيب العيون... وما أن أوقع الكشف الطبي الدقيق عليّ حتى صرخ فازعاً: كيف تترك أذنك هكذا في هذا البحر من الصديد.. وهذا الثقب الذي يهدد مخك يا حضرة المحامي!!

أنت غير لائق للخدمة العسكرية فقط تعيش بهذا الثقب، وهذا الالتهاب، وهذا الصديد، وهذا الطرش... واعمل عملية ترقيع... إلخ.. لا سيما وأنت محامٍ رأس مالك لا صوتك فقط بل وسمعك أيضاً.

شكرته، وأنا في ذهول، واندهاش، وغيبوبة لم أفق منها، وأحس بأنه ليس حلماً، ولا خيالاً ... إلا وأنا أتسلم ورقة الاعفاء نهائياً من الخدمة العسكرية.

أكرر أن هذا كان في نهاية ١٩٦٦ وبداية ١٩٦٧ والنكسة ١٩٦٧/٦/٥، ومع احتفالات مصرنا العزيزة بالعاشر من رمضان السادس من أكتوبر ١٩٧٣ لا أنعم فقط بذكرى الانتصار بعد الانكسار، بل بحفظ الله حياتي من موت ١٩٦٧ المؤكد الذي تشهد أرواح جيلي بأكمله له وسأظل أنحني ساجداً، وشاكراً، مقدار حفظه، ورعايته، وحمايته لحياتي حتى اليوم له كل المجد.

ورغم أنى منذ أعوام قليلة عملت جراحة لسـد هذا الثقب، وثلاث ثقوب أخرى خلف الأذن.. ولكنها لم تنجح، وبقى هذا الثقب، وهذا الالتهاب الصديدى المزمـن والدائم إلى اليوم ليذكرنى بإحسـان الله معى وحفظه لحياتى ليس فقط مع كل ٦/٥ من كل عام ولا ١٠/٦ بل مع كل مطلع شمس لنهار جديد، وعام جديد فأنا الآن في عامي الـ ٦٨... صلوا معى لتكون الأيام بل السويعات الباقية من العمر لمجده.. له كل الحمد والتسبيح والشكر. آمين.

ألا تصدقنى بأنى أراه معى كل يوم ؟!

الفصل الثانى والعشرون

باركى يا نفسى الرب

«باركى يا نفسى الرب ولا تنسى كل حسناته:

١ ـ الذى يغفر جميع ذنوبك.

٢ ـ الذى يشفى كل أمراضك.

٣ ـ الذى يفدى من الحفرة حياتك.

٤ ـ الذى يكللك بالرحمة.

٥ ـ والرأفة.

٦ ـ الذى يشبع بالخير عمرك.

٧ ـ فتجدد مثل النسر شبابك» (مز ١٠٣:١ ـ ٥).

الله قد أنقذنى من فقد صوتى للأبد أثناء عملية في الغدة الدرقية لأنه سيستخدم هذا الصوت:

١ ـ واعظاً بكلمة الله في المحاماة.

٢ ـ وفي المحاماة عن المظلومين.

٣ ـ ودعنى أنقل لك ما قد سجلته في مذكراتى في ١٩٦٢/٣/١٨ وقد قام والدى عقب قراءة هذا الخبر في جريدة الأهرام ـ وكانت عادته أن يقرأ هذا الباب «من غير عنوان» الموجود في الصفحة الأخيرة قبل الصفحات الأولى ـ سأنقله لك ـ أنه أسرع إلى المستشفى ودعنى أنقل لك من مذكراتى ما دونته في هذا اليوم الرهيب.

من غير عنوان

كيف فقد طالب عربى صوته في أمريكا؟

فقد الطالب المصرى محمود العقدة (٢٧ سنة) صوته في أمريكا وهو يعد رسالة للحصول على درجة الدكتوراة من جامعة بنسلفانيا موضوعها: "البترول والاستعمار في شبه الجزيرة العربية".

كان الطالب قد أجريت له عملية جراحية لاستئصال غدة "الجويتر" (تضخم في الغدة الدرقية) فقد بعدها صوته الذى قد يسترده بعد سنة ونصف السنة، كما قال له الأطباء.

في هذا اليوم عملت نفس العملية لى لكن باصبع الله من السماء مستعملة السيد الدكتور حسن إبراهيم الجراح. والمهم أنها أُجريت على نور خافت، فقد انقطع التيار الكهربائى بحجرة العمليات، وبطاريات الإضاءة الأتوماتيكية كانت خفيفة وقد تم إنهاء العملية على فوانيس سيارة استعيرت من الورش التى أمام مستشفى الطلبة بالجيزة أيضاً. «إذا سرت في وادى ظل الموت لا أخاف شراً لأنك أنت معى».

ولما سُئل الجراح: هل ستبدأ في العملية بعد فتح الجرح مع انطفاء النور؟.. كانت الإجابة «نور الله نور السماء أقوى». وقد كانت خيراً لأولئك المترددين.

والحمد لله استغرقت حوالى ٣ ساعات وبعد حوالى ٩ ساعات كنت أتكلم وجاء الجراح بنفسه ثانى يوم ليطمئن والحمد لله لقد كان نجاح العملية معجزة لا بالنسبة له فحسب بل وجميع طاقم المستشفى ووالدى وعماتى وأختى الذين عقب قراءة الكلمات المنشورة أعلاه أغمى على والذى الذى توقع لى نفس المصير.. شكراً لله.

اللّه أبى يتدخل
لإنقاذى من دفنى حياً

١ ـ أن يخطىء طبيب فيقرر وفاة شخص حى وتُوضع جثته في الثلاجة لحين الدفن هذا رغم أنه شطحة من شطحات الخيال، حتى ولو ظفر من أرض الواقع ببعض الحالات لكنها قليلة.

٢ ـ أما أن أرى الموت بنفسى، والقبر معد... أن يسقطونى في أحد غرف التفتيش المُعدة للصرف الصحي طريق السويس الصحراوى فلا ولم يخطر على بالى إطلاقاً... إلى أن وجدت نفسى أمام ذلك ولا مهرب لى... ولا حول... ولا قوة.

٣ ـ لقد طلب منى موكلى ر. أ أن أتوجه معه لعمل محضر إثبات حالة اعتداء على أرضه من إحدى جمعيات الاسكان المجاورة... في طريق مصر السويس الصحراوى... وفي الطريق أرانى الاعتداء... إلا أنه طلب مني النزول لمعاينة ما تم من حفر غرف التفتيش للصرف الصحى وتخطيط شوارع بها... إلخ.

٤ ـ وما أن رآنا الغفير الحارس لهذا الجزء المغتصب حتي جاء لنا مهرولاً صارخاً... اخرج من الأرض يا ابن وابن..... إلخ.

فما كان من موكلى إلا أن رد الشتيمة بأفظع منها... وفي لمح البصر كانت يداه قد أمسكت برقبة هذا المعتدى على أرضه... وأوقعه أرضاً وخرج لسانه من فمه... ولولا أنى وبكل قواى نزعت يدى موكلى عن رقبته كان هذا الخفير في خبر كان...

٥ ـ وفي لمح البصر كان عمال البناء، والحفر وباقى الأعمال ـ وهم كرمل البحر في الكثرة قد وصلوا وبيد كل واحد منهم ما نالته من أدواته

فـي العمل فهذا يحمل كوريك وآخر مثله ورابع شاكوش وخامس أجنة وسادس.... وانهالوا على صاحبنا ـ موكلي ـ تمهيداً للإجهاز علىّ بعد أن يكونوا قد أجهزوا عليه لولا عناية الله.

٦ ـ ولأني لمحت مهندساً عاقلاً جاء مسرعاً إلى حلبة المصارعة انتقلت إليه وأفهمته أن الظلم والجور والاعتداء على مال موكلي... كان وقعهم صعب ونحن في طريقنا لإثبات ذلك... فما كان من الخفير ومن رجاله إلا أن اعتدى عليه بالشتم بأغلظ الألفاظ وأقذرها... وطلبت منه أن يضع نفسه مكانه... وطلبت منه أن يوقف هذه الجزرة... وحياة هذا الموكل... كما أنقذت أنا حياة هذا الخفير من موت محقق خنقاً... وأيدني في ذلك هذا الخفير فأمر عماله بالتوقف... وطلب منهم الرجوع كل إلى مكان عمله... وليسر القانون في مجراه.. معلناً أنهم ليسوا قضاة لنحكم مَنْ هو صاحب الأرض والمالك والغاصب بها والمعتدى على أرضه... ولندع المُلك للمالك.

٧ ـ قال الخفير لا... بل دفن هذا المفترى ـ يقصد موكلي ـ حياً في إحدى هذه الغرف... وردم جثته ويبقى يعرف أهله طريقها هو الواجب... وانقض على موكلي ثانية وأمسك برقبته.. ولم ينقذه غير جرى زملاء هذا الخفير وراءه وأوامر هذا المهندس وبالجهد الجهيد خلصوا موكلي من يديه.. أما أنا فقد تقدم إلىّ شاكراً حسن صنيعي معه إذ أنقذت حياته من وحش كهذا ـ يقصد الموكل ـ وانصرفنا إلى قسم الشرطة لعمل المحضر ونحن في روح الشكر لله.. لأننا أحياء.. ولم ندفن أحياء في هذه المقابر... في هذه الصحراء الذى لو حصل ما كان أحد سيدرى بنا أسفل رمال هذه الصحراء وتغطت الحفرتان بغطاء غرفة التفتيش وهكذا كان قد أغلق علينا في غير مدافن... تعلن عن وجودنا بها... شكراً لك يارب لأنك أنقذت عبدك. وموكلي من موت محقق.. نعم «بيدك آجالي» (مز ٣١:٥) (وعمر

الشقى بقى كما يقولون) إلى جولة أخرى مع عزرائيل (قابض الأرواح كما يسمونه). لو أنى في هذه المرة وللمرات القادمة سأعلن له راحت عليك يا عزرائيل ليس لك سلطان علىّ لأن أبى قد أعلن لى وللعالم كله أنه «إذ تشارك الأولاد في اللحم والدم اشترك هو أيضاً كذلك فيهما لكى يبيد بالموت ذاك الذى له سلطان الموت أى إبليس» (عب ٢:١٤) وسأكمل أيامى (خر ٢٣:٢٦) ولا أموت بل أحيا وأحدث بأعمال الرب (مز ١١٨:١٧). ألا تقبله أباً لك فتصير ابنه وتكون لك هذه الحرية.. بل السلطان على عدو كل خير، وكل بر... الآن وقت مقبول واليوم يوم خلاص.. نصلى له هذه الصلاة: «أقبلك يا ربى يسوع أباً لى.. اجعلنى ابناً لك وحررنى من الخوف من هذا العدو وأعطنى نصرتك عليه... وضعه تحت أقدامى وأشكرك لأنك سمعت واستجبت أنا ابنك.

الرب ينقذني من القتل ودفن جثتي أسفل بدروم عمارة

خمسة مدرسون... ارتبطوا برباط الأخوة والصداقة والمحبة الكاملة التى ألفت بينهم منذ أن كانوا رفقاء دراسة ثم بعد التخرج جميعاً صاروا مدرسين بالتربية والتعليم وقد راود الجميع أمل وأمنية وفكر التعاقد على عمل بالخارج يحسنون به أحوالهم المعيشية... شأن الكثير منا ويستغل ذلك نصاب راح الجميع ضحيته فقد خدعهم بأنه يستطيع إلحاقهم بعقود عمل بالسعودية وقد أدى ذلك إلى سداد مبالغ كثيرة من الجميع له بعضها مناولة أحدهم.. ولعامل الثقة فيه لم يشكوا لحظة في أن الأمر نصب في نصب.

المهم انقلب أربعة منهم علي صديقهم الخامس، ظناً منهم أنه هو النصاب، والمحتال، والذى خدعهم مستغلاً ثقتهم فيه.

١ ـ ولم يشفع له عندهم: أنهم يعرفون عنه أنه ابن لله.

٢ ـ كما أنه ابن خادم إنجيل معروف لهم، ومشهود له من الجميع، ومنهم شخصياً بأنه تقى مملوء من روح الله، يخاف الله.

٣ ـ ولم يغير رأيهم هذا، أنه قائد فريق تسبيح في كبرى الكنائس، ومؤلف وملحن لترانيم.

٤ ـ والذى استقر في أذهانهم ركيزة واحدة... وهى اختفاؤه... في ذلك وقت اكتشاف الجميع أنهم راحوا ضحية عملية نصب... وفشلت كل مجهوداتهم في التعرف على مكانه كما تأكد لهم أن عشرات الآلاف من الجنيهات التى عليه ـ وليس نصاباً أو محتالاً آخر ـ هى المبرر لاختفائه... ولم يفكروا ولو للحظة أن هروبه كان بسبب اتهامهم الباطل له. لقد فشلت مجهودات راعى الكنيسة، وزملاء هذا المسكين في الخدمة فيها، في حل المشكلة نظراً لعدم وصول الجميع له... فمازالوا يقيناً يصرون على أنه هو المحتال الذى استغل ثقتهم عبر عشرات السنين قبل التخرج وبعده... إلخ فترك عمله بالتربية والتعليم وأصبح نصاباً كما زاد الأمر ضغثاً على اباله، عدم إرشاد والد هذا المظلوم لمكان إقامته لأنه لا يعرفه وكان أن وسطنى في ذلك ـ لا لشىء سوى للحرص على اسم الرب يسوع رب العمل العظيم حتى لا تُهان الخدمة... وتلوث سمعته... رغم أن الجميع كانوا يكنون له كل الاحترام، والتوقير، والثقة، لكن اختفاء ابنه ـ وتركه العمل الحكومى... ثم غيابه عن منزل والده وعدم معرفة هذا الوالد حتى لمكان إقامة الابن... هذا كله جعل أصبع الاتهام متجهة إليه.

المهم عرضت عليهم... ما طلبه منى هذا الخادم ـ وهو صديق عمرى، وشريكى في خدمة القرى... وعليات الصلاة... إلخ فانقلب الاتهام بقسوة لا إلى زميلهم هذا بل إلى شخصى فتقدموا للنيابة العامة بشكوى ضدى شخصياً، مدبرين لى عدة كمائن.

(١) الكمين الأول : يوم استلامهم جوازات سفرهم منى وكان الشرط التوقيع على عقد الصلح مع زميلهم!!

(٢) والكمين الثانى: يوم استلامهم خُمس أو عُشر ما دفعوه، ظناً منهم أن الباقى قد حصلت عليه شخصياً.

(٣) والكمين الثالث : يوم أن أصر أحدهم على أن يتساوى مع الباقين في المبلغ المعروض وقد كان هذا هو الكمين الذي أعد لى شخصياً لقتلى أو دفنى حياً كما عرفت فيما بعد من استعان بهم... فقد طلبوا منى إحضار هذا المبلغ الزائد عن زملائه، في مكان «س» وهو مهندس له ورشة نجارة موبيليا تشغل دور أرضى، وله بدروم أسفل هذا الدور يستغله مخزناً وهو ما أعد لدفنى فيه حياً كما قال لى فيما بعد أن عدل عن إصدار أمره لعماله بذلك وكانت كلمة السر لعماله هاتوا له ساقع.

لا أعرف لماذا لم أدخل الورشة، وبقيت في الشارع، فأخرجوا لي كرسى على الرصيف أمام الورشة... وعند حضور المهندس قريب هذا المجنى عليه الذي سيتم الصلح معه ورآنى... وسمع صوتى... قال لى أظن أن حضرتك فلان خادم الإنجيل.. أنا سمعتك؟

قلت له: أيوه أنا فلان بس المحامى أما خدمتى للإنجيل فلكون الرب أعطانى أن أكون محامياً عن إنجيله. قال: وهل خدمت على منبر جمعية (........) قلت له نعم.. قال: فعلاً أنا سمعتك وكنيسة (........) قلت له أحياناً. قال: أنا سمعتك. المهم قال: طيب تشرب إيه؟ وقبل أن أجيب فوجئت وبأعلي صوته وبطريقة لفتت نظرى: بلاش صاقع هاتوا شاى... سُكرك إيه؟

٥ ـ المهم انتهت الجلسة صُلحاً ووقع المجنى عليه بتنازله عن شكواه ضد زميله والأهم ضدى أنا شخصياً، ووعد بالحضور أمام النيابة لإثبات

أنه لا إتهام له ضدى شخصياً. كيف تم هذا في لحظات رغم صعوبة إقناع هذا الشخص، لعشرات بل مئات المرات في المكتب، وفي الكنيسة، ومن رعاة وقسوس، وخدام.... إلخ لا تسألنى.. ولكن اسأل رئيس الحياة الرب يسوع المسيح، الذي أقنع قريبه هذا بأنى لا دخل لى في هذا الموضوع... وبالتالى فأنا مظلوم... بل متبرع للخادم والد زميلهم... وبلا مقابل لإتمام هذا الصلح «ولا ينوب المخلّص إلا تقطيع هدومه». وقد علمت فيما بعد من هذه الواسطة - شخصياً - إنه السبب هو حديث الرب له في هذه اللحظة التى كان سيعطى فيها كلمة السر لقتلى هاتوا له ساقع... بأنى محامى للرب... ولست نصاباً، ولم آخذ مليماً واحداً، في هذا الموضوع وطوبى لصانعى السلام لأنهم أبناء الله يدعون (مت ٥:٩) فكيف يكون ابن الله ويشترك في جريمة قتل عمد مع سبق الإصرار والترصد.. ونجوت حياً.. شكراً لله. وحفظت شكواهم ضدى للنيابة فقد وجه وكيل النيابة لهذا المجنى عليه - وزملائه - هل وكلتم المحامى في شيء؟ قال - معه جميع زملائه - لم نوكله في شيء.

س : وهل حررتم له توكيلاً؟

ج : لا.

س : وهل سددتم له أتعاباً؟

ج : لا.

س : مَنْ المتهم الذى خدعكم؟

ج : ذكروا اسم صديقهم ابن خادم الإنجيل.

س : وما ذنب أو دور هذا المحامى؟

ج : لا شيء بل نشكره أنه تدخل فحصلنا على حقوقنا... ولا أتعاب.

س : وهل لكم اتهام له الآن لشيء؟

ج : لا ونتنازل عن شكوانا ووبخهم النيابة «ألا تعلمون أن القانون لا يحمى .....» وأكرر وأقول شكراً لله أولاً وأخيراً.

الفصل الثالث والعشرون

النجاح مصدره الرب وحده لا سواه

«إله السماء يعطينا النجاح ونحن عبيده نقوم ونبنى» (نح ٢:٢٠)

«الفرس معد ليوم الحرب أما النصرة فمن عند الرب» (أم ٢١:٣١)

«يارب تجعل لنا سلاماً لأنك كل أعمالنا صنعتها لنا» (إش ٢٦:١٢)

نعم، ما أنا إلا عضو شرف في يد الله.. فقد حضر دكتورع.ع أخصائى أنف وأذن وحنجرة قريبنا من بنى سويف مع خالى وأولاد دكتور ف.ح المحبوس على ذمة إصابة خطأ بعد عملية وملخصها أنه بعد عملية التخدير أصيب المريض بشلل رغم أنه لا ذنب للطبيب أمرت النيابة بحبسه والتجديد ..../...../ ١٩٩٣ ولما كان للدكتورع.ع معى سابقة قضائية فقد وكلنا من قبل في نقض في قتل خطأ في حالة مماثلة دفعناها بعدم جواز نظر الدعوى الجنائية وكان أن قبلت محكمة النقض الطعن ولتعيد نظر القضية.. بل قضت بعدم جواز وطبعاً كان هذا هو الداعى لإحضار أولاً الدكتور ف.ح معه وليس لديهم أى أوراق للاطلاع وليس لديهم سوى بعض الأوراق تقارير طبية ربما وصلت قبل الجلسة ولن تصل من النقابة العامة بالقاهرة ونقابة أطباء بنى سويف كلفت أحد أحبائنا فأحضر الاطلاع ٩٨ صفحة ـ ولا أعرف كيف وضع الرب أمامى هذا السؤال: ماذا أفعل فيما لو قدم المتهم للجلسة ذاتها لا محبوساً بل للمحاكمة ـ وكان ما توقعته.. بل هذه أول المفاجآت فقد

قدم لذات الجلسة محبوساً وتوجهت فور نزولى من القطار إلى الدكتور في المستشفى التى نُقل إليها من تأثير قرار حبسه عليه وتزاحمت أسئلة وأفكار وأوراق وتقارير غير ما سيجيء وطلبت مكاناً هادئاً للاطلاع وأعطانى دكتورع عيادته حيث قضيت ٤ ساعات في الاطلاع وفي المساء وصلت بعض التقارير وفي الصباح وصل الباقى وفي المحكمة جاء وكيل النقابة ليظهر استياء النقابتين العامة بالقاهرة والفرعية ببنى سويف وأنهم في سبيلهم للاعتصام... إلخ وإثارة مشكلة اختلاف الدين كما ساعد وفي تقارير رسمية من النقابة العامة وأساتذة طب القاهرة وعين شمس... إلخ ـ ووضعت في قلبى أن لا أتكلم في الأديان ـ بعدم مسئولية الطبيب.

١ ـ ودفعت بذات الدفع بعدم جواز نظر الدعوي واستعنت بحكم النقض السابق صدوره لصالح دكتورع.ع الذى كان محتفظاً به شكراً لله بعد أن فشلت في إيجاده في مكتبى بالأمس لعامل السرعة في السفر.

٢ ـ كما دفعت ببطلان تقرير الطب الشرعى لصدوره من غير ذى صفة إذ أنه صادر من أخصائى أنف وأذن وحنجرة والواقعة دكتور تخدير وقدمت طعناً على تقرير الطب الشرعى ورأى نقابة بنى سويف ورأى نقابة أطباء القاهرة ورأي أستاذ دكتور هاشم فؤاد عميد كلية الطب يومئذ المؤكدة لبراءة طبيب وأخصائى التخدير هذا.

٣ ـ كما دفعت على إنعدام أى خطأ في حق هذا الطبيب وهو من غير متخصص ـ ولم أُشر أنه من طب الأزهر... فكلهم إخوة لكنهم غير متخصصين.

٤ ـ ومن ثم انتفاء علاقة السببية بين الضرر الذى حدث بالمريض وتخدير هذا الطبيب له.

٥ ـ وطلبت إعادة الأوراق للطب الشرعى وإعادة عرض المجنى عليه مع

الافراج عن المتهم ولنشكر الله. لقد قدر السيد المستشار رئيس المحكمة عدم إثارتى لهذه النواحى الدينية وأفرج عن المتهم بلا ضمان والضمان محل الإقامة.

وأعاد الأوراق للطب الشرعى لإعادة عرض المجنى عليه على طبيب أخصائى تخدير... إلخ. وهنا تذكرت إحسان الله في كل دعوى أسافر فيها لبنى سويف مسقط رأس أمى الله يرحمها وتذكرت دعوى تعويض لأسرة انفجر في ابنها لغم وأكرمها الرب بتعويض ودعوى تعويض بعض ركاب أتوبيس انقلب في ترعة الإبراهيمية وطعن دكتور ع.ع وغيره بالنقض وكيف قضى بقبول الطعن وبعدم جواز نظر الدعوى الجنائية... وبلا إطالة لنظرة ثانية... إنه إحسان الله «إذا كان الله معي فمَنْ عليّ». ألا تقول معى هللويا.

وهنا وقف معى أطباء بنى سويف مسلمون ومسيحيون ضد التقرير المقدم من طبيب أزهرى لم يحترم تخصصه وأفتى ضد تخصص آخر وقال لى أحدهم وهو بطل ملاكمة سابق.. قال: لقد آثرت أن تكون ملاكماً في حلبة أخرى واستخدمت الكلمات والضربة القاضية، ولكن لم تنته بعد مباراتك. قلت: ربنا يستر ودعواتك وصلواتك للرب مُجرى العدل والقضاء لجميع المظلومين. قال النقابة هنا يقصد في بنى سويف والعامة في القاهرة قال: لقد أفحمت، ولقد انتصرت. قلت: لا، فما أنا إلا عضو شرف في يد الله حقق لى إرادته. نعم لقد أرهقت في دراسة ١٤ ساعة لحين نظر الدعوى لكن نعم هو أعطانى النجاح وأنا عبده أقوم وأبنى هللويا (نحميا ٢:٢٠) وما لم يبن الرب البيت فباطل تعب البناؤون وما لم يحرس الرب المدينة فباطل بتعب الحراس (مز ١٢٧) هللويا هللويا وكان الرب معي وأنجح العمل هللويا ولم أستخدم كلمة جارحة عن تعصب أعمى من تقرير غير مختص أو عن تأثير هذا التقرير من غير مختص ولم أجنح إلي إثارة ما علمته فيما بعد من إصدار نقابة أطباء بنى سويف مسلمين

ومسـيحيين على الاعتصام إظهاراً للاحتجاج من قـرار النيابة فـي جنحة بعد ٣ أعوام تقريباً ازاء حبس الدكتور ٤ أيام (فالحادث ١٨/٦/١٩٩٠) ثم حبس القاضى الدكتور فـي المعارضة في أمر الحبس ١٥ يوماً ثم تقديمه محبوسـاً وبلا إعلان لذات الجلسـة ـ إذ قدم محبوسـاً وهذا لا يمنع من إعلانه قانوناً ـ أنها مواقف فيما لو وقفت عندها واحدة فواحدة لأخطأت الكلام والتغيير وطاش سـهمى... لكن بنعمة الله أنا ما أنا «بل يارب تجعل لى سلاماً لأنك كل أعمالى قد صنعتها لى» (إش ٢٦:١٢).

هللويا أشـكر الله معى في المسيح يسـوع «لأننا نحن عمله مخلوقين فـي المسـيح يسـوع لأعمال صالحة قد سبق الله فأعدها لنسلك فيها» (أف ٢:١٠) وكرر معى القول إنى عضو شـرف فـي يد الله وعن اختبار مع يوسـف الصديق تستطيع أن تقول «كل ما يصنع كان الرب ينجحه بيده» (تك ٣٩).

الفصل الرابع والعشرون

محامٍ تحت التأديب
أو عندما يرفع الرب عصا التأديب

«لم تقاوموا بعد حتى الدم مجاهدين ضد الخطية وقد نسيتم الوعظ الذى يخاطبكم كبنين يا ابنى لا تحتقر تأديب الرب ولا تخر إذا وبخك لأن الذى يحبه الرب يؤدبه ويجلد كل ابن يقبله إن كنتم تحتملون التأديب يعاملكم الله كالبنين فأى ابن لا يؤدبه أبوه ولكن إن كنتم بلا تأديب فقد صار الجميع شركاء فيه وأنتم نغول لا بنون» (عب ١٢:٤ ـ ٨).

١ ـ لا شك أنك علمت من خلال ما ذكرت أنى ابن لله وذلك بالنعمة.

٢ ـ وكيف أن النعمة حصنتنى ضد أخطاء وخطايا كثيرة.

أ ـ عامة.

ب ـ وخاصة بالمهنة.

٣ ـ ولم يعجب ذلك، شياطين المهنة وأبالسة الجحيم... فخططوا لإسقاطى وسجنى والتشهير بى... حتي تنحنى رأسى فلا أقوى على ذكر أنى ابن لله وقد حفظنى أبي السماوى ورأيته معى في هذه المعركة أيضاً على الأرض.

٤ ـ ولم تكن حرباً عادية... بل أيضاً وما يتناسب والمحاماة عمقاً، وطولاً، وعرضاً، وجسامة... وشراسة وقل ما شئت.

٥ ـ بل وبما يتناسب مع كوني ابناً لله فـي المحاماة تلك المهنة التى يظن الأغلب والأعم من العامة أنه لا يوجد فيها ابن لله!! أو حتى مَنْ يخافه!!

ولكن فاتهم أن الله قادر على كل شىء وأنى طالما أنا ابنه فالحرب ليست لى «ليس علىَّ أن أحارب في هذا الأمر لأن الحرب ليست لى» (٢أخ ٢٠:١٥).

٦ ـ ولن أدعى الكمال... فربما بل بكل تأكيد بجهلى، وعنادى، وعدم طاعتى لصوت الرب... قد ساهمت في اعطائهم ـ أى شياطين المهنة ـ هذه الفرصة... أو قل خُدعت... ورحت ضحية نصب واحتيال.

٧ ـ لكن الأمر أولاً وأخيراً كان خطأ منى... ولابد وأن أحصد الجزاء.. تأديباً أدبنى الرب وإلى الموت لم يسلم نفسى (مزمور ١٨:١٨) فقد كان إلهى معى... لم يتركنى في هذا الأتون المحمى بالسبعة أضعاف.. حتى ولو كان جزاء لخطأى... واعلموا أن إلهى من بين أوصافه أنه رجل الحرب ومن ثم ترنمت أخيراً من أنشودة النصر التى تعرفها.

حارب واعمل جهدك وصوب السهام

لكننى بقوة يسوع غالب على الدوام

القرار : أفوز بالأكليل أفوز بالأكليل

مهما عملت يا شيطان رجوعي مستحيل

نعم هذا إلهى فأمجده إله أبى فأرفعه (خر ١٥:٢)

ولأن «منه... وله... وبه كل الأشياء له المجد إلى الأبد آمين (رو ٣٦:١١).

٨ ـ فقط كما تبدأ المهنة بمحام تحت التمرين ثم ينتقل إلى القيد أمام المحاكم الابتدائية.. ثم أمام محاكم الاستئناف العالى ومجلس الدولة.

أخيراً : محكمة النقض والمحاكم العُليا الإدارية.. والدستورية ... إلخ دعنى أقول لك إن الحياة الروحية دائمة التدريب، والتدريب إلى آخر يوم في حياتنا على الأرض، وطوبى لمَنْ ينتقل من مرحلة... إلى أعلي... بنجاح وتفوق... ودون تعثر أو سقوط من مجد إلي مجد كما من الرب الروح (٢كو ١٨:٣).

وشـكراً لله الذى لم يعطنا روح الفشل بل روح القـوة والمحبة والنصح (٢تى ١:٧) ولأن هذا الاختبار مؤلم، ونتيجة عصيانى فقد أسميته محامى تحت التأديب فتعال أحكى لك القصة بالتفصيل.

٩ ـ واسمح لى أن أبدأ معك بما يلزمنى به قانون المحاماة في الباب الثانى الفصل الثانى منه:

تنص المادة ٦٢ (على المحامى أن يلتزم في سلوكه المهنى والشخصى بمبادىء الشرف والاستقامة والنزاهة وأن يقوم بجميع الواجبات التى يفرضها عليه هذا القانون والنظام الداخلى للنقابة ولوائحها وآداب المحاماة وتقاليدها).

كما تنص المادة ٧١ (يحظر على المحامى أن يتخذ في مزاولة مهنته وسائل الدعاية أو الترغيب أو استخدام الوسطاء أو الإيحاء بأى نفوذ أو صلة حقيقية أو مزعومة كما يحظر عليه أن يضع على أوراقه أو لافتة مكتبه أى ألقاب غير اللقب العلمى وبيان الدرجة المقبول للمرافعة أمامها أو استخدام أى بيان أو إشارة إلي منصب سبق أن تولاه) ونصوص أخرى لهذه المهنة العريقة.

١٠ ـ ولكن لأن مخالفتى... التى استوجبت عقاباً... لولا مراحم الله... ورأفته شملت نصوص قانون المحاماة آنفة الذكر، بجانب نصوص دستور حياتى وهو الكتاب المقدس دعنى أذكر لك هذا النص الكتابى الذي خالفته وأبدأ به.

١١ ـ ففى رسالة رومية الأصحاح ١:١٢، ٢ يأمرنا الروح القدس... بكل حكمة قائلاً «فأطلب إليكم أيها الإخوة برأفة الله أن تقدموا أجسادكم ذبيحة حية مقدسة مرضية عند الله عبادتكم العقلية ولا تشاكلوا هذا الدهر بل تغيروا عن شكلكم بتجديد أذهانكم لتختبروا ما هى إرادة الله الصالحة المرضية الكاملة».

١٢ ـ ودعنى أخبرك بأنه لا يمكن وصف لجوئى إلى مشاكلة زملائي من

المحاميين الســاعين وراء قضايا منكوبى حوادث القتــل والاصابة الخطأ، في كل حدب، وصوب، بمندوب، أو وســيط، أو سـمســار أو بأى أشــكال إلي هوة سحيقة.

١٣ ـ وكان ما يشــجعنى على المضى في هــذا الطريق الذى لا يوافق عليه قانون المحاماة ولا أبسـط قواعد الالتزام بآداب هذه الرسالة ولا أقول مهنة كما ذكرت بعضاً من نصوص قانونها أنى أســاعد هؤلاء المنكوبين من هذه الحوادث ويقول الكتاب «الديانة الطاهرة النقية عند الله الآب هى هذه افتقاد اليتامى والأرامل في ضيقتهم وحفظ الإنسان نفسه بلا دنس من العالم» (يع ١:١٧).

١٤ ـ وكان الذى يشجعنى في المضى في هذا الطريق ما سبق وذكرته لك أن المحامــاة خدمة للرب ولا أعتقد أنه يختلف اثنــان في أن هذا العمل جليل وخدمة لهؤلاء المنكوبين.

١٥ ـ إن مــا أبذله فيه من جهد يضن به غيرى من الزملاء بعضهم إن لم يكن جميعهم، في ترك مشوار اجراءات هذه الجنح عادة لحين صيرورة الأحكام التــى تصدر فيها نهائية... ثم إقامة دعواهم فقد كنت أباشــر المتابعة منذ أول وهلة لموكليَّ ســؤالاً ثم ادعاءً، ثم اســتئنافاً، بل وفي أحيان كثيرة نقضاً جنائياً، وهذا يكلف الكثير من المعاناة والجهد والمال كما قلت يضن به غيرى، بينما أسعد وأنا أشقى، وأجاهد حتى لا يضيع حق هؤلاء المنكوبين من أرامل وأيتــام وكم نجحت أشــكر الله وبتوفيقه فـي الغاء بــراءة لو لم أدعِّ مدنياً ما كان لهــا إلغاء ولأصبحت نهائية، وتمثل قوة الأمــر المحكوم به، الذى يلتزم به القضــاء المدنى ولا يكون هناك تعويض بالتبعية وبالضرورة أن ذلك يكلفنى الكثير من الجهــد والمال، والمتابعة، والملاحقة، والاصرار ابتدائى، واســتئنافى، ونقض جنائــى، وأحياناً نقض مدنى بعد ذلك... ما تســتغرق معه الخصومة عندى عشــرات السنوات، بينما ينتهى غيرى منها في ثلاث جلسات إبتدائى ونظيرها اســتئنافى... ويحصل على التعويــض، ولا يعلم إلا الله وصول هذا التعويض لمستحقيه كاملاً أو ناقصاً أو عدم وصوله نهائياً لهم؟!

لا علينا فكل سيعطى حساباً عن وكالته أمام الديان الذى لا يبرىء إبراء بل هو يطلب ما قد مضى (جا ٣:١٥).

١٦ ـ ومما يشجع في السعى الحثيث علي هذه القضايا هو قانون التأمين الاجبارى ضد هذه الحوادث لصالح الأرامل والأيتام من منكوبيها... وهذا بفضل عدة أمور أهمها أن مَنْ سيدفع قيمة الأحكام وهى شركة مصر للتأمين، والشرق للتأمين، والتأمين الأهلية فقط ثلاث شركات.. زيدت فيما بعد إلي عشرات من شركات التأمين، كالمهندس، والدلتا... وغيرهما.

وجميعها بالقاهرة أى أن الاختصاص بالقاهرة وهذه ميزة.

وبنسبة ٩٥٪ قضايا التعويضات مضمونة العواقب.

كما أن أعدادها ليس كنجوم السماء بل وكرمل البحر... كما هو معلوم واقعاً اقرأ الحوادث في أى جريدة ومع مطلع كل شمس!!

كما أن ضحاياها أصبحوا مثل عددها بل وأحياناً يصل في الحادث الواحد إلى الآلاف مثل العبارة السلام... أو مئات مثل حوادث القطارات أو عشرات مثل حوادث السيارات..... إلخ.

١٧ ـ ولن أتعرض لمتاعب وجود، مثل هؤلاء الجوايين، أو المندوبين، أو السماسرة، أو الوسطاء الذين تفننوا في الانقضاض على هؤلاء الضحايا فور وقوع الحوادث على الطرق السريعة ـ وما أكثرها بطول البلاد وعرضها، كما هو معلوم للكافة... المهم أنى انزلقت وكان لي مندوب وأكثر، وسيط وأكثر، سمسار وأكثر، من العاملين بالمحاكم، وخارجها.... إلخ وبواسطتهم يحررون التوكيل والاتفاق... والباقى كله علنياً.

١٨ ـ وكان يشجع علي هذا فقر هؤلاء وعدم قدرتهم على سداد الرسوم والأتعاب للمطالبة بحقوقهم... بجانب فقدهم العائل لهم في هذه الحوادث غالباً... فتكون المصيبة مصيبتين، والكارثة ضعفين... وعقود اتفاقاتنا لا تطالبهم بشىء إلا بشرط الحكم لهم كما هو بديهى هات وخذ.

١٩ ـ ولم تمض فترة كبيرة لى في هذا السلوك المشين، إلا ووجدت صوت الله، معلناً في كلمته لى «لا تشاكل هذا الدهر.. تغير عن شكلك... جدد ذهنك... إلخ». النص الذي نقلته في مقدمة هذا الفصل.

٢٠ ـ وكان علىّ إما أن أطيع... أو أعاند... والواقع أعترف أنى أجلت مسوفاً، ماطلاً، حتي قارب عنادى أن يسير على طريق الرجوع لحياة عدم الطاعة لولا أن الله عمل في إرادتى أن أعمل وأن أطيع لمجده... وهو ما اختبرته فيما بعد أن هذا كان لخيرى أولاً وأخيراً.

٢١ ـ وليس بخاف على القارىء الفطن، حملة الجرائد، والنيابة وأخبار الحوادث، عن عدم حصول أرامل وأيتام هذه النكبات لحقوقهم رغم حصول المحامي عليها... بالتوكيلات العامة المحررة منذ وقوع هذه البلية أين الضمير؟ أين خشية الله؟! ولن أطيل فربما هذا معروف للملأ.. ولا شك أن هذا كان سبباً أمام صرخات هؤلاء إلى صدور تعليمات جائزة لوزارة العدل في شأن كل قضية أو حكم تعويض فيما بعد القبض علي عشرات بل ومئات في هذه القضايا من المزورين وأكلة حقوق الأرامل والأيتام حتي أصبح الانتساب لقضية واحدة منها وصمة عار لا ولن تُمحي، بلا فارق بين مَنْ يرعى الله ومَنْ لا يرعاه فالحسنة تخص، أما السيئة فتعم كما هو معلوم كمبدأ في مجتمعنا المصرى.

٢٢ ـ «محامى تعويضات».. وكان هذا قبل تناول هذه الصحف وتلك التحقيقات لمسلك عشرات من المحامين ومعاونيهم... بالاتهام بعشرات السنين، وهنا أدركت لماذا أخرجنى الله من هذه الوصمة أعنى الاشتراك في هذه التسمية «محامى تعويضات».

٢٣ ـ وأشكر إلهى أنى حظيت بنعمته الحافظة بسمعة طيبة يشهد عنها كل مَنْ تعامل معى عبر سني عملى الطويلة في هذا العمل الشاق والفضل كل الفضل لذلك الذى علمنى.

«السالك طريقاً كاملاً هو يخدمنى» (مز ١٠١:٦).

٢٤ ـ مـرت أعوام علي هـذا القرار ونضب دخل هذه القضايا رغم أنه كان بالآلاف وهنا تذمر جميع مَنْ في المكتب من الوكيل... للزميل...

فقـد كان لى أكثر من محامٍ معاون وأولهم ابنـى... حتي الفراش... فقد أحس الجميع بهذا الجدب.

٢٥ ـ عرف ذلك شياطين المهنة الذين كانوا يتربصون بى الدوائر.. ليوقعوني... وخطط أستاذهم التنين الحية القديمة الذى هو إبليس والشيطان (رؤ ٢٠:٢) وأرسل لى أحد أعوانه ممن وضعوا في قلوبهم... وبلا ضمير.. أن يحصلوا علـي أكبر مبالغ... في أسرع وقت... من قضايا زوروا أوراقها ومحاضرها... وتوكيلاتها... ومستنداتها... وعندما تخالف وصية... ولا تطيع صوت الله لك... يكون الخداع وسيلة هذا العدو الماكر... فخاً يقتنصك وأنت في حالة أقرب إلى المسطول.. أو السكران..... أو الذى فقد عقله.... ووعيه بكل يقين.. وهنا يكون قد (اقتنصك... فخ إبليس... لإرادته) (٢تى ٢٦:٢).

٢٦ ـ ولولا مراحم الرب التى تتدخل (لتستفيق) ذات العدد السابق (٢تى ٢٦:٢) لما عدت مع الابن الضال (لو ١٧:١٥) فرجع إلى نفسه وقال.... ولكن لم يكـن هذا رجوعاً كلامياً... بل توبة عملية فقام وجاء إلى أبيه (لو ٢٠:١٥) «إذ كان لـم يزل بعيداً رآه أبوه فتحنن وركض ووقع على عنقه وقبله»... وتعرفون باقى القصة وياليت شعرى لكل مَنْ هو في الكورة البعيدة أن يسلك سلوك هـذا الابن... «يصلى إلـى الله فيرضي عنه ويعاين وجهه بهتاف فيرد على الإنسان بره يغني بين الناس فيقول قد أخطأت وعوجت المستقيم ولم أجاز عليه فدي نفسى من العبور إلي الحفرة فترى حياتى النور» (أيوب ٣٣:٢٦).

٢٧ ـ «انفلتت نفسي مثل العصفور من فخ الصيادين الفخ انكسر ونحن انفلتنا عوننا باسم الرب صانع السموات والأرض» (مزمور ١٢٤:٧، ٨).

٢٨ ـ نصب الفخ لى:

١ ـ سمع عدو الخير حديثنا معاً... الزملاء... والوكيل... وابنى... إلخ.

٢ ـ وإذ برسـوله يطرق بـاب مكتبنا... فنفتح له فيدخـل مهرولاً عارضاً بضاعتـه المسـمومة قضايا قتـل وإصابة خطـأ.. وعمولتى.. أقـل عمولة.. واسـمكم رنان.. وأمانتكـم في إعطاء النـاس حقوقها وأنـا أولهم يقصد شـخصه كمنـدوب في نهاية المطـاف... قد جعلنى أختـار مكتبك من بين عشرات.. بل مئات المكاتب.

٣ ـ وأكلـت الطعم واتفقنا... وأحضر وعلى وجه السـرعة... قضايا وكل قضية معها:

أولاً : صورة الجنحة.

ثانياً : والاتفاق.

ثالثاً : والتوكيلات العامة.

رابعاً : والاعلامات الشرعية.

٤ ـ ولأن الفخ كان منصوباً، والعين قد أعماها هذا العدو الماكر لم أفطن. إلا أن كل ذلك مزور... ومدسوس على... لكن أمام سرعة الاستجابة. ابتلعت الطُعم!!

٥ ـ وأقـول الصدق لم يكن خضوعاً لرأى ابنى.. ولا باقى زملائى بالمكتب... بـل أولاً وقبل كل شـىء رغبتى أنـا... وأقرها ثانية وثالثة وباعتـراف علنى أنا شـخصياً... ثم بعد ذلك... لا مانع من إعطـاء البعض لابنى والآخر لزملائى... إلخ ولم أكن أدرى أنه كان خيراً لى لو لم أعرف طريق البر من أنى بعد أن عرفته أرتد عن الوصية لا تشاكل... أهل الدهر.. قد أصابنى ما في المثل الصادق كلب قد عاد إلى قيئه وخنزيرة مغتسلة إلي مراغة الحمأة (٢بط ٢:٢٢، ٢٣).

٦ ـ ولن أتناول كيف انطلت الحيلة، ونجح الخداع، وغاب الوعى، أمام فرحة عودة ملفات هذه القضايا التى أصبحت. في ذهن كل ما لا إيمان له ـ وبرجوعى أو سقوطى انضممت إليهم ـ أنها مصدر الرزق الوحيد للمحامى.

٧ ـ لكن الذى سأوقف القارىء فيه وهو المقصود بهذا الفصل... كيف وقعت في الفخ؟ كيف خرجت من طاعتى للوصية.. وقانون مهنة المحاماة العظيمة معاً وبأوراق مزورة وهو ما يعنى قانوناً أنى أكون قد ارتكبت جنايات تزوير واستعمال محررات يعاقب عليها قانون العقوبات بمواده.. ولن يشفع لى دفاعى أنى لا أعلم.. وأنها جميعاً من مصدر واحد هو هذا المندوب الذى أسميه ماجد عريان طلعت... مسيحى الديانة.. وأذكر الديانة لأنه ادعى بذلك على غير الواقع كما ستعرف فيما بعد, كما ادعى أن زملائى من المحامين الذين عمل معهم من قبل أكلوا عمولته عند الصرف, وبالتالى بأن اللجوء إلي النصرانى أخيه سيكون هذا ضماناً لحقوقه.

ولا أود أن أطيل.. فأولى خطوات السقوط وقبول النصب, والاحتيال, والدهاء والحيلة, ومن الوقوع في الفخ هو أن تصدق هذا النصاب, عدوك اللدود وقد أخرج لى بطاقة مزورة بكل هذه المعلومات كما ثبت تزويرها هى الأخرى بعد ذلك وفي شك مريب.. لكن بعد فوات الأوان... رحت أطلب من الزميل الذى سيحضر ليدعى مدنياً في هذه الجنح أن يكشف ويتأكد من:

أولاً : صحة الرقم بجدول المحكمة.

ثانياً : صحة الاطلاع الذى أحضره المندوب لنا.

ثالثاً : صحة التوكيلات.

رابعاً : ثم بعد ذلك باقى المستندات كالاعلام الشرعى... إلخ.

خامساً : ١ ـ وكل هذا مع تعليمات أخرى أهمها أن لا نفترى على زميل يكون موكل قبلنا في هذه القضية الله غنى.

٢ ـ ولأن خطة الايقاع بى كانت محكمة لم يقم الزميل أية أهمية بأيٍ من هذه الاحتياطات بل ولم يقم احتياطاً لنفسه مما سبق أن مر هو به شخصياً... إذ استغله أحد أقاربه من الزملاء المحامين في الاشتراك في تزوير مثل هذه المستندات... وضبطت... وقدم للمحاكمة... ودخل الاثنان السجن... إلخ.

٣ ـ وأكرر القول إنى قلتها له واضحة صريحة لا تدخل السجن ثانية.

٤ ـ كما قلت له وإن كنت قد تعودت عليه في أكثر من سابقة لا تدخلنى السجن يا ـ وسأسميه «ر . أ» المحامى.

٥ ـ قال: حاضر أنا مفتوح العينين، ومخى كبير، وسأكون عند حُسن ظنك بى... يكفى أنك قبلتنى محامياً بمكتبك، وتعمل لأخرج مما أنا فيه من تجربة مُرة، وسجن بغيض، وها أنت تفتح أمامى أبواب الأمل بأن أكون محامى تعويضات وبتلك منتهى آمالى... إلخ الكلمات التى أراحتني أنه سيعمل وبحذر.

٦ ـ ولأن خطة العدو هى الايقاع بى أنا... والتشهير بى أنا وكانت هذه الخطة محكمة... فقد أهمل الزميل كل هذا ولم يحتط، ولم يكشف لا بالمحكمة، ولا حتى صحة التوكيلات... بالشهر العقارى.

٧ ـ بل أقول وفي عمى قلب ـ وقد ذهب ليدعى مدنياً بالتعويض المؤقت فإذا بزميل آخر يحضر وبأعلى صوته ـ كما قرر لى هذا الزميل الذي استخدمه العدو ليوقع بى ـ يقرر:

أ ـ أنه حاضر عن المدعين بالحق المدنى ورثة المرحوم فلان.

ب ـ بتوكيلات سابقة الاثبات.

ج ـ وحيفة الدعوى المدنية قد تم إعلانها.

د ـ ويتشرف بتقديمها.

هـ ـ وحافظة بها الاعلام الشرعى.

٨ ـ وكان يتحتم أن ينسحب الزميل بلباقة مدعياً (يبدو أنى أخطأت رقم الجنحة آسف يا سيادة الرئيس) هذا ما يلزمه به سابق تجربته التى انتهت بالسجن وكذا تعليمات الحرص التي أمليناها عليه... وكررناها... بل قل ما يمليه المنطق والعقل.. إن وُجدا!!

٩ ـ وفـي مكابرة راح يدّعى أنه هو صاحـب القضية ولا يوجد محامٍ آخر لورثة المرحوم.

١٠ ـ وإذ بالزميل المحامي الموكل من قبل الذى تعب واطلع... وحضر جلسات من قبل... وسدد رسوم الإدعاء يعلن للمحكمة وبأعلى صوته.

«إنـى موكل من جـار... أعرفه تماماً كما أعرف اسـمى ولم يـوكل أحداً غيرى... وبالتالى فهذا التوكيل الذى يحضر به الزميل يقصدنى في شخص مَـنْ يمثلنى وهـو الزميل الخارج منذ مدة قريبة من السـجن لتزوير أسـتاذه بواسطته مثل هذا التوكيل كما قلت..»

١١ ـ إنهـم مافيا التعويضات... ألا يكفيهـم ما لديهم من مئات وألوف القضايـا التى انقضـوا عليها فور وقوعها كالكلاب المسـعورة... والأسـود المفترسـة، أنـا أؤكد للعدالـة أن موكلى لـم يحرر هذا التوكيـل فهو مزور عليهـم لأن موكلـى في تاريخ هذا التوكيـل الذي بيد الزميـل كان ولا يزال مقيد الحرية... إلخ.

١٢ ـ ووجد القاضى أن نظام الجلسـة سيختل، ولا سيما أن الاثنين بذلك يكونـا قد خرجا عن موضوع الدعوى... وعدد القضايا في رول الجلسـة كبير فلم يكن بد من أن يطلب التوكيل من الزميل «ر.أ» ويؤشر عليه بالنظر ويأمر كاتب الجلسـة بإثبات أن الزميل الموكل قد طعن على هذا التوكيل بالتزوير.. والمحكمة أمرت بإحالة الطعن للنيابة العامة لتتخذ شئونها والقرار بالنسبة للجنحة آخر الجلسة.

١٣ ـ ومن عجب.. أن لا ينسحب الأستاذ زميلى الموكّل عنى من الجلسة... ويطلب أن يأخذ أصل التوكيل ويا دار ما دخلك شر وأنا آسف يا بيه مجرد خطأ. أو تشـابه أو أى عذر مقبول فالجنحة جنحـة الزميل وتوكيله هو الصحيح.. وأنا أنسـحب.. وكفى المومنون شـر القتال.. لكنه وقد أسقط في يده... ولم تسعفه ذاكرته حتي بخطئه في عدم الاحتياط لما نُصح به... إلخ. وخرج من

الجلسة وصعد للشهر العقارى وكشف عن صحة التوكيل برقمه وتأكد من أنه مزور أو على الأقل لا يخص الرقم الذي علي التوكيل الذي ضُبط.

١٤ ـ ولم ينتظر حتى لآخر الجلسة ليلتمس من السيد القاضى أن يسلمه إياه ويثبت انسحابه... بل ترك الأمر لمَنْ بيده الأمر... والأدهى والأمر أنه راح في جهل مطبق يسأل وما هو المصير.

١٥ ـ ولأن الهجوم كان شرساً ... وعنيفاً على شخصى.. ساق عدو كل خير مَنْ أقنع صاحبنا الزميل «ر» أنه طالما أن اسمه ليس فيه فلا يهمه شيئاً والذى ستقيد ضده جناية هذا التزوير، وذلك الاستعمال لمحرر مزور هو الوكيل الأصلى الذى هو أنا... فهو ناج بنفسه وتأكد أن الذي سيكون داخل السجن في هذه الجناية هذه المرة ليس هو:

أ ـ متهماً أصلياً بل أنا.

ب ـ ولا حتى شريكاً كسابق عهده بالاشتراك في مثل هذه الأوراق المزورة التى دخل بسببها السجن من قبل... كما قلت!!

١٦ ـ فماذا فعل بى الرب؟

أ ـ وقد قيدت الأوراق برقم طعون تزوير.

ب ـ وباسمى رباعى جرجس إسحق أمين واصف.

ج ـ والباقى معلوم للكافة أمر ضبط واحضار لي.

د ـ ومهما دافعت من دفع أو دفاع لهذا الاتهام الذى لا ناقة لى فيه ولا جمل فلا ولن يُسمع... ولن يُقبل... وستكون البداية كما هو معلوم إما حبس مطلق أو أربعة أيام على ذمة التحقيق ويراعى التجديد في الميعاد أو حبس خمسة وزربعون يوماً ويراعي التجديد في الميعاد ويملك السيد وكيل النيابة المحقق هذه السلطة في هذه الحال كما لا يخفى على فطنة أحد.

١٧ ـ ولك أن تتخيل ما ستنشره الجرائد في صحيفة الحوادث وربما يسعى أحدهم لتكون أخباره مؤيدة بالصورة لى وللتوكيل.... إلخ.

١٨ ـ لأنك إذ علمت أن هذا التوكيل مزور من الألف إلى الياء.

١٩ ـ بل والأختام التى يحملها لمأمورية الشهر العقارى الذى نسب إليها... مزورة... ولا تخص هذه المأمورية (كلا الختمين خاتم شعار الجمهورية والخاتم الكودى) بل هي مسروقة من مأمورية شهر عقارى آخر.. وما أبعد الاثنين... كما علمت فيما بعد... لأن الأمر لو علمته من قبل وأقول أن هذا كان ممكن لو لم تكن عينى قد كفت أو عمت عن البصر يومئذ... ويجب أن أخرج بهذا يوم أدخل في طريق عدم الطاعة... سيعمى لا بصرى فقط بل وبصيرتي عن رؤية طريق الحق والحقيقة والسلام... وسأنحدر إلى طريق التصديق للزور والبهتان والتزوير دون تروى... وتكون العاقبة هكذا هى السجن... يالالعار... يا للخزى الذى أنا فيه... بل والذى جلبته على إلهى... أبى... فهل يتركنى أبى فى كل هذه الهواجس... التي معها انتظرت وصول أمر القبض علىَّ... فلا أكل ولا شرب، ولا نوم، ولا سلام، ولا هدوء، ولا كلام لا فى البيت، ولا مع أي زميل... أنا الأستاذ... والكل تلاميذ، أنا الأمين والكل خائنون فها أنا خائن، مزور.... إلخ.. ماذا أفعل؟

٢٠ ـ لكنني تجرأت وطلبت أحد زملائى تلاميذى... واسمه م . ن المحامي وقلت بعد أن أحطته بكل شيء قل لى ماذا أفعل؟ ابق الأمر سراً.. لا تبح به حتي لأقرب الأقربين إليك!! استعد للحضور معي عند القبض علىَّ أو يوم أسلم نفسى للنيابة.

٢١ ـ كما أسرعت بالاتصال بأخى الوحيد أمين وأوصيته ببيتى وأولادي والمكتب... وقلت له: السجن مع الأشغال الشاقة هو لأخوك الذي لا ولم ولن يخطر علي بالك أن يكون كذلك.

٢٢ ـ وهنا حدثت معجزتان !!

أ ـ الأولــى : توجه الزميل م.ن. المحامى للمحامــى الموكل عن ورثة المرحوم فــي مكتبه هذا الزميل الذى طعن بالتزوير على التوكيل الذى قدمناه... وقد ضبط وحرز.. وجارى التحقيق بشأنه... وسأله: هل يعرفنى؟ قال: لا.

قال: وإن عرفته إن لا ولن يكون مثل ما وصفته بالجلســة... ولك كل الحق فيمـا قلت... فقط أؤكد لــك ـ هكذا قال ابنى وزميلى وتلميذى أســتاذ م.ن المحامي له أن هذا بتدير ... وفعل فاعل نصاب... ليوقع أستاذى في الفخ والله أعطــى لي وله نعمــة في عينى هــذا الزميل فقال: ابقى كــده أنا ظلمته. فقال: اسأل عنه.

قال: سألت.

وماذا أجبت من سائليك.

قال: إنه رجل الله ولا يعمل مثل هذه الصغائر.. بل سمعته طيبة.

قال: إذن هل يهمك أمر دخوله السجن.

قال: لا يهمنى في شيء سوى أن الجنحة تأخذ مجراها... ولا يوقفها مثل هــذا الطعن بالتزوير على أحد أوراقها قال محدثه... إذن فلتتنازل عن طعنك وقبل أن يحقق... وأنا ســأتنازل عن التمســك بهذا التوكيل مقرراً أن صاحب القضية هو حضرتك لا سواه والله يعوضك.

قال: أعدك بهذا غداً إن أردت وأحضر معى... لتتأكد بنفسك أني سأفعل هذا فقط تقبل النيابة منى هذا.

ملحوظة: بداهة بوقف الســير في الجنحة لحين الانتهاء من هذا الطعن بالتزوير ويتعطل.... بل يتأخر حصول ورثة المرحوم المتوفى في هذا الحادث على حقوقهم لحين الفصل في هذه الجنحة ابتدائياً واستئنافياً... إلخ.

ويهـم الزميل الأصيل في هذا الادعاء في هذه الجنحة أن تستأنف الدعوي سيرها فيحصل على حكم بالتعويض المؤقت تمهيداً لباقي الاجراءات.... إلخ.

ومن ثم كانت المعجزة الأولي هى قبول هذا الزميل التنازل عن طعنه بالتزوير هذا.

ب ـ أما المعجزة الثانية فهى القبض علي النصاب: م . ع . ط متلبساً:

- ليس فقط بتزوير هذه التوكيلات.
- ليس فقط والاعلانات الشرعية.
- ليس فقط والاتفاقات.

بل وضبط أختام مأمورية شهر عقارى... كان قد سرقها ليختم بها هذه التوكيلات وأرد الفضل لأصحابه الزميل الأستاذ سعيد كامل المحامى... الذي لـم تنطلِ عليه هذه الحيلة. وتلك الأوراق المزورة وهى التى انطلت علىّ بكل عمي قلبى كما شرحت سابقاً فأعد العدة وأبلغ النيابة العامة وصدر أمر بضبط واحضار هذا النصاب.. وتم القبض عليه فعلاً وقد ستر إلهى علىّ فلم تنشر الجرائد حادثة اتهامي بتزوير أو استعمال مستند مزور.. لكنها نشرت أمر القبض على هذا النصاب.. وأسرعت إلى حيث تم القبض عليه وأكرمنى الرب بأن أقابل معاون مباحث القسم الذى أشفق لحالى ورق لى قلبه... وقال عمرى ما عملتها.... لا من تخصه القضية ولا محاميه ولا غيره... لكن لأنك في حكم الوالد اطمئن هو هو ماجد عريان طلعت... وهي هى التوكيلات وهي هى الأختام.

٢٣ ـ بل وأضاف يا أستاذ إنه ليس مسيحياً بل مسلماً.... وقد حضرت زوجته وأكدت لى كل هذا وتلك قضية أخرى.

٢٤ ـ كما أنه نجح في النصب على زميلك الأستاذ سعيد كامل المحامى

وهو الذي أرشـدنا للقبض عليـه وقد حصلنا علـى الإذن بالقبض وتفتيش مكتبه الذى أعده في دائرة القسم لتزوير هذه التوكيلات... وهذه الاتفاقات... كما تم ضبطنا لديه على العديد من صور جنح القتل والاصابة الخطأ المعدة لمباشرة نشـاطه... كما وهذا هو الأهم أنى عثرت على الأختام المسروقة من المحاكـم.. ومأموريات الشـهر العقارى... إلخ وهو الآن بالحجز وسـيعرض غداً على النيابة.

٢٤ ـ ولأنـك رجل كبير وفي حكم الوالد (وشـكلك كـده مش بتاع هذا الموال) خذ هذه أرقام الجنايات المحررة له التابعة للقسم رئاستى... أما غيرها فخذها من هناك ولعل زملاءك السبب في كل هذا وترك النصاب ونزل على محامى التعويضات... وطبعاً الله يسـامحه.. بـل يعوضه عما فعله معى ومـا كان هذا لا وفق التعليمات ولا حتى بالواسـطة... بل لأن الله عمل في قلبه وقلوب الملوك كجداول مياه في يد إلهى فرق لى وقلت له هل سمعت إنها ما لى؟

قال: لا.

قلت له: إذن فأنا مجنى علىّ ... ضحية هذا النصاب.

قـال : المهـم الله معـك وانصرفت وطبعـاً كان كل هذا سـبيلاً لحفظ التحقيق معى:

أ ـ تنازل الطاعن عن طعنه.

ب ـ القبـض على المزور لهذه التوكيلات يسـامحه الله ... ولك أن تعرف: «إذ هو عادل عند الله أبى أن الذين يضايقوكم يجازيهم ضيقاً» (٢تس ١:٦).

بقى هذا النصاب في الحبس... إلى أن قضى عليه بالسجن خمسة أعوام مع الشـغل... أما الجنحة فاسـتأنفت سـيرها لصالح ورثة المرحوم المتوفى فيهـا.... بعد التنازل عن الطعـن بالتزوير وحفظت أوراق هـذا الطعن برقم

إداري... وحفظني إلهي لأكتب لك هذا الاختبار التي نزلت عليّ فيه يد الرب بأنه «.... يا ابني لا تحتقر تأديب الرب ولا تخر إذا وبخك لأن الذي يحبه الرب يؤدبه ويجلد كل ابن يقبله... إن كنتم تحتملون التأديب يعاملكم الله كالبنين فأي ابن لا يؤدبه أبوه ولكن إن كنتم بلا تأديب قد صار الجميع شركاء فيه فأنتم نغول لا بنون «نعم نؤدب منه لكي نشترك في قداسته» (عب ١٢: ٦، ٧، ٨).

وليتك تكمل قراءة هذا الجزء من كلمة حتى قوله المحذر لي ولك «ملاحظين لئلا يخيب أحد من نعمة الله لئلا يطلع أصل مرارة ويصنع انزعاجاً فيتنجس به كثيرون... لئلا يكون أحد زانياً أو مستبيحاً كعيسو الذي لأجل أكلة واحدة باع بكوريته فإنكم تعلمون أنه أيضاً بعد ذلك لما أراد أن يرث البركة رفض إذ لم يجد للتوبة مكاناً مع أنه طلبها بدموع» (عب ١٢: ١٥ ـ ١٧).

صلِّ معي ارحمنا يارب من أن أخيب من النعمة التي نحن فيها مقيمون (رو ٥: ٢). وساعدنا حتي نسمع لصوتك من خلال الكلمة المقدسة التي بين أيدينا.

«هكذا يقول الرب فاديك ... أنا الرب إلهك معلمك لتنتفع وأمشيك في طريق تسلكها ليتك أصغيت لوصاياي فكان كنهر سلامك وبرك كلجج البحر....» (إش ٤٨: ١٧، ١٨).

«يا ابني احفظ وصايا أبيك ولا تترك شريعة أمك اربطها على قلبك دائماً قلد بها عنقك إذا ذهبت فهي تهديك إذا نمت تحرسك وإذا استيقظت فهي تحدثك لأن الوصية مصباح والشريعة نور وتوبيخات الأدب طريق الحياة» (أم ٦: ٢٠ ـ ٢٣).

رقم الإيداع : ٢٠٧٠٨ / ٢٠١٠
الترقيم الدولى : 5 - 374 - 210 - 977



السؤال الذى يطرح نفسه مع عنوان هذا الكتاب (نعم رأيت الله في عملى المحاماة):

هل اختار الله لى المحاماة؟ وهل حدد الله مكان مكتب ممارسة المحاماة؟

أقول نعم وهو الذى حدّد!

وهل طلبت الله في هذا العمل؟

أجيب: نعم وبكل يقين وكل يوم وستقف معى أيها القارىء العزيز خلا
كل كلمة لترى كيف التمسته.. فوجدته.. لا بل رأيته أقرب إلى
العيان حتى أنى أستعير لغة اختبار القديس يوحنا الرائى عندما
كان من البدء الذى رأيناه بعيوننا الذى شاهدناه ولمسته أيدينا
ونشهد، ونخبركم به لكى يكون لكم أيضاً شركة معنا. وأما ش
فهى مع الآب ومع ابنه يسوع المسيح ونكتب إليكم هذا لكى يكون
كاملاً" (ايو ١:١ ـ ٤).

لذا اخترت عنواناً للكتاب (نعم رأيت الله في عملى).. فتعال معى نراه سوياً. والرب يجعله بركة لك، فترى الله، مثل ما رأيت.